سبع رسائل لطيفة

لِمُحِبِّي مريم العذراء

وابنها المسيح ابن مريم

إعداد: ماجد بن سليمان الرسي

يناير، 2025 ميلادي

مقدمة

رب يسر وأعن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على جميع رسل الله، أما بعد:

فهذه سبع رسائل تتناول حياة المسيح ابن مريم وأمه لما كانوا يتنقلون بين قرى فلسطين، وتتناول أيضا توضيح ماهية المسيح، اعتمادا على العهدين القديم والجديد، واعتمادا كذلك على مصادر تاريخية معتمدة عند المسيحيين.

كما تناول هذا البحث أيضا التداخل الذي حصل بين رسالة المسيح النقية، وبين عقائد الرومان، حيث أن الدولة الرومانية كانت هي الحاضنة لفلسطين آنذاك.

ولا يفوتني التنبيه إلى أن القارىء الكريم والقارئة الكريمة ربما يَمُرَّان على معلومات جديدة، فتكون صادمة نوعا ما، ولكن القارىء المثقف والقارئة المثقفة لابد أن يضعان حقيقة مهمة أمام أعينهما، وهي أن الإنجيل فيه هدى ونور وخير كثير، وفيه فوائد ودرر كامنة، وينبغي أن يكون هو المرجع الأساسي عند المسيحيين لمعرفة حقيقة المسيح وطبيعته، ونحن بحاجة إلى قراءته قراءة علمية دقيقة، وحينئذ ستتضح لنا فوائد كثيرة عن المسيح وأمه مريم العذراء.

أرجو الرب الذي في السماء أن يكون هذا البحث مفيدا ونافعا.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي في شهر يناير لعام 2024 ميلادي.

واتس: 00966505906761
بريد الكتروني: majed.alrassi@gmail.com

فهرس عام بمواضيع الكتاب الثمانية

1. قصة المسيح وأمه مريم العذراء الصحيحة من حمل (حَنَّة) بمريم إلى رفع المسيح إلى السماء
2. خطوات تحريف رسالة المسيح من التوحيد إلى الوثنية

محاور بناء العقيدة النصرانية المحرفة – أربع محاور

3. محاور نقض المحور الأول – ربوبية المسيح
4. محاور نقض المحور الثاني – توارث خطيئة آدم
5. محاور نقض المحور الثالث – صلب المسيح
6. محاور نقض المحور الرابع – اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله
7. ملحق المنهج التعليمي
8. فوائد متنوعة

فهرس تفصيلي بمواضيع الكتاب الثمانية

1. الفصل الأول - قصة المسيح وأمه مريم العذراء الصحيحة من حمل (حنة) بمريم إلى رفع المسيح إلى السماء

أ- أخبار مريم العذراء

- ولادة مريم وتربيتها
- فضائل مريم وكرامتها عند ربها
- البشارة لمريم بحملها بالمسيح
- حصول الطمأنينة لمريم بعد ولادة المسيح
- خاتمة قصة مريم
- بيان اضطراب النصارى في عقيدتهم في مريم
- الأحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في فضائل مريم بنت عمران

ب- أخبار المسيح عيسى ابن مريم

- تكريم المسيح في القرآن
- وصف الله للمسيح بأنه كلمة الله
- تكريم المسيح في أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)
- حال بني إسرائيل قبل بعثة المسيح إليهم
  - بنو إسرائيل يقتلون النبيين
  - بنو إسرائيل يحرفون التوراة
- مرحلة شباب المسيح ونبوته
- لماذا يكره اليهود المسيح؟
- المسيح يجمع تلاميذه الصادقين لما اشتد إعراض قومه عن دعوته
- استشعار المسيح لخطر القتل الذي كان اليهود يخططونه له
- دلالة الإنجيل على رفع المسيح دون أن يمسه أذى
- ذِكْرُ الدليل القرآني على رفع المسيح عيسى إلى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ، وبيان قصة الرفع، وَبَيَانُ خطأِ الْيَهُود وَالنَّصَارَى فِي دَعْوَى الصَّلْبِ
- حال بني إسرائيل بعد رفع المسيح وظهور بولس
- تحريف بني إسرائيل للتوراة والإنجيل يعتبر من أعظم عوامل تحريف دين موسى والمسيح – عليهما السلام

- نزع الله للنبوة من بني إسرائيل
- مكانة المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين

أسئلة الفصل الأول

2. الفصل الثاني - خطوات تحريف رسالة المسيح من التوحيد إلى الوثنية

وهي الأدلة التاريخية عَلَى إِثْبَات أَنَّ مَقُولَة: (إِنَّ المسيح رَبُّ) مَقُولَةٌ مِن اخْتِرَاعِ الْبَشَرِ، وَكَذَلِكَ مَقُولَة التَّثْلِيث

أ- تخطيط بولس اليهودي لتحريف عقيدة المسيح بمزجها بعقائد الرومان

- التعريف بشخصية بولس
- دعاوى بولس الخمسة
- هدف بولس
- وسيلة بولس
- نقض دعاوى بولس من ستة وجوه
- خلاصةٌ مُهمَّةٌ في بيان دَور بولس في تحريف دين المسيح

- النتيجة المؤلمة لِدَور بولس
- مكانة بولس في المسيحية
- موقف أتباع المسيح الأوائل من بولس

ب-تحريف المجامع العشرة لرسالة المسيح (مجامع الرومان وما تبعها)

- تعريف بعقائد الرومان
- الإمبراطورية الرومانية الوثنية هي الحاضنة لليهود والنصارى
- رقعة الدولة الرومانية
- مرحلة التصدع العقدي بين الكنائس
- انعقاد المجمع الكنائسي الأول
- سلسلة تحريفات المجامع بعد التحريف الأول

الخلاصة: دين المسيح تحول إلى دين روماني وثني، منقسم إلى طوائف وفرق.

أسئلة الفصل الثاني

محاور بناء العقيدة النصرانية المحرفة – أربع محاور

- ربوبية المسيح
- اعتقاد أن خطيئة آدم متوارثة
- اعتقاد أن المسيح صلب ليفتدي الناس من الخطيئة (عقيدة الفداء)
- اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله

3. الفصل الثالث - محاور نقض المحور الأول – ربوبية المسيح

- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد القديم
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد الجديد
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العقل (المنطق)
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة القرآن
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة التاريخ

أسئلة الفصل الثالث

4- الفصل الرابع - محاور نقض المحور الثاني – توارث خطيئة آدم

- قصة أبينا آدم الصحيحة
- نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العقل (المنطق)
- نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد القديم
- نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد الجديد
- نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة القرآن
- نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة التاريخ

أسئلة الفصل الرابع

5. الفصل الخامس - محاور نقض المحور الثالث – صلب المسيح

- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العقل (المنطق)
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد القديم
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد الجديد
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة القرآن
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة التاريخ

أسئلة الفصل الخامس

6. الفصل السادس - محاور نقض المحور الرابع - اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله

- مكونات الإنجيل والرسائل الملحقة به
- أربعة وعشرون دليلا على أن الأناجيل الأربعة ليست كلام الله، وأنها من كلام البشر
- الأدلة العقلية على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله
  - الحقائق المتعلقة بالتوثيق
  - الحقائق المتعلقة بالشخصيات
  - الحقائق المتعلقة بالتاريخ والمكان
  - الحقائق المتعلقة بنقد مضمون الأناجيل
  - دليل عقلي على أن الأناجيل الأربعة لم يعلم بها المسيح ولم يرها
- دليل تاريخي على أن الأناجيل الأربعة من صنع البشر
- نبذة عن إنجيل برنابا
- عشر فوائد منثورة تتعلق بموضوع تحريف الأناجيل الأربعة ونتائج ذلك التحريف

- خلاصة القول ثلاثة أمور
- أين التوراة الأصلية؟!
- الدليل التاريخي على أن العهد القديم ليس كلام الله
- الدليل المنطقي على أن العهد القديم ليس كلام الله
    - العهد القديم يدعو إلى "الإرهاب"
- الأدلة النقلية على أن العهد القديم ليس كلام الله
    - التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لرب العالمين
    - العهد القديم يتضمن المسبة لثمانية من أنبياء الله التلمود ينص على أن اليهود شعب الله المختار، وأن غير اليهود مُسَخرون لهم، كما هو حال الحيوانات والدواب
- الأدلة القرآنية على ضياع التوراة والإنجيل وتحريفها
- خاتمة

أسئلة الفصل السادس

7. الفصل السابع - ملحق المنهج التعليمي

- **قضية التحريف والكتمان عند بني إسرائيل**
- **حقيقة بني إسرائيل في العهد القديم**
- **حقيقة بني إسرائيل في العهد الجديد**
- **انتقال النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل**
- بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعدما عَظُم تحريف رسالة المسيح

  - دين خاتمي / نبي خاتمي / كتاب خاتمي

- إثبات أن العهدين القديم والجديد يتضمنان بشارات كثيرة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)
- دين محمد (الإسلام) أتى بحسنتين عظيمتين إلى دين المسيح
- نقد الكنيسة من كلام المفكرين
- نقد الكنيسة من كلام القساوسة
- الإسلام يحث على إعمال العقل

أسئلة الفصل السابع

8. الفصل الثامن - فوائد متنوعة

أ- قصص هدايات

- لماذا ترك الكاردينال دانيال الكنيسة وغير دينه؟
- قصة هداية القسيس جرجس
- مراسلة لطيفة مع الراهبة وصيفة

ب- آيات قرآنية مؤثرة في نفوس المحبين للمسيح وأمه مريم العذراء

ت- مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة

الفصل الأول

أ- قِصَّةُ مَريم العَذْرَاء
وابنها المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

أَخْبارٌ عَنْ ولادَةِ مَرْيَمَ وتَرْبيتها

كَانَ عِمْرَانُ والدُ مَريمَ هُو صَاحب صَلاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِصَلاحِه وتقواه وعِبَادَته، ولَمَّا نَذَرتْ زوجته «حَنَّة» أَنْ تَجْعَل ولَدَهَا مُحرَّرًا -أي خالصًا مفرغا للعِبَادة وَلخِدمَة بَيت المَقدِس- إِنْ رَزَقَهَا اللهُ ولدًا؛ حَاضَتْ مِنْ فَوْرِها، وكَانتْ لا تَلدُ، فَواقعَها زَوجُها فَحَملَت بِمَرْيَمَ، ومَعْنى (مَرْيم) أَيْ: الْعَابِدة النَّاسِكة.

ومِنْ دَلائلِ فَضْل مريمَ أَنَّ الشَّيْطَان لَمْ يَنْغَزْهَا فِي جَنْبِها عند ولادتها كَمَا يَفْعَل لِسَائر الأَطْفَال، وهَذَا فَضْل خاص لها ولابْنِها المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، كَمَا جَاء فِي الْحَدِيث عَنِ النَّبِيِّ مُحمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي بَيانِ حِمَايَة اللَّهِ لِمَرْيم فِي قَولِه: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٍ إِلَّا يَمَسُّهُ[1] الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا[1] مِنْ مَسَّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - راوِي الْحَدِيث:

[1]. أي: يغمزه بإصبعه ليصيح.

واقرأوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجيمِ﴾[2].[3]

وعنه عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِيهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ[4].[5]

أتت «حَنَّة» أمُّ مَريمَ بِابْنَتِها مَرْيَمَ بَعْدَ فَتْرَةِ رَضَاعِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَسَلَّمَتْها للعُبَّاد الَّذِين فِي الْمَسْجِد الَّذِي كَانَ يُصلِّي فِيهِ زَوجها عِمْران، وكَانَ إمَامَهم فِي الصَّلاةِ، لِيُرَبُّوها عَلَى الْعِبَادة والطَّاعَةِ، فَتَنَازَعُوا بينهم أَيُّهم يَكْفُلُها ويُرَبِّيها، وكَانَ زَكريَّا هُو النَّبِيُّ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ، فَطَلبَ منهم أنْ يَقُومَ هُو بِكَفَالَتِها ويَتَنَازَلُوا لَهُ عَنِ ذَلِك فَأَبَوْا، مَعَ أَنَّهُ كَانَ كَبِيرَهم ونَبِيَّهِم، ثمَّ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلُوا الأَمْرَ بَيْنَهم قُرْعَةً، فَمَنْ فَازَ بِالْقُرْعَة صَارَتْ مَرْيمُ فِي كَفَالتِهِ، كَائنًا مَنْ كَان.

فَكَانَتْ مَشَيئةُ اللَّهِ أَنْ تَكُون القُرْعةُ لزَكَرِيَّا، وهَذَا مِنْ دَلائِل فضل مَرْيَمَ، إِذْ كَانَت فِي كَفَالَةِ وتَرْبِيَةِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِياء، ولَيْسَ رَجُلًا عَادِيًّا.

---

[1]. يستهل صارخًا أي يصيح.

[2]. سورة آل عمران: ٣٦.

[3]. رواه البخاري (٣٤٣١) ومسلم (٢٣٦٦) عن أبي هريرة رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وهذا الدعاء دعت به (حنة) لابنتها مريم.

[4]. الحجاب هو حاجز جعله الله بين الشيطان ومريم، فلما أراد الشيطان أن يطعن مريم في جنبها طعن في الحجاب، وكذلك الأمر بالنسبة لابنها المسيح عيسى ابن مريم، لما أراد أن يطعنه في جنبه بأصبعه ليصيح جاءت الطعنة في الحجاب الذي جعله الله بينهما، فحماه الله من طعنته، فلم يصرخ لما ولدته أمه.

[5]. رواه البخاري (3286) ومسلم عَقيب الحديث (٢٣٦٦).

فَنَشَأتْ مَرْيَمُ نَشْأَةً نَبوِيَّةً فِي كَفَالةِ وكَنَفِ النَّبِيِّ زَكَرِيَّا، نَشَأتْ صَالِحةً عابدة قانتة للهِ جَلَّ وَعَلَا، وكَانَ لَهَا مِحْرابٌ تَتَعبَّدُ فِيه فِي مَسْجِد بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وحَصَل لَهَا شَيءٌ مِنَ الْمُعْجِزَات التي تَدلُّ عَلى كَرَامَتِهَا عِندَ اللَّهِ، فَكَانَ زَكَرِيَّا يَدْخُل عَلَيْهَا الْمِحْرَاب فَيَجِدُ فَاكِهَةَ الصَّيفِ في فَصْل الشَّتَاء، وفَاكِهَةَ الشتاء في فصل الصَّيْف.

قَالَ اللهُ عَنْها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب﴾[1].

فَضَائِل مَرْيَمَ وَكَرَامَتُهَا عِندَ رَبِّهَا

مِنْ دَلائِل فضل مَرْيم أنَّ الْمَلائِكَةَ كلّمَتْها، وأَخْبَرَتْهَا بِاصْطِفَاء اللَّهِ وَاخْتِيارِه لَهَا لأَنْ تَكُون خَيْرَ نِسَاءِ العَالَمِينَ في ذَلِك الزَّمَان، قَالَ اللهُ فِي القُرآنِ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ المَلآئِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين﴾[2]. والاصْطِفَاءُ هُو الاختيار.

---

[1]. سورة آل عمران:٣٧.

[2]. سورة آل عمران: ٤٢، ٤٣.

البشارة لمريم بحملها بالمسيح

ومِنْ دَلائِلِ فَضْلِ مَرْيَمَ أنَّ الْمَلائِكَة نقَلتْ لَهَا بِشَارَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِأَنَّهَا سَتَحْمِلُ بَوَلَدٍ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، لَيْس هَذَا فَحَسْبِ؛ بَل بَشَّرتْهَا بِأَنَّ ابْنَهَا المسيح لَيْسَ كَسَائِرِ الأَبْنَاء، بَلْ لَهُ مَكَانَةٌ عَظيمةٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ النَّاسِ، وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ عِندَ اللهِ، قَالَ اللهُ فِي القُرْآن: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يا مريم إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1].

تَلَقَّت مَرْيَمُ هَذِهِ الْبشَارَةَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهَا بِالقَبُولِ، مَعَ أَنَّهَا تَعَجَّبْت مِنْهَا أَيْمَا تَعَجُّبٍ، إِذْ كَيْفَ يَكُون لَهَا وَلدٌ وهِي لَيْسَت ذَاتَ زَوْجٍ؟!

وقَدْ أَخْبرَ اللهُ فِي القُرآنِ عَنْ تَعجُّب مَرْيَمَ فَقَال عَنْهَا: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَر قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.[2]

مَعْنى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَر﴾؛ أَيْ: لَمْ يَتَّصل بِي بَشَرٌ مِنْ خِلَالِ الْعَلَاقَةِ الْجِنْسِيَّة.

ومعنى الآية أنَّ الله عَلى كُلِّ شَيءٍ قدير، إذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّما يَقُول لَهُ: (كُن) فَيَكُون ذَلِك الشَّيءُ، ومِنْهُ مَا حَصَلَ لِمَرْيَمَ، إِذْ قَالَ اللهُ: (كُنْ)، فَكَانَ الْمَسِيحُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ بهَذه الكَلِمَة، ولِهَذَا يُوصَفُ الْمَسِيح بِأَنَّه

[1]. سورة آل عمران: ٤٥.
[2]. سورة آل عمران: ٤٧.

(كَلِمَةُ اللَّهِ)، لأَنَّهُ كَانَ بِهَا كَمَا فِي قَول الملائكة لمريم: ﴿إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم﴾[1].

ومِنَ اللَّطَائِفِ أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ القُرآنِيَّ مُتوافِقٌ مَعَ مَا جَاء فِي «إِنْجِيل لُوقَا»: (1/28-31، 34، 37):

٢٨. فَدَخَل إِليهَا المَلاكُ وقَالَ: سَلامٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَم عَليهَا، الرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ.

٢٩. فَلَمَّا رَأتْه اضْطَربتْ مِنْ كَلامِه وفَكَّرَت مَا عَسَى أَنْ تَكُون هَذِهِ التَّحِيَّة.

٣٠. فَقَالَ لَهَا الْمَلاكُ: لا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدَتِ نِعْمَةً عِندَ اللهِ.

٣١. وهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ[2] وَتَلِدِينَ ابنًا وَتُسَمِّينَه يَسُوع.

٣٤. فَقَالَتْ مَرْيمُ لِلْمَلاكِ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟

فَأَجَابَهَا الْمَلَاكُ:

٣٧. لأَنَّه لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللَّهِ.

---

[1]. سورة آل عمران: ٤٥.

[2]. معنى تحبلين أي: تحملين.

ومَعَ تلقِّي مَرْيَمَ لِبشَارَة الْمَلائِكَةِ لَهَا بِالمسيح بِالقَبُول وَالرِّضَا، إِلَّا أَنَّهَا حَمَلَتْ همًّا عَظِيمًا، إِذْ مَنْ يُقْنِعِ قَوْمَهَا بِحَقِيقَة الأَمْرِ فِي أَنَّ حَمْلَها بِالمسيح بِهَذِهِ الصُّورة غير الطبيعية كَانَ بَأَمْرِ اللهِ؟ فَهُمْ لا يَعْلَمُون حَقِيقةَ الْأَمْرِ، وَبِالتّالي فَسَيعْتَمِدُون عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ ويَتَّهِمُونَهَا بِالزِّنا، فَلِهَذَا حَمَلَتْ همًّا عَظِيمًا وتَمَنَّت الْمَوتَ عَلَى أَنْ يَتَّهمها قَوْمُها بِالزِّنَا.

ومِنَ اللَّطَائِفِ أَنَّ النِّسَاء الْمُسْلِمَاتِ هُنَّ خَيْرُ مَنِ اقْتَدَىٰ بِمَرْيَمَ، لَأَنَّهُنَّ يُؤْثِرْنَ الْمَوتَ عَلى فِعْل الفَاحِشَة، التي هي الاتِّصَالَ الْجِنْسِي مَعَ غَيْرِ الزَّوج، بِخَلافِ مَا وَصَلَ إليه حَالُ النِّسَاء الْمَسِيحِيَّاتِ، مِنَ التَّسَاهُل العَظِيمِ فِي هَذَا الْمَوضُوع، وانْتِشَار الصَّدَاقَات والعلاقات بَينَ الْجِنْسَينِ خَارِجَ إِطَارِ الزَّوجِيَّة، حتَّى القَسَاوِسَة يَفْعَلُون ذَلِك مَعَ الرَّاهِبَات وغَيْرِهنَّ مِنْ نِسَاء الرَّعِيَّة، في الكَنَائِس وخارجها، في اعْتِدَاءٍ مَكْشوف عَلى كَرَامِة النِّسَاء وأَزْواجِهِنَّ، ومُخَالَفَةٍ صَرِيحةٍ لتعاليم المسيح وجميع الأنبياء، والآدَابِ الَّتي يَتَحلَّى بِهَا كِرَامُ النَّاسِ وَنِسَائِهِم، لا سيما مريمُ العَذْرَاءُ عَلى وجهِ الْخُصُوص.

فَهَلْ يُعقل أنْ تَكُون هَذِه السُّلوكيَّات التي هِي جُزءٌ مِن شَخْصِيَّة القَسَاوِسة ترجمة لسلوكيَّاتِ الْمَسِيحِ؟! حَاشَا وَكَلَّا.

ومِنْ دَلائِل فَضْل مَرْيَمَ أنَّ جِبريل - وهُو أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ - بَشَّرها بِأَنَّهَا سَتَحْمل بِالْمَسِيح ، وقَدْ تَقدَّم أنَّ الْمَلائِكَة بَشَّرَتْهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَجَاءَ جِبريلُ ليُبشِّرها وليُنَفِّذَ هَذِهِ الْبِشَارة ، فَتَمثَّلَ لَهَا عَلَىٰ هَيئَةِ الْبَشَرِ،

وَجَاءَها وهي في نَاحِيةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لا يَرَاهَا أَحَدٌ، وأَخْبَرَهَا بِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَوْعِدُ تَحْقِيقِ الْبِشَارَةِ الَّتِي أَخْبرتهَا بِهَا الْمَلائِكَة مِنْ قَبْلُ، وهِي حَمْلُها بِالْمَسِيحِ، فَاسْتَغربَتْ مَرْيم هَذِهِ الْبِشَارة مرةً أُخْرَى وسَأَلت جِبريلَ : كَيفَ لِي أَنْ أَحْمِلَ وأَنَا لَسْتُ ذَاتَ زَوْجٍ وَلَستُ بَغِيًّا تَفْعَلُ الْفَاحِشَةَ مَعَ الرِّجَال؟!

فَأَجَابَهَا المَلَكُ جبْرِيلُ بِأَنَّ هَذَا هُو أمْرُ اللهِ وَاخْتِياره، ولَيسَ لَنَا إِلَّا قَبُول أَمر الله وتنفيذه، واللهُ لهُ الْحِكْمَة الْبَالِغة فِي كُل شَيءٍ، فَفَعَلَ جَبْرِيلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَنَفَخ فِي جَيْب قَمِيصِ مَرْيَمَ، فَوصَلتِ النَّفْخَةُ إِلَى فَرْجِهَا ثُمَّ إِلَى رَحِمِها، فَحَمَلَتْ بِالمسيح كَمَا تَحْمِل النِّسَاء مِن أَزْواجِهِنَّ، فَمَكَثَ جَنِينُها فِي بَطْنِها تِسْعَةَ أَشهر، ثمَّ ولَدَتْه، قَالَ اللهُ فِي سَرْدِ هَذِه القِصَّة، وهي فِي سورة «مريم» مِنَ القُرآنِ الْكَرِيمِ:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرحمـٰن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَم يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا (23) فَنَادَاها مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ

تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمّا تَرَينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ للرحمٰن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّم الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم﴾.[1]

التَّعْلِيقُ عَلَى الْآيَاتِ

هَذَا الْحَمْلُ حَصَلَ فِي رَحِمِ مَرْيَمَ مِنْ أُمٍّ بِلَا أَبٍ، وَهُوَ يَدلُّ عَلَىٰ كَمَالِ قدْرةِ اللَّهِ تَعَالَى، وهُو أَمْر لَيْسَ بِالهَيِّن، ولكنَّه هَيِّنٌ عَلى اللَّهِ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِهِ بِهَذِهِ الصُّورة أَنْ يَكُون فِي هَذَا دَلالةٌ وعَلامةٌ للنَّاسِ عَلَى قُدْرةِ اللَّهِ الَّذِي نَوَّع فِي خَلْقِهم، فَخَلَقَ أَبَاهُم آدَمَ مِن غَيْرِ ذَكَرٍ ولا أُنْثَىٰ، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَىٰ، وخَلَقَ بَقيَّة الذُريَّة مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَىٰ، إلَّا المسيح فَإِنَّه أَوْجَدَه مِنْ أُنْثَىٰ بِلا ذَكَرٍ، فَتَمَّتْ بِخَلقِ الْمَسِيح القِسْمَة

[1]. سورة مريم: ١٦-٣٦.

الرُّباعِيَّة[1] الدَّالَّة عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، ولَيْسَ هَذَا عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، فَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ مِن خَلْقِ النَّاس، ولكِن أَكْثَرَ النَّاس لا يعلمون.

فَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أنْ يَخْلُقَ بَشَرًا مِنْ ذَكَر وأُنثى، كَمَا هُوَ حَالُ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِن غَيْرِ ذكرٍ وأُنثى، كَحَالِ أَبينا آدَمَ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَىٰ، كَحَالِ أُمِّنَا حَوَّاء الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ مِن ضِلَع آدم، وقَدْ يَخْلُقُ مِن أُنْثَى بِلا ذَكَرٍ، كَحَالِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَقَدْ يَخْلُق مِنَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ ومِنَ الأُمِّ العَاقِرِ ، كَحَالِ الأَنْبِياءِ إِبْرَاهِيمَ وزَكَرِيَّا، وقَدْ لَا يَخلُق مِنَ الذَّكَرِ والأُنثَى شَيئًا، لا ذَكَرًا ولا أُنْثَى كَحَالِ مَنْ بِهِ عُقَمٌ، وَقَد يَخْلُقُ مِنَ الزَّوجِينِ ذُكورًا بِلا إِنَاثٍ، وقَدْ يَخْلُقُ مِنْهُمَا إِنَاثًا بِلا ذُكور، وقَدْ يَخْلُقَ مِنْهُما إِنَاثا وذُكورًا، فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ (كُنْ) فَيَكُون ذلك الشيء، كَمَا قَالَ اللهُ فِي القُرآن: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.

---

[1]. المقصود بالقسمة الرباعية أن الناس ينقسمون في كيفية خلقهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مَن وُلِدَ بلا ذكر ولا أنثى، وهو أبونا آدم، خلقه الله من طين.

القسم الثاني: مَن وُلِدَ مِن ذكر بلا أنثى، وهي أُمُّنا حواء، خلقها الله من آدم، من أضلاعه.

القسم الثالث: مَن وُلِدَ من أنثى بلا ذكر، وهو المسيح عيسى ابن مريم.

القسم الرابع: مَن وُلِد من ذكر وأنثى، وهم عامة الناس.

وقَالَ اللهُ فِي القُرآن: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قدِير﴾.[1]

ومعنى الآيةِ الْكَرِيمَةِ: اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَلِكُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَلْقِ، يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِنَاثًا لَا ذُكُور مَعَهُنَّ، ويَهَبُ لِمَنْ يَشَاء الذُّكُور لَا إِنَاث مَعَهُم، ويُعْطِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ يَشَاء مِنَ النَّاسِ الذَّكَر والأُنْثَى، ويَجْعَل مَنْ يَشَاء عَقِيمًا لَا يُولَد لَهُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَخْلُق، قَدِيرٌ عَلَىٰ خَلْقِ مَا يَشَاء، لَا يُعْجِزه شَيْءٌ أَرَادَ خَلْقَهُ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ خَلْقَ المسيح كَانَ آيةً ودَلالةً للنَّاسِ عَامَّةً ولِبني إِسْرَائِيل خَاصَّة عَلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واتِّصَافه بالْخَلْقِ كَمَا يَشَاء، فَلَيْسَ أَمَامَنَا بَعْدَ هَذَا إِلَّا الإِيمَانُ بِذَلِكَ وَتَعْظِيمُ الرَّبِّ فِي نُفوسِنَا.

ومِنَ اللَّطَائِفِ أَنَّ هَذِهِ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ المسيح مِنْ أُمٍّ بِلا أَبٍ مَذْكُورَةٌ فِي الْمَرَاجِع الْمُنتَشِرة بِأَيْدِي الْمَسِيحيينَ الْيَوْم، فَفِي سِفْر إشعياء

[1]. سورة الشورى: ٤٩، ٥٠.

(١٤:٧) جَاءَتِ الْبِشَارة بِحَمْلِ مَرْيَمَ بِالْمَسِيح، وبأَنَّ حَمْلَه كَانَ آيَةً عَلَى قُدْرَة اللَّهِ:

«ولَكِن يُعطيكُم السَّيدُ نَفْسُه آيةً: هَالعَذرَاءُ تَحْبِلُ وتَلِدُ ابْنًا وتَدْعُو اسْمَه (عمانوئيل)».

والسيد هو الله، والآيةُ هي العَلامَة عَلى قُدْرَتِه، ومَعْنى تَحْبِل أَيْ: تَحْمِل، و **«عَمَانُوئيل»** هُو أَحَدُ أَسْمَاءِ الْمَسِيح.

ومَعَ هَذَا فإن المسيحيين لا يُؤمِنُون بأن الحكمة الإلٰهية من حمل مريم للمسيح بهذه الطريقة إنَّما هو بيان أن هذا آية وعلامة على قدرة الله (الموصوف هنا بالسيد)، بل يجهلون هذا تماما، ويقولون إِنَّ الْمَسِيح ابن اللهِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِك.

ولما ولدت مريمُ المسيح كان أَوَّلُ شَيْءٍ نَطَقَ بِهِ الْمَسِيح وهُو فِي الْمَهْدِ هُو الإِقْرَار بِأَنَّه عَبدُ اللهِ، وذَلِكَ عِندَمَا سَأَلَ الْيَهُودُ أُمَّهُ عَنْ هَذَا الطِّفل: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ به؟ فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ ابنُ اللهِ، ولوْ كَانَ كَذَلك لَقَالَهَا، لأَنَّه شَرَفٌ لَهُ لَوْ كَانَ حقًّا، ولأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِيهِ، لِيَدْفَع التُّهمَة عَنْ أمِّهِ، بَلْ قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءاتَانِي الكتاب وَجَعَلَنِي نَبيا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31)

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.[1]

أَيُّهَا القَارِئ الْكَرِيم والقَارِئَةُ الْكَرِيمَةُ، مَاذَا بَعْدَ هَذَا الْوضُوحِ مِنْ وُضُوحٍ عَلَى أَنَّ المسيح عبد اللَّهِ، وَبَشَرٌ، وَرَسُولٌ، لَيْسَ ربًّا، ولا ابنَ الرَّبِّ؟!

حُصُولِ الطَّمَأنينةِ لِمرَيمَ بَعْدَ طَمْأَنَةِ ابْنِهَا لَهَا لَمَّا وَلَدَتْهُ

بيَّن الله في كِتَابه أَنَّ مَرْيَمَ أَصَابَهَا هُمٌّ عَظِيمٌ لَمَّا وَلَدَت ابْنَهَا الْمَسِيح، حَيثُ إِنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ سَيتهِمُونَهَا بِالزِّنَا لِكَوْنِهِ مِنَ الْمَعْلُومِ عِندَهِم أَنَّهَا لَيْسَت ذَاتَ زَوْجٍ، فَلَيْسَ في تَصَوُّرِهم أدنى احتمال لأنْ تَحْمِل إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الزِّنَا.

قَالَ اللَّهُ فِي القُرْآنِ: ﴿فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا منسِيًّا (23) فَنَادَاها مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِط عَلَيْكِ رُطَبًا جَنيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ للرحمٰن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِمَ الْيَوْمَ إِنسيًّا﴾.[2]

---

[1]. سورة مريم:30-33 .

[2]. سورة مريم: ٢٣ - ٢٦.

فَالْمَسِيح طَمْأَن أُمَّه بَعْدَما وَلَدَتْه، وهَذَا مِن أَوَّلِ عَلَامَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ، فَأَمَرَهَا بتناول الرطب، وشُرب الْمَاءِ مِنَ السَّرِي وهُو جَدولُ الْمَاءِ، كَمَا أَوْصَاها بأَنْ تَعْتَذِر لِقَوْمِها عَنْ إِجَابَتِهِم إذَا سَأَلُوهَا عَنْهُ مِنْ أَيْن أَتَتْ به بأَنَّهَا صَائِمَةٌ، وَكَانَ الصَّومُ فِي شَرِيعَتِهِم هُو الإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلامِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَرْيَمُ مِنْ وَلَدِها هَذِهِ الْمُعْجِزَاتِ عَرَفَت أَنَّه نَبِيٌّ، فَأَيْقَنتْ بوعَدِ رَبِّهَا، وفَعلتْ ما أَمَرَهَا به ولَدُهَا، لأَنَّه لا يُمْكنْ أَنْ يَتَكَلَّم صغيرها بِهَذَا الْكَلامِ العَظِيمِ إِلَّا بِوحْيٍ مِنَ اللَّهِ، فَحَصَلَت لَهَا الطُّمأنينة القلبية، وقَامَتْ مِنْ مَكَان وضْعِهَا، ورجعت إلى قَوْمِهَا، فَلَمَّا رَأَوْهَا حَامِلةً ولَدَها الرَّضِيع سَأَلُوهَا مُسْتَغْربين: (مِنْ أَيْن لَكِ هَذَا الصَّبِيُّ الْمَولُود، فَأَنْتِ مِنْ بَيْتِ دِينٍ وشَرَفٍ، ومِثْلُكِ لا يَفْعَل الفَاحِشَةَ؟!)، فَكَانَ رَدُّهَا لَهُمْ هُو رَدُّ الْواثِقَة بِرَبِّهَا، أَنْ أَشَارَت إِلى صَبيّها أنِ اسْألُوه، فَهُوَ الَّذِي سَيَتَولَّى الإِجَابَةَ عَنْ سؤالِكُم، فَاسْتَغْرَبُوا ذَلِكَ الْجَوابِ مِنْهَا، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْمَعْهُودِ أَنْ يَتَكَلَّم مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ أَوْ يُجِيب عَنْ أَسْئلةِ مَنْ حَوْلَهُ، فَتَكَلَّم عليه السلام بِكَلامٍ عَظِيمٍ أَزَالَ عَنْهُم الدَّهْشَة، فكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّم بِهِ هُو الإِقْرَارُ بِأَنَّه عَبدٌ للهِ، حَيثُ قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، أَيْ: لَسْتُ مَعْبودًا، ولا ابنًا للهِ، بَلْ عَابِدٌ للَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ءاتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ ؛ أي الإنجيل، وقد قَضَى اللَّهُ بِأَنْ يُؤْتِيَه هَذَا الْكِتَابَ إِذَا كَبِرَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، أَيْ: مُرْسَلًا إِلَيْكُم ، ولمْ يَقُلْ: (جَعَلني إلـها)، ولَمْ يَقُل: (جَعَلَنِي ابنَ الله)، ولا غَيْر ذَلِكَ مِنَ الأقوالِ الَّتي قَالَهَا الْمَسِيحِيُّونَ عَنْهُ بَعْدِ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ، بَل قَال: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31)

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.[1]

فلما قال المسيح مقالته عَلِمُوا أَنَّه نَبِيٌّ، والنَّبِيُّ لا يَتَكَلَّم إِلَّا بِالْحَقِّ، فَحَصَلت الطمأنينة النهائيَّة لِمَرْيَمَ فِي ذَلِكَ الْمَوقِف، وكَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَم بِرِّ المسيح بوالدته.

خَاتِمَةُ قِصَّة مَرْيم

وبَعْدَمَا سَرَدَ الرَّبُّ هَذِه القِصَّة العَظِيمة فِي القُرْآنِ قَالَ بَعَدهَا مُبَاشَرةً: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُون (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون (35)﴾.

ومعنى هاتين الآيتين: أَنَّ هَذَا الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد هُو خَبَرُ وقِصة الْمَسِيح عِيسَى ابْنِ مَرْيم التي وقَعَ فِيهَا الشَّكُ وَالارْتِيَابُ عِنْد طَوائِفِ النَّصَارَىٰ (الْمَسِيحيين)، فَانْقَسَمُوا فِرَقًا وأَحْزَابًا.

[1]. سورة مريم: ٣٠ - ٣٣.

وليُلاحَظُ القَارِئ أَنَّ اللهَ نَسَبَ المسيح إلى أُمِّه مَرْيَمَ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، لأَنَّه ابنُ مَرْيَمَ وَلَيْسَ لهُ أبٌ، ولَوْ كَانَ اللهُ أبوه لَنَسَبه إِلى نَفْسِهِ، لأَنَّ الْمَقامِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، ولأنه شرفٌ له لو كان حقا، فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الإِنسَان يُنسب إلى أبيه، فَلَمَّا عُدِم ذَلِكَ فِي حَالَةِ الْمَسِيحِ نَسَبه الله إلى أُمَّه فَقَال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم﴾.

ثم أكد اللهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾؛ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّخِذ ولدًا، لأنَّ اتِّخَاذَ الْوَلَدِ يَلْزَم مِنْه أَنَّ اللَّهَ مُحْتَاجٌ إِلَى خَلْقِهِ، وَهَذَا يَتَنَافَى مَعَ كَوْنِ الرَّبِّ غنيًّا عَنِ العَالَمِينَ كُلهم، إِذْ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُم وأَوْجَدَهُم، فَكَيْفَ يَصِيرُ مُحْتَاجًا لَهُم بَعْدَ ذَلِكَ؟

ولِهَذَا قَالَ اللهُ بَعْدَها: ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أَيْ: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَتَنَزَّه.

ثمَّ قَالَ فِي خِتَامِ هَذَا الْمَقْطَع: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وهَذا كَقولِه في الآية الأُخْرَى في سُورة آلِ عِمْران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِن ربِّكَ فَلَا تَكُن منَ الْمُمْتَرِين (60)﴾.[1]

أَيْ: لَا تَكُونَنَّ يَا محمَّدُ مِنَ الشَّاكِّين في خَبر الْمَسِيح، فَقَد جَاءَك الْحَقُّ مِن رَبِّكَ.

[1]. سورة آل عمران: ٥٩، ٦٠.

بيان اضْطِرابُ النصارى في عقيدتهم في مكانة مريم وطبيعتها اضطرابًا شديدًا

انقسم النَّصَارَى فِي اعْتِقَادِهم فِي أمه مريم العَذْرَاء إِلَىٰ طَوائِفَ، فَقَد اخْتَلَفَتِ الطَّوائفُ الكُبرى الثَّلاث مِن طَوائِف النَّصَارَى حَوْلَ مَرْيم العَذْرَاء اختلافًا كَبِيرًا.

حَيثُ يَرَى فِيهَا الأَرْثُوذكس أَنَّهَا وُلِدت كَأَي إِنْسَانٍ آخَرَ حَامِلَةً للخطيئة، ومِثْل الأَنبياء والقِدِّيسين.

وأَمَّا الكَاثوليك فَيعْتَقِدُون أَنَّها بَريئةٌ مِنَ الْخَطِيئة مِثل الْمَسِيح وبلا دنس، ويَعْتَقِدُون أَنَّهَا صَعدت حَيَّةً إِلى السَّمَاء، وهم يعظمونها تعظيمًا شديدا، ويعبدونها، ويصنعون لَهَا التَّمَاثِيل في كنائسهم، ويُصَلُّون لَهَا، ويَعْتَقِدُون بِالثَّالوث المَرْيَمِي حَتَّى فِي الصَّلَواتِ، ويَدْمجُونَهَا مَعَ الثَّالوث الأَقْدس عِنْدَهُمْ.

وأما البروتستانت فَيَعْتِبرونَهَا مَخْلُوقَة عَادِيَّة كَغِيرهَا، وَيَعْتَقِدُون أَنَّها أَمُّ يَسُوع، فَهِي لَمْ تَلِد اللاهوت، وإِنَّمَا وَلَدَت جَسَدًا فَقَطْ، وقَالَ بَعْضُهم: إِنَّهَا قِشْرَةُ الْبَيْضَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْها الْكَتْكُوت.

وقد اتَّفَق الأَرْثُوذُكس والكاثوليك عَلَى بُتوليَّةِ الْعَذْراء - أَي: انْقِطَاعِها عَن الرجال - وعَدَم وجُودِ إخوةٍ للمَسِيح بِالْجَسَد.

وأما القساوسة الأَوَّلِين فَنَادَوا بِأَنَّ مَرْيَمَ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الْخَطِيئة الأَصْلِيَّة مِثل الْمَسِيح، ويَرَوْن أَنْ مَكَانَتَها تَتَلَخَّص في كَوْنِهَا أَمُّ اللَّهِ، فَهُم يُكَرِّمُونَهَا وَيَقُومُون بَعَمِلَ صَوْمٍ لَهَا وَأَعْيَادٍ فِي الْوقتِ نَفْسِهِ.

وأَمَّا الْيَهُودِ فَهُمْ عَلَى الْجَانِبِ الآخَر تَمامًا، فَهُم يَرُون أَنَّهَا ارْتَكَبتِ الزِّنَا، قبَّحهم الله، وحَمَلَت بِالمسيح ووَلَدَتْهُ.

ثمَّ جَاءَ الإِسْلامُ فَحَسَم هَذَا الاضْطِرابَ الْمُشِينَ فِي الاعْتِقَادِ بِمَرْيَم الْعَذْرَاء، فَبَيَّن القُرْآنُ أَنها كَانتْ عَابِدةً للهِ، شَرِيفةً صِدِّيقَةً تَقِيَّةً نَقِيَّةً، لَمْ تَعْبُدْ غَيْر اللهِ، ولَمْ تَدْعُ النَّاسَ إِلى عِبَادَتِهَا ولا عِبَادَة ابْنِهَا، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُها فِي مَقَام الاحترام والتبجيل في ٣١ مَوْضِعًا مِنَ القُرآنِ، وَوَرَدَ ذِكْرُ اسْمَ ابْنَهَا المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي القُرْآنِ ٢٥ مرةً، ووَرَدَ ذِكْرُه بِوصْفِهِ (الْمَسِيح) ٩ مَرَّاتٍ، كُلهَا في مَقَام الاحترام والتَّعْظِيم والتبجيل، ولَكِن هَذَا الاحترام والتَّعْظِيمِ هُو بِالقَدْر اللائق بالبَشَرِ، فَلا يَتَضَمَّن اعْتِقَاد أَنَّ لَهُمَا شَيْئًا مِنْ صِفَات وخصائص الربوبية أو الألوهِيَّة، بَلْ هُمَا بَشَرٌ مِثْلنا، يَعْبُدُونَ اللهَ كَمَا نَعْبُدُه نَحْن، ويَرْجُونَهِ الْجَنَّةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ كَمَا نَرْجُوهُ نَحْنُ.

ومن الدَّلائِل عَلَى فَضْل مَرْيم فِي دِين الإِسْلامِ أَنَّ سُورتينِ كَامِلَتَينِ مِن سُوَرِ القُرآنِ سُمِّيَتا بِاسْمها واسْمِ عَائِلتِها، الأُولى سُورة «مَرْيَمَ»، والثَّانِية سُورة «آل عِمْرَان».

****

الأحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في فضائل مريم ابنة عمران

هذا شيء من فضائل مريم ابنة عمران كما وردت في أحاديث النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

١. عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خط أربعة خطوط ثم قال:

أتدرونَ لِمَ خَطَطْتُ هذه الخطوط؟ قالوا: لا.

قال: «أفضل نساء الجنة أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مُزاحِم».[1]

خَدِيجَةُ بِنْتُ خوَيْلِد هي زوجة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

وفاطمة بنت محمد هي ابنته.

وآسية بنت مُزاحِم هي زوجة فرعون.

٢. وقَالَ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم):

[1]. رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٢)، وصححه محققوه.

كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٍ، وَلَمْ يَكْمُل مِن النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.[1]

عَائِشَة هي زوجة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، والثريد نوع من أطيب الطعام.

٣. وقال النبي محمَّد (صلى الله عليه وسلم):

خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَخَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَان.[2]

يعني بقوله (خير نسائها) أي نساء الجنة.

٤. وقالت أُمُّ سَلَمَةَ، زوجُ النبي (صلى الله عليه وسلم): إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) دَعَا فَاطِمَةَ عَامَ الفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا فَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَان، فَضَحِكْتُ.[3]

أي أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بنت عمران فهي أعلى منها في المنزلة.

---

[1] رواه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
[2] رواه البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
[3] رواه الترمذي (٣٨٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٥٦).

فهرس القسم الثاني من الفصل الأول

ب. أخبار المسيح عيسى ابن مريم

1. **تكريم المسيح في القرآن**
2. **وصف الله للمسيح بأنه كلمة الله وروحٌ منه**
3. **تكريم المسيح في أحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)**
4. **حال بني إسرائيل قبل بعثة المسيح إليهم**
   - **بنو إسرائيل يقتلون النبيين**
   - **بنو إسرائيل يحرفون التوراة**
5. **مرحلة شباب المسيح ونبوته**
6. **المسيح يجمع تلاميذه الصادقين لما اشتد إعراض قومه عن دعوته**
7. **استشعار المسيح لخطر القتل الذي كان اليهود يخططونه له**
8. **دلالة الإنجيل على رفع المسيح دون أن يمسه أذى**
9. **ذِكْرُ الدليل القرآني على رفع المسيح عيسى إلى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ، وبيان قصة الرفع، وَبَيَانُ خطأِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي دَعْوَى الصَّلْبِ**
10. **لماذا يكره اليهود المسيح؟**

11. **حال بني إسرائيل بعد رفع المسيح وظهور بولس**
12. **تحريف بني إسرائيل للتوراة والإنجيل بعد رفع المسيح يعتبر من أعظم عوامل تحريف دين موسى والمسيح – عليهما السلام**
13. **نزع الله للنبوة من بني إسرائيل**
14. **مكانة المسيح عند اليهود والنصارى والمسلمين**

ب - أخبار المسيح عيسى ابن مريم

تكريم المسيح في القرآن

ورد ذكر اسم النبي (عيسى) في القرآن خمسا وعشرين مرة، كما ورد ذكره باسم (المسيح) تسع مرات، بينما لم يُذكر اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرآن إلا أربع مرات.

وقد ورد ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن بعدة ألقاب ومسميات وهي: عيسى ابن مريم، ابن مريم، المسيح، عبد الله، رسول الله.

كما ورد ذكر اسم أمه (مريم) إحدى وثلاثين مرة في القرآن، بينما لم يُذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو زوجاته.

كما يجدر التنبيه إلى أن (مريم) قد سُمِّيت باسمها إحدى سور القرآن، بينما لم تُسَمَّ سورة واحدة باسم إحدى بنات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو زوجاته.

وقد وَرَدَت كل تلك التسميات للمسيح وأمه في القرآن في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بهما، دون اعتقاد أن لهما شيئًا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يَعبُدَانِ الله كما يعبده غيرهم، ويرجوانه الجنةَ والنجاة من النار كما يرجوه غيرهم.

ليس هذا فحسب، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أُولي العزم من الرسل، والعزم هو الصبر والحزم.

وأولو العزم من الرسل هم أعظم الرسل، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا).

****

وصَفُ الله للمسيح في القُرْآن بأَنه «كَلِمَة الله» و «رُوحٌ منه»

جَاءَ وَصْفُ الْمَسِيح فِي القُرْآنِ بِأَنَّه «كَلِمَة اللَّهِ»، لأنَّه خُلِقَ بِكَلِمة الله «كُنْ»، فكان المسيح في بطن أُمَّهِ، فَكَان تَأْثِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَة بِمَنْزِلَة مَاءِ الرَّجُلِ إِذَا الْتَقَى بِمَاء الْمَرْأَة فِي رحِمِها فحملت طفلًا.

كَمَا جَاءَ وَصْفُ الْمَسِيح بِأَنَّه «رُوحٌ منه»، أي أن روح المسيح مِنْ عِنْد الله، خَلَقَهَا اللهُ كَأَرْواحَ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ نَاصِحًا أَهْلَ الْكِتَاب وهُم اليهود والنصارى (المسيحيون):

﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلـه وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

[1]. سورة النساء: ١٧١-١٧٣.

الأحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في فضائل المسيح عيسى ابن مريم وأخباره، عليهما جميعًا أفضل الصلاة والسلام[1]

الحديث الأول:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وذكر باقي الحديث.[2]

****

الحديث الثاني:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، والأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نبي).[3]

قوله (أولاد علات) فيه تشبيه للأنبياء بالأبناء من أب واحد وأمهات شتى، فالأمهات هن الشرائع وفيها يحصل الاختلاف، مثل كيفية الصلاة والصوم ونحو ذلك، والأب هو أصول الاعتقاد، وهو المواطن المتفق عليها بين جميع شرائع الأنبياء، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

---

[1]. اقتصرت هنا على ذكر الأحاديث التي لم تُذكر في ثنايا البحث، طلبا للاختصار وعدم التكرار.

[2]. رواه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3]. رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

****

الحديث الثالث:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

(إذا أدَّب الرجلُ أَمَتَه فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران، وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربَّه وأطاع مواليه[1] فله أجران).[2]

****

الحديث الرابع:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

(لا تُطرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله)[3].

الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والثناء، كقول إن عيسى ابن مريم هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة.

والنصارى هم أتباع النبي عيسى ابن مريم، وهم المعروفون بالمسيحيين، وهم إنما سُمُّوا نصارى لتناصرهم فيما بينهم، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعًا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيونَ نَحْنُ أَنصَارُ

---

[1]. أي أسياده.

[2]. رواه البخاري (٣٤٤٦) ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[3]. رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اللَّهِ﴾، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها «ناصرة» بفلسطين، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

****

الحديث الخامس:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

(يَقتل ابنُ مريم الدجالَ بباب لُد).[1]

(بابُ لُد) قرية في فلسطين.

****

الحديث السادس:

قال النَّبِيُّ محمد (صلى الله عليه وسلم):

(رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟

قَالَ: كَلا واللَّهِ الَّذِي لَا إله إلا هُوَ.

فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عيني).[2]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَجِيَّةٍ طَاهِرَة، حَيْثُ قَدَّمَ حَلِفَ ذَلِكَ الرَّجُل - وَظَنَّ أَنْ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِعَظَمَةِ اللهِ كَاذِبًا - عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْهُ عِيانًا، فَقَبلَ عُذْرَهُ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِاللهِ، أَي صَدَّقْتُكَ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي لِأَجْل حَلِفِك.

****

[1] رواه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٤)، واللفظ له.

[2] رواه البخاري (3444) ومسلم (2368).

الحديث السابع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيْ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):

(تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا[1]، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[2]، فَأَوَّلُ الخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾[3].[4]

****

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ سَلْمَان الفارسي رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَتْرَةٌ مَا بَيْنَ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما وَسَلَّمَ)، سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ.[5]

****

وَذَكَر المؤرخ ابْنُ جَرِيرٍ عَن المؤرخ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى الحَوَارِيِّينَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ بِأَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ

---

[1]. غُرلًا أي غير مختونين.

[2]. سورة الأنبياء: ١٠٤.

[3]. سورة المائدة: ١١٧-١١٨.

[4]. رواه البخاري (3447) ومسلم (2860).

[5]. رواه البخاري (٣٩٤٨).

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَيَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ مِنَ الأَقَالِيمِ مِنَ الشَّامِ وَالمَشْرِقِ وَبِلَادِ المَغْرِبِ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ أَصْبَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ المَسِيحُ إِلَيْهِمْ.

****

حَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْل بِعثةِ المسيح إِلَيْهِم

مُقَدِّمَة

كانتِ النُّبوة لا تَنْقَطِع فِي بَني إِسْرَائِيل، وكَانُوا مُلوكًا، وأسبغ الله عليهم نِعما كثيرة، كَمَا قَالَ اللهُ فِي سُورَة الْمَائِدة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِين﴾.[1]

ولكن بنو إِسْرائيلَ لَمْ يَحْمَدُوا اللهَ عَلى هَذِهِ النِّعْمَة، فَقَدْ بَلَغُوا فِي الطُّغْيَانِ مَبْلَغًا عَظِيمًا، وقَسَتْ قُلُوبُهُم، ونَسُوا مَا ذُكِّروا به، وشَاعَ بَيْنَهم الرِّبَا وَالزِّنَا، وَكَانُوا يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُون بِالقِسْط مِنَ النَّاسِ، بَلْ ويَقْتُلُونَ النَّبيين، وحَرَّفوا مَا بِأَيْدِيهِم مِنَ التَّوْرَاةِ، فَاجْتَرءوا عَلَى كِتَابِ اللهِ وعَلَى أَنْبِيائِهِ جُرْأَةً عَظِيمةً لمْ يَجْتَرئهَا أَحدٌ قَبْلَهم، فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيهِم المسيح فَلَمْ يُؤْمِنُوا بنبوته، مَعَ أَنَّ اللهَ أَيَّدَه بِمُعْجِزَاتٍ كَثِيرةٍ تَدلُّ عَلَى نُبُوتِه، فَقَرَّرُوا قَتْله، ولكن اللهَ حَمَاه مِنْهُم، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ فِي السَّمَاء مُعززا مكرما.

[1]. سورة المائدة: ٢٠.

قال اللهُ تَعَالَى عَن أَهْلِ الْكِتابِ (الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون﴾[1].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رحمه الله في تفسير هذه الآية:

نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِين حَمَلُوا الْكِتَابَ مِن قبلهم مِنَ اليهود والنصارى، لَمَّا تَطَاول عَلَيهِم الأَمَدُ[2] بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِم واشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ونَبَذُوه وَرَاء ظُهُورِهم، وأَقْبَلُوا عَلَى الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَة والأَقْوَالِ الْمُؤْتفكة[3]، وقَلدُوا الرِّجَال فِي دِينِ اللهِ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهم ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا[4] مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَعِند ذَلِك قَسَتْ قُلُوبُهم، فَلا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، ولا تَلِين قُلُوبُهم بوعد ولا وَعِيدٍ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون﴾؛ أي فِي الأَعْمَال، فَقُلوبُهُم فَاسِدةٌ، وَأَعْمَالَهُم بَاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ﴾[5]؛ أي:

---

[1]. سورة الحديد: ١٦.

[2]. (طال عليهم الأمد) أي: طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال يقينهم. قاله ابن سعدي في تفسير الآية.

[3]. المؤتفكة أي: المكذوبة.

[4]. أربابًا: جمع لكلمة (رب).

[5]. سورة المائدة: ١٣.

فَسَدَت قُلُوبُهُم فَقَسَت، وصَارَ مِنْ سَجِيَّتِهِم تَحْرِيفُ الْكَلِم[1] عَنْ مَواضِعه، وترَكُوا الأَعْمَالَ الَّتي أُمِرُوا بِهَا، وَارْتَكَبُوا مَا نُهُوا عَنْهُ، وَلِهَذَا نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِم فِي شَيْءٍ مِنَ الأُمورِ الْأَصْلِيَّةِ والفَرْعِيَّةِ.

وروى ابن أبي حاتم عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال:

إنَّ بني إِسْرَائِيل لَمَّا طَالَ عَلَيهم الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم اخْتَرَعُوا كِتابًا مِنْ عِند أَنْفُسِهم، اسْتَهُوتُه قُلوبهم، واستحلَته أَلْسِنَتُهم واسْتَلَذَّته، وكَانَ الحَقُّ يَحول بَينهمْ وبَينَ كَثِيرٍ مِنْ شَهَواتِهم، فَقَالُوا : (تَعالُوا نَدْعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى كِتَابِنَا هَذَا، فَمَن تَابَعَنا عَليه تَرَكْنَاه، ومَنْ كَرِه أَنْ يُتابعنا قَتَلْنَاه)، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ فَقِيهٌ[2]، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُون عَمَد إِلى مَا يَعرِف مِن كِتَابِ اللهِ فَكَتَبه في شَيْءٍ لَطيف، ثمَّ أَدْرَجَه، فَجَعَله في قَرْنٍ[3]، ثمَّ عَلَّقَ ذَلِكَ القَرْنَ فِي عُنُقِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا القَتْل قَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: يَا هَؤلاءِ، إِنَّكُم قَدْ أَفْشَيتُم القَتْلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل، فَادْعُوا فُلانًا فَاعْرِضُوا عَلَيْهِ كِتَابَكم، فَإِنَّه إِنْ تَابَعَكُم فَسَيُتابِعُكُم بَقيَّةُ النَّاسِ، وإِنْ أَبَى فَاقْتُلُوه.

فَدَعوا فُلانًا ذَلكَ الفَقِيهِ فَقَالُوا: تُؤْمِن بِمَا فِي كِتَابِنَا؟

---

[1]. الكَلِم أي: كلام الله المُدوَّن في التوراة والإنجيل.

[2]. فقيه أي عنده علم وفقه في الدين.

[3]. القرن شيء مجوف مثل الأنبوب، يشبه قرن الحيوان.

قَالَ: وَمَا فِيهِ؟ اعْرِضُوه عَلَي.

فَعَرَضُوه عَلَيْهِ إِلى آخِرِه، ثمَّ قَالُوا: أَتُؤْمِنُ بِهَذَا؟ قَالَ: (نَعَم، آمَنتُ بِمَا فِي هَذَا) - وأَشار بيده إلى القَرن – فَتَرَكُوه.[1]

فَلمَّا مَات نَبَشُوه فَوجَدُوه مُتَعلّقا ذَلِك القَرن[2]، فَوجَدُوا فِيهِ مَا يُعرف مِن كِتَاب اللهِ، فَقَالَ بَعْضُهِم لِبَعْضٍ: يَا هَؤلاءِ، مَا كُنَّا نَسْمَع هَذَا، أَصَابَه فِتْنَةٌ.[3]

فَافْتَرَقَتْ بَنو إِسْرَائِيل عَلى ثِنتين وسَبْعِينَ مِلةً، وخَيْرُ مِلَلِهم مِلةُ أَصْحَاب ذِي القَرْنِ.

قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: (وإِنَّكُم أَوْشَكَ بِكُم إِنْ بَقِيتُم (أَوْ: بَقِي مَنْ بَقِي مِنْكُم) أَنْ تَرَوْا أَمُورًا تُنْكِرُونَهَا، لا تَسْتَطِيعُون لَهَا غِيَرًا[4]، فبِحَسْبِ الْمَرْء مِنْكُم أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِن قَلْبِهِ أَنَّهُ لَهَا كَارِهٌ).

وروى أبو جَعْفَر الطَّبَرِيُّ عَنْ عتريس بنِ عَرْقُوب أَنَّه جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:

---

[1]. الرجل أشار إلى القرن، وظنوا أنه أشار إلى كتابهم، فلهذا تركوه، وصاحب القرن فعل هذا تمويها عليهم حتى ينجو من القتل دون أن يكذب عليهم صراحة، لأن الكذب قبيح في جميع الشرائع.

[2]. أي علقه على رقبته.

[3]. معنى كلامهم أنهم ما كانوا يسمعون هذا الكلام الذي هو مكتوب في القرن، وأن الرجل أصابته فتنة في دينه.

[4]. غِيَرًا أي: تغييرًا.

يَا عَبْدَ اللهِ، هَلَكَ مَنْ لَمْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَر.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِف قَلبُه مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكِر قَلبُه مُنْكَرًا، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل لمَّا طَالَ عَليهم الأَمَدُ وقَسَتْ قُلُوبُهُم اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِم وأَرْجُلِهِم، اسْتَهْوته قُلوبهم، واستحْلَته أَلْسِنَتُهم، وقَالُوا: نَعْرِض بَنِي إِسْرَائِيل عَلَى هَذَا الْكِتَابِ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ تَرَكْنَاهِ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ قَتَلْنَاه.

قَالَ: فَجَعَل رَجلٌ مِنْهُمْ كِتَابَ اللهِ فِي قَرْنٍ، ثمَّ جَعَل القَرْنَ بَينَ ثِنْدِوتَيْهِ[1].

فَلَمَّا قِيلَ لَهُ: أَتُؤْمِن بِهَذَا؟

قَالَ: آمَنتُ به - ويُومِئ إِلى القَرْنِ بَينَ ثنْدِوتَيْهِ - ومَا لِي لَا أَؤْمِنُ بِهَذَا الْكِتَاب؟!

فَمِن خَير مِلَلِهِم الْيَوم مِلَّةُ صَاحِبِ الْقَرْنِ.

انتهى النقل عن ابن كثير، بتصرف يسير واختصار.

****

[1]. أي: ثدييه.

بَنُو إِسْرَائِيلَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ

قال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أليم﴾.[1]

قَالَ ابنُ كَثِير رحمه الله في تَفسِير هذه الآية:

هَذَا ذم مِنَ اللَّهِ تَعَالى لأَهْلِ الْكِتَاب بمَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ فِي تكذيبهم بِآيَاتِ اللهِ قَديمًا وحديثًا، التي بلَّغتهم إِيَّاهَا الرُّسُلِ، اسْتِكْبَارًا عَلَيهِمْ وعِنَادًا لَهُم، وتَعَاظُمًا عَلَى الْحَقِّ واسْتِنْكَافًا عَنِ اتباعه، ومَعَ هَذَا قَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنَ النَّبيينَ حِينَ بلَّغوهم عَن اللهِ شَرْعِهِ، بِغَير سَبَب ولا جَريمَةٍ مِنْهُم إِلَيْهِمْ، إِلَّا لِكَونِهِمْ دَعَوهُمْ إِلَى الْحَقِّ.

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، وَهَذَا هُو غَايةُ الكِبر، كَما قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[2] وغَمْطُ النَّاسِ.[3][4]

---

[1]. سورة آل عمران: ٢١.

[2]. بَطَرُ الحق أي: رَدُّه. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[3]. غَمْطُ الناس أي استحقارهم. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[4]. رواه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَة بنِ الْجَرَّاحِ رَضِيْ الله عنهُ، قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ؟

قَالَ: رَجلٌ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.[1]

ثمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِين﴾[2].

ثمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، قَتَلَتْ بَنو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ واحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَة رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ونَهُوهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ[3]، فَقُتِلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

ورواه ابنُ جَرِيرٍ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل».

---

[1]. معنى الجملة هو: (رجل قتل نبيا، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر).

[2]. سورة آل عمران: ٢١، ٢٢.

[3]. أي قام الناصحون من بني إسرائيل فأمروا من قتل الطائفة الأولى بالمعروف ونهوهم عن المنكر.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَمَائَة نَبِيٍّ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وأَقَامُوا سُوقَ بَقْلِهِم مِنْ آخِرِه»[1]. رواه ابنُ أَبي حاتم.

ولِهَذَا لَمَّا أَنْ تَكَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ واسْتَكْبَرُوا عَلَى الْخَلْقِ، قَابَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذلِك بالذلة والصَّغار[2] فِي الدُّنيا، والعَذَابِ الْمُهِينِ فِي الآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أَيْ: مُوجِع مُهِين.
﴿أُوْلَئكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن ناصرين﴾.[3]
انْتَهَى كَلامُ الْحَافِظ ابن كَثِيرٍ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ.

قلتُ: وروى ابنُ أبي حاتم في «تَفْسِيره» عَنْ قَتَادَة فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، قَالَ: «هَؤلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ، كَانَ أَتْبَاعُ الأَنْبِياءِ يَنْهَونَهُمْ ويُذَكِّرُونَهُم بِاللَّهِ فَيَقْتُلُونَهُم».

---

[1]. أي أنهم أقاموا سوقهم الذي يبيعون فيه البقل في آخر النهار، وكأنَّ الذي فعلوه من قتل ثلاثمائة نبي في أول النهار شيئًا عاديًا.
[2]. الصَّغار هو الذلة والحقارة.
[3]. سورة آل عمران: ٢٢.

وقَالَ اللهُ فِي الْيَهُود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُون﴾[1].

قَالَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله في تفسير هذه الآية:

وقَوْله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾:

يَقُول تَعَالَى: هَذَا الَّذِي جَازَيْنَاهُم مِنَ الذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ وَإِحْلالِ الغَضَبِ بهم مِنَ الذِّلَّةَ بِسَبَبِ اسْتِكْبَارِهِم عَنِ اتِّبَاعِ الْحقِّ، وكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاهَانَتِهِم لِحَمَلَةِ الشَّرْعِ وهُم الأنبياء وأَتْبَاعهم، فَانتَقَصُوهُم إِلَىٰ أَنْ أَفْضَىٰ بِهِم الْحَالَ إِلَىٰ أَنْ قَتَلُوهُمْ، فَلا كُفْرَ أَعْظَم مِنْ هَذَا، إِنَّهُم كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاء اللَّهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ولِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَتِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».

انتهى النقل عن ابن كثير رحمه الله.

****

[1] سورة البقرة: ٦١.

بَنُو إِسْرَائِيل يُحَرِّفون التَّورَاة –
دَلالَةُ القُرآن عَلى تَحْرِيفِ التَّوراة الأَصْلِيَّة

قَالَ الله تَعَالى في وصفِ الْيَهُود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾[1].

قَالَ الشَّيخُ عَبدُ الرحمٰن بن سَعْدي الله في تفسير هذه الآية:

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ؛ أَيْ: بِسَبَبِه[2] عَاقَبْنَاهُم بِعِدَّة عُقُوبَاتٍ:

الأولى: أَنَّا لَعَنَّاهُمْ؛ أَيْ: طَرَدْنَاهُم وأَبْعَدْنَاهُم مِنْ رَحْمَتِنَا، حَيثُ أَغْلَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِم أَبْوابَ الرَّحْمة، ولمْ يَقُومُوا بِالْعَهْدِ الَّذِي أُخِذ عَليهِم، الَّذِي هُو سببها الأَعْظَم.

الثانية: قَوْلُه: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، أَيْ: غَلِيظَةً لا تُجْدِي فِيهَا الْمَواعِظ، ولا تَنْفَعُها الآيَاتُ والنُّذُر، فَلا يُرَغِّبُهم تَشْوِيقٌ، وَلَا يُزعجهم تخويف، وهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقوبَات عَلَى الْعَبْد أَنْ يَكُون قَلْبُهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي لَا يُفِيدُهِ الْهُدَى وَالْخَيرُ إِلَّا شَرًّا.

---

[1]. سورة المائدة: ١٣.

[2]. أي: بسبب النقض.

الثَّالِثة: أَنَّهُم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي: ابْتُلُوا بِالتَّغيير والتبديل، فَيَجْعَلُونَ لِلْكَلِمِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ مَعْنىٰ غَيْرَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُه.

الرابعة: أَنَّهُم نَسُواْ حَظًّا مَمَا ذُكِّرُواْ بِهِ، فَإِنَّهُم ذُكِّرُوا بِالتَّوراة، وبمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، فَنَسُوا حَظًّا مِنْه، وَهَذَا شَامِلٌ لِنسْيَان عِلْمِهِ، وَأَنَّهُم نَسُوه وضَاعَ عَنْهُم، ولمْ يُوجَدْ كَثيرٌ مِمَّا أَنْسَاهُم اللَّهُ إِيَّاه عُقُوبَةً مِنْهُ لَهُم، وشَامِلٌ لِنِسْيانِ الْعَمْلِ الَّذِي هُو التَّرْكُ، فَلَمْ يُوفَّقُوا للْقِيَامِ بِمَا أُمِرُوا بِه.

ويُسْتَدَل بِهَذَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَاب بِإنكَارِهِم بَعْض الَّذِي قَدْ ذُكِر فِي كِتَابِهم، أو وَقَعَ فِي زَمَانِهِم، أَنَّهُ مِمَّا نَسُوه.

الخامسة: الْخِيانَةِ الْمُسْتَمِرة الَّتي ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائنَةٍ مِنْهُمْ﴾؛ أَيْ: خِيانةٍ للهِ ولِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين.

ومِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَة مِنْهُم كَتْمُهُم الْحَقَّ عَمَّن يَعِظُهم ويُحسِن فِيهم الظَّنَّ، وإِبْقَاؤُهُم عَلَى كُفْرِهم، فَهَذِهِ خِيَانَةٌ عَظِيمَةٌ.

وهَذِهِ الْخِصَالُ الذمِيمَة حَاصِلةٌ لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِصِفَاتِهم، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَقُم بمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وأَخَذَ بِه عَليهِ الالتزام؛ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ من اللعنة وقسوة القلب والابتلاء بتَحْرِيفِ الكَلِم، وعدم التوفيق للصَّواب، ونِسْيانِ حظٍّ مِمَّا ذُكِّر به، وأَنَّه لا بد أن يُبتلى بالْخِيَانَة، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيةَ.

وسَمَّى اللهُ تَعَالَى مَا ذُكِّروا بِه حَظًّا، لأنَّه هُو أَعْظَمِ الْحُظُوظ، وَمَا عَدَاهُ فَإِنَّمَا هِي حُظوظٌ دُنْيويةٌ.

انْتَهى كَلامه رحمه الله مِنْ كِتابه «تَيْسِير الْكَرِيمِ الرحمٰن فِي تَفْسِير كَلام الْمَنَّان»، بتصرف يسير.

****

وقَدْ زَجَرَ اللهُ الْيَهُود ووبَّخَهم عَلى إِخْفَاء الْحَقِّ الْمَذْكُورِ فِي التَّوراة فَقَال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرا﴾[1]، ومَعْنى الآية: أَنَّكُم أَيُّهَا الْيَهُودُ تَجْعَلُونَ هَذَا الْكِتَاب فِي قَرَاطِيسَ مُتَفَرِّقَةٍ، تُظْهِرُون بَعْضَهَا، وتَكْتُمُون كَثِيرًا مِنْهَا، وَمِمَّا كَتَمُوه: الإِخْبَار عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) ونُبُوَّتِه.

قَالَ الشَّيخُ عَبْدُ الرحمٰن بن سَعْدي الله في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، وهو التَّوراة العظيمة، نُورًا فِي ظُلُمَاتِ الْجَهل، وَهُدًى مِنَ الضَّلالة، وهَادِيًا إِلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عِلْمًا وعملا، وهو الْكِتَابُ الَّذِي شَاعَ وذَاعَ، ومَلأَ ذِكْرُه القُلُوبَ والأَسْماع، حتَّىٰ إِنَّهُم جَعَلُوا يَتَنَاسَخُونَه فِي القَرَاطِيس[2]، ويَتَصَرَّفُون فِيه

[1]. سورة الأنعام: ٩١.
[2]. أي: يكتبونه في القراطيس، وهي الأوراق.

بِمَا شَاءُوا، فَمَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُم مِنْه أَبْدَوه وأَظْهَرُوه، ومَا خَالَفَ ذَلِكَ أَخْفَوهُ وَكَتَمُوه، وذَلِكَ كَثِير.

انْتَهَى كَلَامُهُ رحمه الله مِنْ كِتَابِهِ «تَيْسير الْكَرِيمِ الرحمٰن فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّان».

****

وقَالَ اللهُ تَعَالَى مُبينًا تَحْريفَ الْيَهُود للتّورَاة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[1].

****

وقَالَ الله تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ أَيْضًا: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾[2]. والْمَقْصُود بقَوْله: الَّذِينَ هَادُوا؛ أَي الْيَهُود.

****

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ أَيْضًا: ﴿يا أيها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه﴾.[3]

---

[1]. سورة البقرة: ٧٥.
[2]. سورة النساء:٤٦.
[3]. سورة المائدة: ٤١.

****

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُود: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[1].

وتَفسِيرُ الآية: وإنَّ مِن الْيَهُود لجماعةٌ يُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَواضِعِهِ، ويُبدِّلُون كَلامَ اللَّهِ، لِيُوهِمُوا غَيْرَهُم أَنَّ هَذَا مِنَ الْكَلامِ الْمُنَزَّل، وهو التَّوراة، ومَا هُو مِنْهَا فِي شَيءٍ، ويَقُولُونَ: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىٰ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ، ومَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وهُم يَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لأَجْلِ دُنْيَاهُم وهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُم كَاذِبُون.

****

[1]. سورة آل عمران: ٧٨.

مَرْحَلَة شَبَابِ الْمَسِيح ونُبُوَّته

لمْ يَشُبَّ الْمَسِيحُ عَلَى اللَّهْو واللَّعِب، ولمْ يَنْشَغِل بِمَا انْشَغَلَت بِهِ الْيَهُودُ مِنَ الإِعْرَاضِ عَنْ أَوَامِرِ اللهِ وحُبِّ الْمَالِ والنِّسَاء، بَلْ كَانَت بَوادِر الإِيمَان والفَضِيلَة فِيه ظَاهِرةٌ جِدًا، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِي القُرآنِ عَنهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَوَّل كَلَامِهِ لَمَّا تَكَلَّم فِي الْمَهْد: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتاني الكتاب وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

ومن اللطائف أن هَذَا النَّصُّ مُتَوافِقٌ مَعَ مَا جَاءَ فِي «إِنْجِيل لوقا» (٢:٤٠): «وكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو ويَتَقَوَّى بِالرُّوح، مُمْتَلِئ حِكْمَةً، وَكَانَت نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ».

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَسِيحُ الثَّلاثِين مِنْ عُمرِه أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَعْظَم مَلائِكَتِه وهُو جِبريل، وَأَوْحَى إِلَيْهِ الإِنْجِيل، فيه هُدًى ونُورٌ، فَكَانَتْ هَذِهِ فَاتِحَةَ النُّبوةِ عَلَيْهِ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيل وهُم اليهود، وأَيَّدَه بِمُعْجِزَاتٍ تَدلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فآمنت به طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وكَفَرَتْ طَائِفة، وقد كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِم الإيمان به وطَاعَتُه واحْتِرَامُه، لأنَّ الأَنبياء هُمُ

[1]. سورة مريم: ٣٠- ٣٣.

الْواسِطَة بَينَ اللَّهِ وبَينَ خَلْقِه لتبليغ الشَّرائع، وبهم يَعْرِفُ الإِنْسَان طَرِيقَ الْجَنَّةِ فَيَتَّبِعه، وطَرِيقَ النَّارِ فَيَجْتَنِبُه.

ومن اللطائف أنه قد جَاءَ تَقرير أنَّ المسيح أَيَّدَه اللهُ بِآيَاتٍ بَاهِرَاتٍ تَدلُّ عَلَى نُبُوته فِي «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (3/1-2):

كَانَ إِنْسَانٌ مِن الفريسيينَ[1] اسْمُه نيقوديموس، رئيسًا للْيَهُود.

هَذَا جَاءَ إِلى يَسُوع ليْلًا وقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّم، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّما، **لأَنَّ لَيْس أَحَدٌ يَقْدِر أَنْ يَعْمَل هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَل إِنَّ لَمْ يَكُن اللهُ مَعَه.**

فَقُول رَئيس الْيَهُود للمَسِيح: (لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرَ أَنْ يَعْمَل هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَل إِنْ لَمْ يَكُن اللهُ مَعَه) دَليلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ أَيَّدَ المسيح بِمُعجِزَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى نبوته، لأَنَّ الْبَشَرِ لا يَسْتَطِيعُون أنْ يَأْتُوا بِهَا ، ومِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي الْمَوتَى، ويَشْفِي الأَبْرَص والأكْمَه، (أي: الَّذِي وُلِد أَعْمَى)، ويُنَبِّئُ النَّاسِ بِمَا يَأْكُلُونَ ومَا يَدَّخِرُون فِي بُيُوتِهِم مِنَ الطَّعَامِ،

---

[1]. طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس، مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام.

نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

وَكُلُّ هَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِلْمَسِيح فِيهِ قُدرَةٌ مُسْتَقِلة وعَلِمٌ مُسْتَقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

****

المَسِيحُ يَجْمَعُ تَلَامِيذَه الصَّادِقِينَ حَوْلَهُ لما اشتَدَّ إعْرَاضُ قَوْمِهِ عَنْ دَعُوته

قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخْبرًا عَنِ الْمَسِيح لَمَّا اشْتَدَّ إِعْرَاضُ قَوْمِهِ عَنِ الدِّينِ الَّذِي جَاء بِهِ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون﴾[1].

ومَعْنى الآيةِ الْكَرِيمَةِ: لَمَّا اسْتَشْعَرِ المسيح عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْهم التَّصْمِيمَ عَلَى الْكُفْرِ نَادَى فِي أَصْحَابِهِ الخُلَّص: مَن يَكُونُ مَعِي فِي نُصْرَة دِينِ اللَّهِ؟

فَقَالَ أَصْفِياءُ عِيسَى: نَحنُ أَنْصَارُ دِينِ اللهِ والدَّاعُون إِليه، صَدَّقنا بِالله واتَّبَعْنَاك، واشْهَد أَنْتَ يَا عِيسَى بِأَنَّا مُسْتَسْلِمون للهِ بِالتَّوحِيد والطَّاعَة.

****

[1]. سورة آل عمران ٥٢.

استشعار المسيح لِخَطَرِ القَتْلِ الَّذِي كَانَ الْيَهُودُ يُخَطِّطُونَه لَهُ

آمَنَ القَلِيلُ مِنَ الْيَهُودِ بِالمسيح بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِن عِنْدِ اللَّهِ، وَمِنْهُم الْحَوارِيُّون، وكَفَرَ الْكَثِير مِنْهُمْ، وكان الجميع في فلسطين، وَكَانَتْ فِلَسْطِين آنَذَاكَ تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِ، وَالرُّومَانُ وثنيون، لا يُؤمنون بالله ولا بِرُسُلِه، بل يؤمنون بعددٍ مِنَ الآلِهَة الْبَشَرِيَّة اخْتَرَعُوهَا مِنْ عِندِ أَنْفُسِهم؛ آلِهَة الْمَاشِية وآلهة الزَّرْع وآلهة الحرْبِ، وغَيْر ذَلِك، وكَانُوا لا يُبَالُون بِالْيَهُود ودِيَانَتِهم، طَالَمَا أَنَّهُم لَا يَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهم ولا يَقُومُون بِأُمُورٍ تُؤدِّي إِلى حُصُول الفَوضَى والاضْطِرابَات الدَّاخِلِيَّة الَّتِي تُفْسِد عَلَيهم مُلْكَهُم.

الْحَاصِل أَنَّ الْيَهُودِ ضَاقُوا ذَرْعًا بِالْمَسِيحِ لأنهم يكرهون المصلحين، لاسيما الأنبياء كما تقدم، فَصَارَ المَسيحُ يَتَنَقَّل مَعَ أُمِّهِ سِرًّا في قُرَى فَلَسْطِين، بِصُحْبَة خَواص تلاميذه وهُم الْحَوَارِيُّون، وَكَانَ الْمَسِيح يَتَوجَّسَ مِنَ الْيَهُود نِيَّةَ القَتْل، وقَدْ جَاءَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ في «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (1/7): «وكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّد بَعْدَ هَذَا فِي الْجَلِيل، لأَنَّه لم يُرِد أنْ يَتَرَدَّد في الْيَهُودِيَّة، لأَنَّ الْيَهُودِ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوه».

والْجَلِيلُ هِي إِحْدَى بُلْدَانِ فَلَسْطِين.

وقَالَ لليَهُود كَمَا فِي «إنْجِيل يُوحَنَّا» (37/8) مبينا أنهم لم يؤمنوا بما جاء به، ويريدون قتله والتخلص منه:

«أنَا عَالَمُ أَنَّكُم ذُرِّيةُ إبْرَاهِيمَ. لَكِنَّكُم تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، لأَنَّ كَلامِي لا مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ».

كما جَاءَ التَّصْرِيح في «إنْجِيل يُوحَنَّا» (25:٧) بِأَنَّ الْيَهُود كَانُوا حَرِيصِين عَلى قَتْلِ الْمَسِيح فِي النَّصّ التَّالي:

«فقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْل أُورْشَلِيم: أَليسَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَطلبونَ أَنْ يَقْتُلُوه؟».

وفي «إنجيل يُوحَنَّا» (١١/ ٥٣-٥٧):

«فمِنْ ذَلِكَ الْيَومِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوه.

فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضًا - يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلَانِيَةً، بَلْ مَضَىٰ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الكورة[1] القَرِيبَةِ مِن الْبَرِّيَّة إِلى مَدينةٍ يُقَالَ لها: أَفْرايم، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذُه. وكَانَ فُصحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا. فَصَعدَ كَثِيرُونَ مِن الكُورِ[2] إِلَى أُورُشَلِيم قَبْل الفُصْحِ لِيُطَّهِرُوا أَنْفُسَهم.

[1]. الكُورة هي البقعة التي فيها قرى ومساكن. انظر «معجم المعاني».
[2]. الكُور جمع كورة، وقد تقدم التعريف بها قريبا.

فَكَانُوا يَطْلُبُون يَسُوع ويَقُولُون فِيمَا بَيْنَهُم، وهُم وَاقِفُونَ فِي الْهَيْكَلِ: مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَل هُو لَا يَأْتِي إِلَى الْعِيد؟

وكَانَ - أَيْضًا - رؤساء الْكَهَنةِ والفَرِيسِيُّونَ[1] قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَف أَحَدٌ أَيْن هُو فَلْيَدُلَّ عَليهِ لِكَي يُمسِكُوه».

****

[1]. تقدم بيان أن الفريسيين طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس، مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام.

نقلًا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ» (ص٥٩)، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

دلالة الإنجيل على رَفْعِ المسيح دُونَ أنْ يَمَسَّهُ أذَى، وَفِيهِ إِثْبَات بُطْلانِ عَقِيدَة «صَلْبِ الْمَسِيح»

لَمَّا اشْتَدَّ اضْطِهادُ بَني إِسْرَائِيل للمسيح، وشَعرَ بِخَطَر الْقَتْلِ؛ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِأَن اللهَ سَيَرْفَعُه إِليهِ، يُريدُ بِهَذَا طَمْأَنَتَهُم بِأَنَّ أَعَدَاءَهُ مِنَ الْيَهُودِ لَنْ يَخْلُصُوا إِلَيه ويَقْتُلُوه أوْ يُلحِقُوا بِه أدْنَى أَذًى، وهذا يدل على ثقة المسيح بنصر الله له وحفظه له.

وهذا الإخبار مِنَ الْمَسِيح للْحَوارِيينَ قَدْ جَاءَ ذِكْرُه فِي إِنْجِيلِ مَتَّى (٩ :١٥):

«فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيع بَنو العُرسِ أَنْ يَنُوحُوا مَا دَامَ العَرِيسُ مَعَهُم؟! ولَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامُ حِين يُرفَعُ العَرِيسُ عَنْهُم، فَحِينئذٍ يَصُومُون».

فَتَأَمَّل أَيُّهَا القَارِئُ الْكَرِيمُ وأَيَّتُهَا القَارِئة الكَرِيمة قَوْله: (يُرفع العريس)، ولم يقل: (يُقْتَل) أو (يُصْلَب)، ولا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ العِبَارَاتِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا الْمَسِيحِيَّةِ الْمُعَاصِرة فِي عَقِيدَة أَنَّ المسيح قُتِل وصُلب.

وهَذَا مُتوافقٌ أَيْضًا - مَعَ مَا فِي «يُوحَنَّا» (14/3): «وكَمَا رَفَعَ مُوسَى الحيَّة فِي البريَّة هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرفعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ».

كَمَا جَاءَ فِي «إِنْجِيل يُوحَنَّا» أَنَّ المسيح أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِطَرِيقِ الإِشَارَةِ أَنَّ اللَّهَ سَيَرْفَعُه، وأَنَّه لن يُقتل ولنْ يُصْلَب، فَفِي «إنجيل يُوحَنَّا» (٧ / ٣٢ - ٣٦):

«سمِع الفريسيُّونَ الْجَمْعَ يَتَنَاجَون بهَذا مِن نَحْوِهِ، فَأَرْسَل الفريسيُّونَ ورؤساءُ الْكَهَنة خُدَّامًا ليُمسِكُوه.

فَقَالَ لَهُم يَسُوع: أَنَا مَعَكُم زَمانًا يَسيرًا بَعْد، ثمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَني. سَتَطْلُبُونَني ولا تَجِدُونَني، وحَيثُ أَكونُ أَنَا لَا تَقدِرُونَ أَنْتُم أَنْ تَأْتُوا.

فَقَالَ الْيَهُود فِيمَا بَيْنَهُم: إِلَى أَيْنَ هَذَا مُزمِعٌ[1] أَنْ يَذْهَب حَتَّى لا نَجدَه نَحْنُ؟ لَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَب إِلَى شَتَاتِ اليُونَانِيينَ ويُعَلِّم اليُونَانِيين.

مَا هَذَا القَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَني ولا تَجِدُونَني، وَحَيثُ أَكُونُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُم أَنْ تَأْتُوا؟».

فَقَوْلُ الْمَسِيحِ: (أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلني)، وقَوْلُه بَعْدَهَا: (سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَني، وحَيثُ أَكُونُ أَنَا لا تَقْدِرُونَ أَنْتُم أَنْ تَأْتُوا) دَلالَةٌ صَرِيحةٌ عَلَى أَن الْمَسِيح ليس هو الشَّخْصَ الَّذِي صَلَبُوه وقَتَلُوه، لأنه لو كَانَ

[1]. مُزمِعٌ أي عازم.

هُو الشخص الْمَقْتُولَ على الصليب لَكَانَ مَوْجُودًا، ولَكَانَ مَكَانُه مَعْرُوفًا أَمَامَهم، لأنهم قد طَلَبُوه ووَجَدُوه أمامهم وصَلَبُوه وقتَلُوهُ عَلَى زَعْم مَنْ يَقُولُ ذَلِك، فَكَيفَ يَسْتَقِيم هَذَا مَعَ قَوْلِ الْمَسِيح: (سَتَطْلُبُونَنِي ولا تَجِدُونَنِي، وحَيثُ أَكُونَ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُم أَنْ تَأْتُوا)؟

هذا الكلام لا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِواحدةٍ مِنَ اثْنَتَينِ، إِمَّا أَنْ يُخْبَرَ الْمَسِيحُ بِخَبر كَاذِبٍ، وهُو أَنَّهُم يَطْلُبُونَه ولا يَجِدُونَهُ، ثُمَّ تَتَبَيَّنَ الْحَقِيقَة فِي أَنَّهُم طَلَبُوه ووَجَدُوه، وهَذَا مُسْتَحِيلٌ، لأَنَّ المسيح لَمْ وَلَنْ يَكْذِب.

أَوْ يَكُونُ الْمَسِيحُ صَادِقًا، فَطَلَبُوه ولمْ يَجِدُوه، وهَذَا لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِرَفْعِه إِلى السَّمَاء، وحُلول شَخْصٍ آخَر مَكَانَه يُشْبِه المسيح، فَقَتَلَه الْيَهُودُ ظَنًّا مِنْهُم أَنَّه هو الْمَسِيح، وهذا هو الحق الذي لا مِرية فيه، وهو الذي دلت عليه أخبار الأناجيل وأخبار القرآن كذلك كما سيأتي، قَالَ اللهُ فِي القُرآنِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّه لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].

فائدة في إثبات أن المسيح رسول:

قول المسيح (أمضي إلى الذي أرسلني) دليل صريح على أن المسيح رسول، والرسول له مُرسِل، ولا يرسِل نفسه، فالمسيح إذن رسول من عند الرب، وليس ربا ولا ابن الرب.

[1]. سورة النساء: ١٥٧، ١٥٨.

فائدة في إثبات بطلان عقيدة الذنب الأصلي:

مما ينبغي التفطن إليه في هذا المقام هو حرص يسوع الشديد على تجنب الموت، فلو كان فاديًا أو مخلصًا، لكان قد سلّم نفسه لليهود تحقيقًا لعقيدة الكفارة والصلب التي يؤمن بها المسيحيون المعاصرون. ولما حاول الفرار منهم والاختباء مع أمه في الجليل أو غيرها.

****

ذِكْرُ الدليل القرآني على رفع المسيح عيسى عليه السلام إلى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ، وبيان قصة الرفع، وَبَيَانُ خطأِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي دَعْوَى الصَّلْبِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون﴾[1].

أَخْبَرَ الله تَعَالَى في هذه الآية أَنَّهُ رَفَعَ المسيح إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَمَا تَوَفَّاهُ بِالنَّوْمِ، رفعَه بروحه وجسده كهيئته لَمَّا كَان فِي الأَرْضِ[2]، وَخَلَّصَهُ مِمَّنْ أَرَادَ أَذِيَّتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَشَوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكَفَرَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِيَقتَلُوه.

وَسَبب ذلك العَدَاء أَنَّ اليهود لَمَّا بعث الله عيسى ابن مريم بالبَيِّنات وَالهُدى؛ حَسدُوه عَلَى مَا آتَاهُ الله مِن النبوَّة والمعجزات الباهرات، فقد كان يُبرئ الأكمه[3] وَالأَبْرَص ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصَوِّرُ مِن

---

[1]. سورة آل عمران ٥٤ - ٥٥.

[2]. جاء في الحديث عن النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) أنه رفعه إلى السماء الثانية، فهو باقٍ هناك حتى يأذن الله بنزوله في آخر الزمان. انظر صحيح البخاري» (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[3]. الأكمه هو الذي وُلد أعمى.

الطِّين طائرًا ثُمَّ ينفخ فيه فيكون طائرًا يُشاهَدُ طَيرانه بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، إلى غَير ذَلكَ مِن المُعجِزَات التي أكرمه الله بها وَأَجْرَاهَا عَلَى يَدِيهِ، ليَعْلَم النَّاسُ أَنه نَبي، فَكَذَّبُوه وَخالَفُوه، وسَعَوْا فِي أَذَاهُ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُم، حَتَّى صار عيسى عليه السلام لا يُساكنهم في بلدة، بل يُكثر السياحة والاختفاء عَنهُم فِي البلاد هُوَ وَأمُّه مَريم.

ثُمَّ لَم يُقنعهم ذلكَ حَتَّى سَعوا إِلَى مَلِكِ دِمشق في ذلك الزَّمَان، وكَان رَجُلًا مُشركًا مِن عَبدَةِ الكَواكِب، وكان يُقال لأهل دينه (اليونان)، فقالوا لَه إِنَّ بِبيت المقدس رَجلًا يفتن النَّاس ويُضِلُّهم ويُفسد على المَلِكِ رعاياه، فغضب المَلك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس – وهو دَاوُد بن يُورَا - أنْ يقبِض عَلى هَذا المَذكُور، وأن يصلِبه ويضع الشَّوك عَلَى رأسه، ويَكُفَّ أَذَاه عن النَّاس، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس، فذهَب هو وطَائِفَة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام، وكَان مَع جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثَلاثَة عشر ، وقيل سبعة عَشَر نفرا، وكَان ذَلكَ يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصَرُوه هُنالِكَ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِمْ ألقى اللهُ شَبَهَ المسيح عَلَى أحد أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ، وَرُفِعَ المسيح مِنْ فتحة في سقف البيت إِلَى السَّمَاءِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ يَنْظُرُونَ، وَدَخَلَتِ الشُّرطة فَوَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ المسيح، فَأَخَذُوهُ ظَانِّينَ أَنَّهُ المسيح، فَصَلَبُوهُ وَوَضَعُوا الشَّوْكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ، وتبجَّحُوا بذلك، وصدَّقَ عَامَّةُ النَّصَارَى اليهود في دعوَاهُم أَنَّهم قتَلُوا المَسِيح، لأنَّهم لَمْ يعلمُوا حَقيقَة الأمر ولَم يُشاهِدُوا مَا حدث في داخل البيت،

فظَنُّوا كما ظَنَّت اليَهُودِ أَنَّ المَقْتُول المصلوب هو المسيح، وَضَلُّوا بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَلَالًا مُبِينًا كَثِيرًا فَاحِشًا بَعِيدًا.[1]

روى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ – مِنَ الْحَوَارِيِّين يَعْني - فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ[3] فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَىٰ عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي، وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟[4]

فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا[5]، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّاب، فَقَالَ: اجْلِسْ.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا.

فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ.

فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى، وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ[1] فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ. قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ[2]، فأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ،

---

1. انظر «البداية والنهاية» لابن كثير، باب ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، و «تفسير القرآن العظيم»، له، سورة النساء: ١٥٧.

2. انظر «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم سورة النساء: ١٥٧، وروى ابن جرير هذه القصة بإسناده في تفسيره جامع «البيان» في آخر تفسير سورة الصف.

3. العين هي عين الماء، وهي البئر التي تكون في البيوت في الماضي لاستخراج الماء منها.

4. يعني أنه سيكون معه في درجته في الجنة ثوابًا له على أنه افتدى المسيح بنفسه.

5. أي مِن أقلهم عُمْرا.

فَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: (كَانَ اللهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ)، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّة.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: (كَانَ فِينَا ابْنُ اللهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُون[3].

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ[4] ظَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وسلم).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهرين﴾[5].[6]

---

[1]. روزنة أي فتحة.

[2]. أي جاء اليهود الذي يطلبون المسيح ويبحثون عنه.

[3]. المقصود بالمسلمين هنا هم أتباع المسيح على الحق، لأن كلمة الإسلام لها معنيان؛ عام وخاص، فأمَّا العام فهو عبادة الله وحده وطاعة النبي الذي أُرسل فيهم، وهذا الوصف (المسلمون) ينطبق على أتباع كل نبي من آدم إلى محمد بما فيهم المسيح.

والمعنى الثاني لكلمة الإسلام هو خصوص الدين الذي بعث الله به النبي محمدا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)، والذي يسمى أتباعه بالمسلمين.

[4]. انظر التعليق السابق.

[5]. سورة الصف: ١٤.

[6]. قال ابن كثير رحمه الله: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وهُنَا قَدْ يَسْأَلَ سَائِلٌ فَيَقُولُ: لِمَاذَا يَكْرَهُ الْيَهُودُ المسيح؟

فَالْجَوابُ أَنَّ دَعْوَةَ الْمَسِيحِ وتَعَالِيمه السَّمْحَة تَتَنَاقَضُ مَعَ طَبَائِعِ الْيَهُودِ الْمَادِّيَّة الشَّرهَة، وقُلُوبِهِمُ القَاسِية الْمُتَكَبِّرة الْمُتَحَجِّرَة، فَلَمَّا جَاءَهُم ونصحهم وأمرهم باتِّباعه اتَّهَمُوه بِأَنَّه مُدَّع للنبوة، وكَفَرُوا بِالْآيَاتِ الدَّالَّة عَلَى نُبُوَّتِهِ، وقَالُوا إِنَّهَا تَتِمُّ بِمُسَاعَدَةِ الشَّيَاطِينِ.

****

حَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ رَفع المسيح وظهور بولس

عَاشَ أَتْبَاعُ المسيح عَلَى الْعَقِيدة الصَّحِيحةِ الَّتِي رَبَّاهُم عَلَيْهَا المسيح حِينًا مِنَ الدَّهْر، ولَكِنَّهم لاقَوا خلالها اضْطِهادًا شَدِيدًا مِنَ الْيَهُود، لاسيَّمَا مِنْ بولس الْيَهُودِي[1]، فَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الاضْطِهادِ لأَتْبَاعِ الْمَسِيحِ، فَلَمَّا وَجَدَ أَنَّ العُنْفَ لَمْ وَلَنْ يُجدِي مَعْهُم؛ اسْتَعْمَل أَسْلُوب النِّفَاقِ، فَادَّعى الإِيمَانَ بِالْمَسِيحِ، وَاجْتَهَدَ فِي تَعلُّم تَعَالِيمِه حَتَّى صَارَ مِنْ أَعْلَمِهِم، ثمَّ بَعْد هَذَا كَذَبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ إِنَّ المسيح أَوْحَى إِلَيْهِ إِنْجِيلًا، فَصَدَّقَه مَنْ صَدَّقَه، ثمَّ قَامَ بِمَهَمَّتِهِ الدَّنِيئةِ وَهِي تَحْرِيفُ دِينِ الْمَسِيح، بِإِدْخَالَ مَا لَيْسَ مِنْهُ فيه، فَاخْتَرَع عَقِيدَة أَنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ، ثُمَّ عَقِيدَة الخَطِيئة الأُولى، ثمَّ عَقِيدَة الفِدَاء، فَقَامَ فِي وَجْهِهِ كَثِير مِن أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ، يَدلُّ لِهَذَا مَا قَالَ بولس عَنْ نَفْسِه كَمَا فِي «تيموثاوس الثانية» (١:١٥):

«أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعِ الَّذِينَ فِي آسيا ارْتَدُّوا عَنِّي».

وقَالَ فِيهَا أَيْضًا (٤:١٦): فِي احْتِجَاجِي الأَوَّل لَمْ يَحْضُر أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي».

[1] سيأتي التعريف بشخصية بولس في الفصل الثاني، بإذن الله.

تحريف بني إسرائيل للتوراة والإنجيل مع مرور الزمن يعتبر من أعظم عوامل تحريف دين موسى والمسيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخاطِبًا عُلَماءَ أَهلِ الْكِتَابِ كُلِّهم (الْيَهُودِ والنَّصَارَى): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[1].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ عُلَماءِ أَهل الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارى): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثمنا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُون﴾[2].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَن أَهْلِ الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارَى): ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُون﴾[3].

وهَذَا التَّحريف يتمثل في الأناجيل الأربعة الَّتِي كَتَبَهَا مَتَّى ومُرقُص ولُوقا ويُوحنَّا بَعْد رَفْعِ المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، الَّتِي قَالَ عُلَماءُ

---

[1]. سورة آل عمران: ٧١.
[2]. سورة آل عمران: ١٨٧.
[3]. سورة البقرة: ٧٩.

النَّصَارَى فيها إِنَّهَا هِي الإِنْجِيلِ الأَصْلِي الَّذِي كَانَ بِيدِ المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ والحواريين، والحقُّ الذي لا مرية فيه أنها كتب بشرية، بَدَأَ تَدْوِينُهَا عَلَىٰ يَدِ هؤلاء الأشخاص الأربعة، وكان ذلك التدوين مِن سَنَةِ ٣٧م إلى سنة ١١٠م، ثم اصطلحوا على تسمية كل واحد منها إنجيلا، تشبيها بالإنجيل الحقيقي الذي كان بيد المسيح، وهذا من لَبْسِ الحق بالباطل، وسمَّوها بأسماء من كتبوها، فسموها: «إِنْجِيل مَتَّى»، و «إنجيل مُرْقُص»، و «إنجيل لوقا»، و «إنجيل يُوحنا»، والحق والصدق أن تُسمى كتاب مَتَّى، وكتاب مُرْقُص، و كتاب لوقا، و كتاب يُوحنَّا، ولا يسمى الواحد منها إنجيلا أبدًا.

وقَد وَعظَ الله تعالى أَهْلِ الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارَى) فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[1].

والمقصود بالرسول هنا هو مُحمَّد (صلى الله عليه وسلم)، والمقصود بالنور هو القرآن.

إِنَّ تَحْرِيفَ عَلَمَاء النَّصَارَى لِدستور دينِهِم (الإنجيل) هُو السَّببُ الأَسَاسِ الَّذِي أَدَّى إِلَىٰ وجُودِ الغُمُوضِ والتَّناقُضِ فِي الْمَسِيحِيَّة

[1]. سورة المائدة: ١٥.

المُعَاصِرة (ولا أَقُول: الدِّين الذي جاء به المسيح عِيسَى ابْنُ مَرْيم)، ولَوْ أَنَّ التَّوْرَاةَ والأَنَاجِيلَ الَّتِي بِأَيْدِي الْيَهُود والنَّصَارَى الآنَ هِي نَفْسُ التَّوراة والإنْجِيل الَّتي كَانَت بِيَدِ مُوسَى وَالْمَسِيح ابنِ مَرْيَمَ لَمَا حَصَلَ هَذَا الاضْطِرابُ والغُموضُ بين طوائف النصارى، ولكانتْ مَسَائِل الْعَقِيدة ظاهرةً جدا، لأنَّ اللهَ وَصَفَ التَّوراة والإنجيل بأنَّه فِيهَا هُدًى ونُور، والهدى والنور يَتَنَافَى مَعَ وجود الغموض في التَّوْرَاةِ والأَنَاجِيلِ الْمَوجُودَة بأيدِي الْيَهُودِ والنَّصَارَى الآن، فَتَبَيَّن مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوراة والأناجيل الْمُعَاصِرة لَيْسَت هِي الأَصْلِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلَها الله عَلَى رُسُلِه مُوسَى وَعِيسَى، بَلْ هِي مَكْتوبةٌ بِأَيدي بَشَرٍ بَعْدَ مُضِي عَصْرِهِما[1]، وفِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ الْمَكْشُوف عَنِ النَّصِ الأَصْلِي الشَّيء الكثير.

ومن قرأ القرآن بإخلاص وتجرُّد تبين له الفَرْقُ بَينَ كَلامِ اللهِ وكَلامِ الْبَشَرِ، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ وبَيَانِ الْمَحَجَّة.

تنبيه هام

ومع غياب الإنجيل الأصلي الذي كان بيد المسيح، ووجود الكتب التي كتبها يوحنا ومتى ولوقا ومُرقص، والتي تُسمى أناجيلَ؛ فإن فيها أخبارًا صحيحة، لأنها مثل كتب التاريخ تماما، فيها الصواب وفيها الخطأ، ففيها الإشارة إلى بشرية المسيح، وقد نقلنا منها طائفة كثيرة في هذا

[1] انظر للتفصيل الفصل السادس «أين التوراة والإنجيل الأصليان؟».

البحث المبارك، وكذلك فيها بشاراتٌ بِالنَّبِيِّ الخاتَم وهُو مُحمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم)، نَبِيُّ الإِسْلامِ، والتي تقرب مِنَ الثَّلاثِين بِشَارةً[1].

****

[1]. هذه الأدلة الإنجيلية مذكورة في كتاب:

«The amazing prophecies of Muhammad in the Bible».

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضًا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب - (٩٩) دليلًا على وجود النبي المُبَشِّر به في التوراة والإنجيل»، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.

نَزْعُ اللهِ للنُّبُوةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل

لم يقم بنو إسرائيل بواجبهم تجاه أنبيائهم، فلم ينصروهم، وما قاموا بواجبهم تجاه كتبهم؛ التوراة والإنجيل، فلم يحفظوها، فنَزَعَ اللهُ النُّبوة مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل وجَعَلَها في بَنِي إِسْمَاعِيل، واللهُ يَحْكُم مَا يَشَاء ويَخْتَار، ليس لأحدٍ الحق في الاعتراض على أوامر الله، وإنما ذلك لله وحده سبحانه، فَأَرْسَل اللهُ مُحمَّدًا مِنْ ذُرِّيَة إِسْمَاعِيل ابنِ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ إِلى النَّاسِ كَافَةً؛ بَنِي إِسْرائيل وغَير بَني إسرائيل، وأوجب على جميع الناس الدخول في دينه، وجعل رسالته مُتَمِّمة لجميع رسالات الرسل قبله.

****

مَكَانَةُ المسيح عِنْدَ الْيَهُود والنَّصَارَى وَالْمُسْلِمِين

فرَّط الْيَهُود فِي حَقِّ الْمَسِيح، فَكَفَرُوا بِنُبوته وكَذَّبُوه، واتَّهَمُوا أُمَّه بِالزِّنَا، حَاشَاهَا مِنْ ذَلِكَ.

وأَفْرَطَ النَّصارى فِي حقِّهِ، فَرَفَعُوهُ فَوْقَ بَشَرِيتِهِ، فَقَالُوا فيه أقوالا متناقضة جدا، وغير منطقية، قالوا إنَّه هو الله، وابنُ اللهِ، وثَالثُ ثَلاثَةٍ، وَمِنْهُم مَن قَالَ: إنَّ له طبيعةً واحِدةً، ومِنْهُم مَن قَالَ: لَهُ طبيعتانِ، ومِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَهُ مَشِيئَةٌ، وَمِنْهُم مَنْ قَالَ: لَهُ مَشِيئَتَانِ.

وأمَّا الْحَوارِيُّون ومُؤلّفو الأناجيل الأَرْبَعَة فَلَمْ يُذْكَر عَنْهُم كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ عَنِ الْمَسِيح أَنَّه قَالَ عَن نَفْسِهِ إِنَّهُ رَبٌّ أو ابنُ الرَّبِّ أَوْ ثَالثُ ثَلَاثَةٍ، ولا ورد عنه كَلِمَةٌ واحِدَةٌ أَنَّهُ قَالَ للنَّاسِ: اعْبُدُونِي.

وأَمَّا دِينُ الإسلام فبَيَّن الْحَقِيقة النَّاصِعة البيضاء في طبيعة المسيح، وهي أنَّ المسيح بَشَرٌ رَسُولٌ، خَلَقَهُ اللهُ فِي رَحِمِ أُمِّه مَرْيَمَ بِكَلِمَةِ (كُنْ) فَكَانَ المسيح فِي رَحِمِ أُمِّه، ثمَّ أَرْسَلَه اللهُ إِلى بَنِي إِسْرَائِيل، وأَمَرَهُم بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَه، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ فِي القُرْآنِ بِقَوْلِهِ:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إسرائيل اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكم إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاه النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار﴾[1].

وقَالَ اللَّهُ عَنِ الْمَسِيح أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكم﴾[2].

وقَالَ اللهُ عَنِ الْمَسِيح أَنَّه قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم﴾[3].

وقَالَ اللهُ عَنِ الْمَسِيح أَنَّه قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاط مُسْتَقِيم﴾[4].

وفي سُورة مَرْيَمَ أَنَّه قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مسْتَقِيم﴾[5].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ الله وَلَكِن كُونُوا رَبَّانيين بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُون﴾[6].

---

[1]. سورة المائدة: ٧٢.
[2]. سورة المائدة: ١١٧.
[3]. سورة آل عمران: ٥١.
[4]. سورة الزخرف: ٦٤.
[5]. سورة مريم: ٣٦.
[6]. سورة آل عمران: ٧٩

تَفْسِير هذه الآية الكريمة

إنَّه من الممتنع والمستحيل عَلَى بَشَرٍ قد مَنَّ اللَّهُ عَليه بِالنُّبوة وإنْزَال الْكِتَابِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ للنَّاسِ : (اعبدوني من دون الله)، أو (اعبدوني مع الله)، هَذَا مِنَ الْمُسْتَحِيل صُدُورُه مِنْ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِياء عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام، لا الْمَسِيح ولا غيره، لأنَّ هَذَا هُو أَقْبَح الأَوامِر عَلى الإِطْلَاقِ، بِأَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ رَجُلًا نَبِيًّا، ثمَّ يَنْصِبَ هذا الرجل نَفْسَه ربًّا لا نبيًّا، هَذَا مِنَ الْمُسْتَحِيل صُدُورُه مِنَ الأنبياء، لأنَّ الأَنبياء هُمْ أَكْمَلُ الْخَلقِ عَلَى الإطلاقِ، وَأَشَدُّ النَّاسِ عُبودِيَّةً للَّهِ تَعَالى، واتباعا لأوامره، وأوَامِرُهُمْ للنَّاس مُطَابَقَةٌ لِما أَمَرَهم الله به، وهُو دَعوة النَّاسِ إلى التَّوحِيد ، وإفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَة، والتَّحْذِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الْقَبيحة، الَّتِي أَعْظَمُها وأَشَدهَا الشِّرِكَ بِاللَّهِ، وَاتِّخَاذُ غَيرِه إلـها ورَبًّا.

وقَدْ كَانَ أَهْلُ الْكِتَاب مِنَ الْيَهُود والنَّصَارَى يَعْبُدُون أَحْبَارَهُم ورُهْبَانَهُم، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالمسيح ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إلـها وَاحِدًا لَّا إلـه إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾[1].

أي: يجعلون الأحبار والرُّهْبانَ أربابا (جمع كلمة (رب))، ويَعْبُدُون الْمَسِيح أيضًا، مَعَ أَنَّ اللَّهَ مَا أَمَرَهُم بِذَلِكَ، بَلْ أَمَرَهُم بِضِدّه، وهُو تَرْكُ عِبَادَةِ كلِّ مَا سِوى اللَّهِ، وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

[1]. سورة التوبة: ٣١.

وقد بَيَّنَ اللهُ حَقِيقَة مَا أَمَرَ به كُل نَبِيٍّ قومَه فَقَالَ: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُون﴾، ومعنى رَبَّانِيين أَي حُكَمَاء فُقَهَاء عُلَمَاء، وأَمْرُهُم بِأَنْ يَكُونُوا رَبَّانِيين يُعتبر حقًّا عَلَيْهِم – أي الأنبياء – بِمَا عَلِمُوهِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَه اللهُ عَليهِمْ.

ثم إِنَّ تَعْلِيمَ النبيِّ للنَّاسِ الْخَير يَسْتَوجِب أَنْ يَمتثل هُو مَا عَلَّمه إِيَّاهُم، وَيَكُون قُدْوةً لَهُم.

فَالْحَاصِلُ أنَّ مَقُولَة: (إِنَّ الأَنْبِيَاءَ أَمَرُوا أَقْوَامَهُم بِعِبَادَتِهِم هُم أَنْفُسهمْ) مَقُولةٌ كَاذبةٌ، بَل الأنبياء أَمَرُوا بِعِبَادَةِ اللهِ، وَنَهَوْا عَنْ عِبَادَة مَا سَواه، ومنهم المسيح ابن مريم، عليه السلام.

****

أسئلة امتحان الفصل الأول (القسم الأول)

1. ما هو دين المسيح؟

2. ما معنى كلمة نصارى؟

3. ما هو أعظم الأديان من حيث عدد المنتمين إليه؟

4. وما هو أعظم الأديان من حيث الانتشار والدخول اليومي فيه؟

5. أذكر خمسة من دلائل فضل مريم بنت عمران على العالمين.

6. ما هما السورتان اللتان تتكلمان عن مريم بنت عمران بإسهاب؟

7. ما الحكمة من حمل مريم بالمسيح بلا زوج؟

8. هل هناك إشارة في الإنجيل إلى حمل مريم بالمسيح بلا زوج؟

9. اذكر قصة ولادة مريم للمسيح باختصار.

10. انقسم النصارى إلى طوائف بحسب اعتقادهم في مريم، ما هي تلك الطوائف مع ذكر عقيدة كل طائفة بمريم.

11. ما هو اعتقاد اليهود في مريم؟

12. ما هو اعتقاد الإسلام في مريم، مع توضيح كيف بَجّلها القرآن.

13. كم عدد الأحاديث (المذكورة في كتاب دليل الدعاة) الواردة في فضل مريم بنت عمران ؟

أسئلة امتحان الفصل الأول (القسم الثاني)

14. اذكر الدلائل على تكريم المسيح عيسى ابن مريم في القرآن من جهة اسمه ووصفه.

15. ما معنى وصف المسيح في القرآن بأنه من أولي العزم، وبأنه كلمة الله، وبأنه روحٌ من الله؟

16. كم عدد الأحاديث الواردة في كتاب (دليل الدعاة) الواردة في فضل المسيح ابن مريم؟

17. ما حال بني إسرائيل مع كتابهم (التوراة) قبل بعثة المسيح إليهم؟

18. ما حال بني إسرائيل مع أنبيائهم قبل بعثة المسيح إليهم؟

19. اذكر نبذة عن مرحلة شباب المسيح.

20. اذكر نبذة عن مرحلة نبوة المسيح.

21. اذكر نبذة عن مرحلة الصعوبات التي واجهها المسيح من قومه.

22. لماذا يكره اليهود المسيح؟

23. اذكر الأدلة من الإنجيل على رفع المسيح دون أن يمسه أذى.

24. اذكر الدليل من القرآن الكريم على رفع المسيح دون أن يمسه أذى.

25. اذكر قصة رفع المسيح إلى السماء.

26. ماذا حصل للتوراة والإنجيل بعد رفع المسيح؟

27. ما هو الأثر الذي حصل بغياب الإنجيل الأصلي بعد رفع المسيح؟

28. ما هو حال بني إسرائيل بعد رفع المسيح وخلو الساحة من المصلحين؟

29. هل بقيت النبوة في بني إسرائيل بعد رفع المسيح؟

30. ما هي مكانة المسيح عند النصارى واليهود والمسلمون؟

فهرس الفصل الثاني

2 خطوات تحريف رسالة المسيح من التوحيد إلى الوثنية

أ- تخطيط بولس اليهودي لتحريف عقيدة المسيح بمزجها بعقائد الرومان

- التعريف بشخصية بولس
- دعاوى بولس الخمسة
- هدف بولس
- وسيلة بولس
- نقض دعاوى بولس من ستة وجوه
- خلاصةٌ مُهمَّةٌ في بيان دَور بولس في تحريف دين المسيح
- النتيجة المؤلمة لِدَور بولس
- مكانة بولس في المسيحية
- موقف أتباع المسيح الأوائل من بولس

ب- تحريف المجامع العشرة لرسالة المسيح (مجامع الرومان وما تبعها)

- تعريف بعقائد الرومان
- الإمبراطورية الرومانية الوثنية هي الحاضنة لليهود والنصارى

- رقعة الدولة الرومانية
- مرحلة التصدع العقدي بين الكنائس - تدخل امبراطور الرومان لوأد الخلاف
- انعقاد المجمع الكنائسي الأول
- سلسلة تحريفات المجامع بعد التحريف الكنائسي الرسمي الأول

الخلاصة: دين المسيح تحول إلى دين روماني وثني، منقسم إلى طوائف وفرق.

أسئلة الفصل الثاني

الفصل الثاني

خطوات تحريف رسالة المسيح من التوحيد إلى الوثنية

الأدلة التاريخية عَلَى إِثْبَات أَنَّ مَقُولَة: (إِنَّ المسيح رَبٌّ) مَقُولَةٌ مِن اخْتِرَاعِ الْبَشَرِ، وَكَذَلِكَ مَقُولَة التَّثْلِيث

عَدَدُ هَذِهِ الأَدِلَّةِ اثْنَانِ:

الأَوَّل: مُتَعَلَّقٌ بِمَن يُسَمَّى «بولس الرَّسُول»

والثَّاني: مُتَعَلَّقٌ بِالْمَجَامِعِ الكَنَائِسِيَّةِ الْمَدْعُومَة مِنَ الْحَكُومَة الرُّومَانِيَّة.

تفصيل

أ- الدليل التاريخي الأول عَلَى تَحْرِيفِ دِينِ الْمَسِيح[1]:

[1]. للأمانة العلمية؛ فقد استفدت جُلَّ المعلومات المذكورة في هذه النقطة من كتاب: «تاريخ النصرانية - مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المبحث الثالث، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

تخطيط بولس اليهودي لتحريف دين المسيح بمزجه بعقائد الرومان:

مقدمة

إن التاريخ يُبَيِّن أنَّ عَقِيدَة أَنَّ الْمَسِيح ابنُ اللهِ لَمْ تُعرفُ بَينَ أَتباع المسيح إِلَّا بَعْدَ رَفْعِهِ إِلى السَّمَاء، والَّذِي أَدْخَلَها هو رَجُلٌ يَهُودِيٌّ اسْمُه شَاول، عُرِف لاحقًا بِاسْمِ بُولس الرَّسُول، ويُلفظ أحيانًا: (بُولص)، ابْتَدَعَ هَذِهِ الْعَقِيدَة وعَقَائِدَ أُخْرَى وأَدْخَلَها جَمِيعًا فِي دِينِ المسيح الأَصْلِي، مُدَّعِيًّا أَنَّه رَسُولٌ، أَرْسَلَه الْمَسِيحُ إِلى النَّاسِ، فَبَثَّ تِلْكَ العَقَائِدِ بَيْنَ النَّاسِ، فَصَارَ النَّصَارَىٰ (الْمَسِيحِيُّون) لا يَتَّبِعون فِي الْحَقِيقَة دِينَ المسيح الْيَسُوع الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بَلْ يَتَّبِعُون الدِّينَ الْمُحَرَّفَ الَّذِي ابْتَدَعَه بولس.

التعريف بشخصية بولس ودعاواه الخمسة

بولس فِي الأَصْلِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ كَمَا أَسْلَفْنَا، ظَهَرَ عَلَى مَسْرِحِ الأَحْدَاثِ بَعْدَ رَفْعِ المسيح بِحَوالي ثلاث إِلَى خَمْسِ سَنَوَاتٍ، فَانْقَلَب فَجْأَةً ودُون مُقَدِّمَاتٍ مِنْ عَدُو مُجْرِمٍ ومُتَطَرِّفٍ فِي عَدَاوَتِه ضِدَّ يَسُوعَ ورِسالته وأَتْبَاعِه، إِلى رَسُولٍ مُوحَى إِليه مِن قِبَلِ اللهِ ومِن قِبَلِ يَسُوع أَيْضًا، فَادَّعَى خَمْسَةَ أُمُورٍ:

الأَوَّل: ادَّعَى أَنَّه رَسُولٌ مُعَيَّنٌ مِنْ قِبل يَسُوع.

الثَّانِي: ادَّعَى أَنَّ الْيَسُوعِ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ إِنْجِيلًا.

الثالث: ادَّعَى أَنَّ اليَسُوع ابنُ اللهِ.

الرابع: ادَّعَى أَنَّ خَطِيئَةَ أَبِينَا آدَمَ وَأُمِّنَا حَوَّاءَ لَمْ تُغْفَرَ، وَهِي الأَكْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَأَنَّ الْبَشَرِيَّة تَوارَثَتْهَا عَبْرَ القُرونِ، وهِي الْمَعْرُوفَة **بالخطيئة** أَوْ **الْمَعْصِية الأُولى**.

الخامس: ادَّعَى بولس أَنَّ يَسُوع أَرْسَلَه اللَّهُ فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لِيُصْلَبَ ويَتَعَذَّبَ فِداءً للبَشَرِيَّة مِنْ خَطِيئة آدَمَ وَحَوَّاءَ.

هَدَفُ بولس النَّهَائي هُو الوصول إلى هَدَفِين:

الأَوَّل: هَدْمُ دِينِ المسيح مِنَ الدَّاخِل، بِتَحْرِيفِه وَتَشْويهه وتَحْوِيلِهِ إِلَىٰ دِين آخَرَ مُخْتَلِفٍ تَمامًا فِي جَوْهرِهِ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ.

الثَّانِي: اسْتِمَالَة الْوَثَنِيينَ الرُّومَان إِلى الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي صَمَّمَه لَهُمْ، بِأَنْ جَعَلَهُ مُتَوافِقًا مَعَ مَبَادِئِهِم الْوثَنِيَّةِ.

وسيلة بولس

لِكَي يُحَقِّق بولس هَدَفَهُ بِسُهُولَةٍ ويَتَجَنَّبَ الْمُواجَهَة مَعَ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ؛ دَخَلَ فِي دِينِ الْمَسِيح (فِي الظَّاهِرِ)، وكَانَ ذَلِكَ مِنْه خِداعًا لأَتْبَاعِ

الْمَسِيحِ الْحَقِيقِيين، بَأَنْ كَانَ يُظهر اتِّباعَ الْمَسِيح وحُبَّه في الظَّاهِر، وفِي البَاطِن كَانَ يُخْفِي الْكُفْرَ به وبدَعوتِهِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى فَقَدَ كَانَ بولس مُنَافِقًا، جَعَلَ نِفَاقَهُ سِتَارًا يَتَسَتَّرُ به، ونُقطة بدايةٍ يَنْطِلقُ مِنْهَا إِلَى عَمَلِية تَخْرِيبٍ وَاسِعَةِ النَّطَاقِ فِي رِسَالَةِ وَدِينِ يَسُوع المسيح.

****

نقض دعاوى بولس

ومِنَ الإيجَازِ نَنْتَقِلُ إِلَى التَّفْصِيل لِفَهْمِ دَوْرِ بولس فِي تَحْرِيف رِسَالَةِ المسيح، وبَيَانُ ذَلكَ يَتَضحُ فِي سِتَّةِ نِقَاط نَسردُهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِيْجَازِ ثُمَّ نَتَكَلَّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ بِالتَّفْصِيلِ:

النقْطَة الأَوْلَى: إِثْبَاتُ عَدَاوَة بولس لِلْمَسِيح وأَتْبَاعِهِ.

النقْطَة الثَّانِية: بولس يَدَّعِي أَنَّه رَسُولٌ مُعَيَّنٌ مِنْ عِنْدِ الْمَسِيحِ، وَيَنْقَلِب انْقَلابًا مُفَاجِئًا مِن عَدُو شَرس للْمَسِيحِ ودَعْوتِهِ إِلَى نَبِيٍّ مُوحَىٰ إِلَيْهِ مِنَ الْمَسِيحِ نَفْسِهِ!

النقْطَة الثَّالِثة: دَعْوى بولس أَنَّ المسيح ابْنُ الرَّبِّ، (تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا).

النقْطَة الرَّابعة: دَعْوى بولس أنَّ المسيح هُوَ الرَّبُّ، (تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ).

النقْطَة الخَامِسَة: دَعْوى بولس أنَّ خَطِيئةَ أَبِينَا آدَمَ بَاقِيةٌ، وأَنَّ الْبَشَر تَوارَثُوهَا، وأنَّ اللهَ أَرْسَلَ ابْنَهُ المسيح (فَادِيًا) لِيُخَلِّصَهُم مِن خَطِيئَة أَبِيهِمْ آدَمَ، بِأَنْ يَمُوت مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، وبذلِكَ يَرْضَى الرَّبُّ، وتَتِمُّ المُصَالَحةُ بَيْنَه وبَيْن الْبَشَرِ.

النقْطَة السَّادِسَة: إِثْبَات كَذِبِ بولس فِي دَعْوَاهُ أَنَّ المسيح أَرْسَلَه، وغَيْرِهَا مِن الدَّعَاوى.

التفصيل

النُّقْطَة الأولى: إِثْبَاتُ عَدَاوَةِ بولس للمسيح وأتباعه

مُقَدِّمَة: كان النَّاسُ فِي فِلَسْطِين يَنْظُرُونَ لِلمَسِيح بنِ مَرْيَمَ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ فِي دَعْوتِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ إِنْسَانٌ مِثْلهم، ولَمَّا بَدَأَ دَعْوَتَهُ لِقَوْمِهِ الْيَهُود انْقَسَمُوا إِلَىٰ قِسْمَينِ:

القسم الأول: قَوْمُ صَدَّقُوه وآمَنُوا بِرِسَالَتِه واتَّبَعُوهُ على أنه نَبِيٌّ بَشَرٌ مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيهِمْ.

والقِسْمِ الثَّانِي: قَوْمٌ كَذَّبُوه وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وعادَوهُ وَاتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ مُدَّعٍ للنبوة.

دور بولس

بَعْدَ رَفع المسيح إِلَى السَّمَاء بِسَنواتٍ قَلِيلةٍ جَاءَ بولس اليَهُودِيُّ، الْمُتَطَبِّعُ بِطَبَائِعِ الْيَهُود مِن رَأْسِهِ إِلى أُخْمُصِ قَدَميه، والذي كان يُعذِّب أتباع المسيح، فتظاهر بالدخول في دين المسيح، ليثق الناس به، ثم بدأ بمخطط رهيب لإفساد دين المسيح، بأن ادَّعَى أمورا، على رأسها دعواه أَنَّ المسيح إلـه وأَنَّهُ ابنُ اللَّهِ، فَتَبِعَه مَنْ تَبِعَه عَلَى هَذَا

الاعْتِقَادِ، فَنَشَأَ القِسْمُ الثَّالِث الَّذِي يُضَافُ إِلَى الْقِسْمَينِ الآنِف ذِكْرُهَما.

سَرْدُ النُّصُوصِ المثبتة لِعَدَاوَةِ بولس لِلْمَسِيح وَدِينِه وَأَتْبَاعِه

جَاءَ عَنْهُ فِي «أَعْمَال الرُّسُل» (3/8):

«وأمَّا شاول فَكَان يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَة، وهُو يَدْخُل الْبُيوتَ ويَجُرُّ رِجَالًا ونِسَاءً ويُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجن».

وقَالَ فِي رِسَالَته إِلَى أَهْل غلاطية (13/1):

«فإِنَّكُم سَمِعْتُم بِسيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَة اليَهُودِيَّة، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِد كَنِيسَةَ اللَّهِ بِإِفْرَاطٍ وأُتلفها».

وجَاءَ عَنْهُ فِي «أَعْمَالِ الرُّسُل» (26/9-11) أَنَّه قَالَ للملك أغريباس:

«فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمورًا كَثِيرةً مُضَادَّة لاسْمِ يَسُوع النَّاصِرِي.

وفَعَلتُ ذَلِك أَيْضًا فِي أُورشليم، فحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ القديسين، آخِذًا السُّلْطَان مِنْ قِبل رؤسَاءِ الْكَهَنَةِ[1].

ولَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيتُ قُرْعَةٌ بِذَلك.

[1]. أي أنه كان يستمد سلطته في التقتيل من رؤساء الكهنة اليهود.

وفي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أَعَاقِبُهُم مِرارًا كَثِيرةً، وأَضْطَرهِم إِلَى التَّجْدِيف[1].

وإِذْ أَفَرَط حَنَقي عَلَيْهِم كُنتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى المُدنِ الَّتِي فِي الخَارِجِ».

وجَاءَ فِي «أَعْمَال الرُّسُل» (٩/ ٢٠ - ٢١) عنْ بولس أنه لما جَعَل يُكرِّز[2] فِي الْمَجَامِعِ أن المسيح هُو ابنُ اللهِ؛ بُهِت جَميعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا: «أَلَيس هَذَا هُو الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيم الَّذِين يَدْعون بِهَذَا الاسْمِ؟ وَقَدْ جَاءَ إِلَىٰ هُنَا لِهَذَا لِيَسُوقَهُم مُوثَقِينَ إِلَى رؤساء الْكَهَنَةِ؟!».

وجَاءَ عَنْ بولس فِي بِدَايَة الإِصْحَاحِ التَّاسِع مِنْ «أَعْمَال الرُّسُل»:

«أَمَّا شاول فَكَانَ لمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّم إِلَى رئيس الْكَهَنة، وطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا من الطَّرِيقِ، رِجَالًا أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَىٰ أُورُشَلِيم.

وفي ذِهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَق حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ.

---

[1]. التجديف هو الكذب والبهتان وقول الكفر.

[2] يُكَرِّزُ أي يُبَشِّر.

فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوتًا قَائِلًا لَهُ: شَاول، شَاوِل، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟

فَقَالَ: مَنْ أَنْت يَا سَيِّد؟

فَقَالَ الرَّبُّ: أَنَا يَسُوعَ الَّذِي أَنْت تَضْطَهِدُه. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُس مَنَاخِس.

فَقَالَ وَهُو مُرْتَعِدٌ ومُتَحَيِّر: يَا رَبِّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَل؟

فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: قُمْ وادْخُل الْمَدِينَةَ فَيُقَالُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَل».

فتبين من هذه النصوص التي هي من كلام بولس نفسه حقيقة أمره قبل دعواه أنه رسول، وأنه كان شديد العداوة للمسيح ودينه وأتباعه.

النُّقْطَة الثَّانِية: بولس يَكْذِب عَلَى النَّاسِ ويَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ مُعَيَّنٌ مِنْ عِنْدِ المسيح نَفْسِهِ، ويَنْقَلِبُ انْقِلابًا مُفَاجِئًا مِن عَدُوٍّ شَرِسٍ للمسيح وَدَعْوتِهِ إِلَى نَبِيٍّ مُوحًى إِلَيْهِ مِنَ المسيح نَفْسِهِ!

جَاءَ عَنْهُ فِي «أَعْمَال الرُّسل» (18-12/26) أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ أغريباس:

«ولَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ.

رَأَيتُ فِي نَصْف النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَيُّهَا الْمَلِكَ، نورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ، قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي.

فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنا عَلَى الأَرْضِ سَمِعتُ صوتًا يُكَلِّمُني وَيَقُولُ بِاللُّغَة العبرانية: شاول[1]، شَاوِل، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِس.

فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيد؟

فَقَالَ: أَنَا يَسُوعِ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُه. ولَكِن قُمْ وقِفْ عَلَى رِجْلَيكَ، لأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبكَ خَادِمًا وشَاهِدًا بِمَا رَأَيتُ وبِمَا سَأُظهِرُ لَكَ بِهِ.

مُنْقِذا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ ومِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُك إِلَيْهِم.

لِتَفْتَح عُيونَهم كَي يَرْجِعُوا مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا ونَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِين». انْتَهى كَلامُه.

التعليق

مَا هُو مَكْتُوبٌ فِي هَذَا النَّص: (أَنَا الآنَ أُرْسِلكَ إِلَيْهِم) لَيْسَ إِلَّا دَعْوى ادَّعَاها بولس لِنَفْسِهِ، لَيْسَ عَلَيْهَا إِثْبَاتٌ، وكُلُّ إِنْسَانٍ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يَدَّعِيَهَا، وسَيَتبيَّن كَذِبُه فِيمَا قَالَ قَرِيبًا.

[1]. «شاول» هو اسم «بولس» الأصلي، وقد تسمى باسم «بولس» لاحقا.

وقَالَ بولس فِي رِسالته إِلَى أَهْلِ غلاطية (١/ ١، 11-12):

«بولس، رَسولٌ لَا مِنَ النَّاسِ ولا بِإِنْسَانٍ، بَل بِيَسُوعَ المسيح وَاللَّهِ الآب الَّذِي أَقَامَه مِن الأَمَواتِ.

وأُعَرِّفكم أَيُّهَا الإخوة الإِنْجِيلَ الَّذِي بُشِّرتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسْبِ إِنْسَانٍ.

لأَنِّي لَمْ أَقْبَلَه مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ ولا عَلِمْتُه. بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيح».

وقَالَ كَمَا فِي «أَعْمَال الرُّسُل» (21/22) أَنَّ اللهَ قَالَ لَهُ: «اذْهَب فَإِنِّي سَأُرْسِلكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا».

وقَالَ بولس فِي رِسَالَتِهِ الأُولَى إِلَىٰ تيموثاوس (١:١):

«بولس، رَسُولُ يَسُوع الْمَسِيح، بحسب أَمرِ اللَّهِ مُخلِّصِنَا، ورَبِّنَا يَسُوعَ المسيح، رَجَائِنا».

النتيجة

صدَّق بعض الناس بولس في دعواه أنَّه رَسُولٌ مِن عِنْدِ الْمَسِيحِ، وَأَنَّ المسيح أَوْحَى إِلَيْهِ إِنْجِيلا، وبهذا اسْتَحْوذَ عَلَى كُلِّ صَلاحِيَّاتِ الْمَسِيحِ، وَحَلَّ مَحَلَّه في نظرهم، كَمَا أَنَّه سَحَبَ البِسَاطَ مِن تَحْتِ تَلَامِيذِ المسيح الْحَقِيقِيينَ الَّذِينَ تَلَقَّوْا عَنِ الْمَسِيح، لأَنَّه صَارَ فِي مَنْزِلَةٍ أَعْلَىٰ

مِنْهُم، إذ ادَّعَى أَنَّهُ رَسُولٌ، وَصَارَ عِنْدَهُ سُلْطَاتٌ تَشْرِيعِيَّةٌ وتَنْفِيذيةٌ كَامِلَةٌ، يَضَعُ مَا شَاء مِنَ الْعَقَائِد، ويَمْحُو مَا شَاء، كَمَا يَحْلُو لَهُ، وَالنَّاسُ صدقته فِي كَذِبه، فانتشر دينه الخُرافي بين الناس.

وحَجْمُ دَعْوى بولس أَنَّ المسيح أَوْحَى لَهُ إِنْجِيلًا يَتَضُحَ مِنْ حَجْم رَسَائِله الْمُلْحَقَة بِالأَنَاجِيل الأَرْبَعَة، والتي اتَّخَذَها الْمَسِيحِيُّونَ دِينًا، فَإِنَّ عَدَدَ الرَّسَائل الْمُلْحَقَةِ بالأناجيل ثلاث وعِشْرُون، يُوجد مِنْهَا أَرْبَعَ عَشَرَ رِسالةً مَنْسُوبَةً إِلَيْهِ، أي أَنَّ مَا يُعَادِل ٦١% مِنْ تِلْكَ الرَّسَائِل هِي مِن وَضْع بولس! تعالى الله عن إفك هذا الأفاك علوا كبيرًا.

تَعْلِيقٌ عَلَى مَا تَقَدَّم مِنَ النُّصُوص الَّتِي تُقَرِّر انْتِقَالَ بولس الْمُفَاجِئ مِنَ الْعَدَاوة للمسيح وَدِينِهِ وأَتْبَاعِهِ إِلَى رَسُولٍ مُوحًى إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْمَسِيح

قَالَ الشَّيخُ مُتَولّي يُوسُف شَلَبِي عَنْ بُولس:

«وهُنَا يَجِد الْقَارِئُ فَجْوةً، وَذَلِكَ أَنَّ بولس انْتَقَل فَجْأَةً مِن عَدُوٍّ إِلَى نَبِي، ومِنْ مُبْغِضٍ إِلَى مُصَدِّرٍ لِمَا أَبْغَضَه.

فَهَلْ اللَّهُ يَخْتَارِ أَنْبِيَاءَهُ مِنَ الأَشْرَارِ أو مِن الْخُصُومِ لِدِينِهِ؟!

وهَلْ يُمْكِن - مِنَ النَّاحِية النَّفْسِيَّةِ - أَنْ يَنْتَقِل رَجلٌ مِنْ حَالَةِ عَدَاوةِ شَيْءٍ إِلى حَالَةِ الإِيمَانِ بِه طَفْرةً واحدةً، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ

أَعْمِدَةِ وأُسسِ الْعَقِيدَة الَّتِي كَانَ يَكْفُر بِهَا وَيَقْتُلُ أَصْحَابَهَا وَيَزْرَعُ الْفَزَعَ فِي قُلُوبِ مُعْتَنِقِيهَا؟[1]».

أَتْرُكُ الْجَوابَ للْقَارِئ الْكَرِيمِ والقَارِئَةِ الْكَرِيمة.

وقَالَ الشَّيْخُ مُحمَّد أبو زهرَة رحمه اللَّهُ مُسْتَشْهِدًا بِمَا تَقَدَّم:
«إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَادَ لِلْمَسِيحِيَّة هَذَا الكَيْدِ، وَآذَى أَهْلَهَا ذَلِكَ الإِيذاء؛ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الْمَسِيحِيَّة فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ مُقَدِّمَاتٍ تَقَدَّمَت ذَلِكَ الانْتِقَال، ولا تمْهِيدَاتٍ مَهدت له»[2].

بحث نفيس في إثبات بطلان قصة الرؤيا التي ادعاها بولس لنفسه

قال بولس في قصة الرؤيا في سفر أعمال الرسل (22/6-8):

(ولكن فيما أنا مسافر ومقترب إلى دمشق نحو نصف النهار، أبرق حولي فجأة نور عظيم من السماء.

7 فسقطت على الأرض وسمعت صوتا يقول لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟

---

[1]. «أضواء على المسيحية» (ص٨٦)، بتصرف يسير.
[2]. «محاضرات في النصرانية» (ص٧١)، باختصار يسير.

8 فأجبت: من أنت يا رب؟

فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده).

هنا تتضح عشرة أمور؛

الأول كذب بولس، لأنه قال (من أنت يا رب؟) مع أنه لم يعلم من المنادِي، فكيف شهد له بأنه رب وهو لم يعلم من هو أصلا؟!

الثاني: دعواه أن الذي ناداه هو اليسوع، وقوله (أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده)، مع أن بولس لم يلتق باليسوع مرة واحدة، فكيف يكون قد اضطهده وهو لم يلتق به أصلا؟!

الثالث: ومع هذا الكذب فبولس **أدان نفسه من حيث لا يدري**، لأنه شهد على نفسه باضطهاد المسيح، وفي نفس الوقت ادَّعى أن اليسوع أرسله وأوحى إليه إنجيلا!

فكيف يجتمع هذا وهذا؟!

- أما وجد اليسوع أحدا يرسله (لو كان هذا حقا) إلا الذي كان يضطهده؟!

- لماذا لم يرسل اليسوع أحد الحواريين أو التلامذة وينتهي الأمر بوضوح وعقلانية؟!

- إن التصرف الطبيعي إذا أراد الإنسان أن يرسل رسالة أن يختار شخصا أمينا لكي يبلغها وليس شخصا مجرما، فكيف يترك المسيح الطيبين ويختار مجرما مكشوف الإجرام؟

الرابع: ثم كيف يشكو المسيح (وهو الذي يعتبره بولس إلـها) اضطهاده إلى الذي كان يضطهده؟

هذا كله يدل على كذب بولس في دعواه بحصول قصة الرؤيا، ودليل على أنه لم يقصد إلا الاستيلاء على رسالة المسيح وتحويلها من التوحيد إلى الوثنية، ومن الحفظ إلى التحريف.

الخامس: في قصة الرؤيا أن بولس أخذ رسائل من كهنة أورشليم (السنهدريم) إلى حاكم دمشق لكي يأتي بأتباع المسيح مُوَثَّقين إلى أورشليم، لكي يسجنهم ويعذبهم.[1]

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح للمسيح أن يجعل من بولس رسولا وهو متصف بهذا الإجرام تجاه حوارييه وتلامذته؟!

---

[1] والدليل هو ما جاء في أعمال الرسل (12/26): وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ ...

وفي أعمال الرسل (22/4-5):

4 وَاضْطَهَدْتُ هذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ، مُقَيِّدًا وَمُسَلِّمًا إِلَى السُّجُونِ رِجَالاً وَنِسَاءً.

٥ كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضًا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشْيَخَةِ، الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضًا مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ، ذَهَبْتُ لآتِيَ بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا.

السادس: في رواية (أعمال الرسل، الإصحاح 9) أن الذين كانوا مع بولس وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولم يروا أحدا.

وفي رواية (أعمال الرسل، الإصحاح 22) أن الذين كانوا مع بولس رأوا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوتا.

وهذا تناقض واضح، هل سمعوا الصوت أم لم يسمعوه؟!

وهل رأوا النور أم لم يروه؟!

السابع: في رواية (أعمال الرسل، الإصحاح 9) أن الذين كانوا مع بولس وقفوا صامتين.

وفي (أعمال الرسل، الإصحاح 26) أن الذين كانوا مع بولس سقطوا على الأرض.

وهذا تناقض واضح، هل وقفوا أم سقطوا؟!

الثامن: لِم لم يوجد شهود **بأسمائهم** على حقيقة ما ادعاه!

التاسع: بولس زعم أنه تلقى تعاليمه من المسيح مباشرة بلا وساطة من أحد ليقطع الطريق على من يريد سؤاله من أين تلقى تعاليمه، فبهذا هو يريد أن يجعل نفسه في مرتبة أعلى من الحواريين ومن تلاميذ المسيح.

وبعبارة مختصرة فإن بولس حاول أن يلطف صورته أمام الناس بصورة براقة ليُصَدقوه، ولكنها لم تنطلِ على العقلاء، لأنها لا تدخل العقل.

العاشر: مما يدل على بطلان رؤيا بولس للمسيح أن المسيح قال في متَّى (لن تروني)، ولكن بولس ادعى حصول الرؤيا!

قال المسيح كما في (متى ٢٣: ٢٩-٣٢، ٣٩) :

٢٩ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِين

٣٠ وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ.

٣١ فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ.

٣٢ فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ.

٣٩ لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!».

التعليق: هذا النص من المسيح (لا تروني من الآن) ينفي اللقاء المزعوم بينه وبين المسيح في طريقه لدمشق.

وكذلك أكد المسيح للناس عدم رؤيتهم له في يوحنا (30/7)، وكذلك في يوحنا (21/8)، مما يدل على كذب بولس في دعواه رؤية المسيح لما كان في طريقه لدمشق ليُوثِق تلامذة المسيح.

والخلاصة أن هذه الرؤيا خرافة وليست حقيقة، واضحة البطلان، ويا لها من رؤيا لم يُسمح لأحد أن يناقشه فيها، إذ الدليل على صحتها ومصداقيتها أنه هو الذي ادعاها لنفسه!

النُّقْطَة الثَّالِثَة: دعوى بولس أَنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ (تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا).

جَاءَ فِي أَعْمَال الرُّسُل (٩/20-21) عنْ بولس: وللْوَقتِ جَعَل يُكَرِّز[1] في الْمَجَامِعِ بِالمسيح: أَنَّ هَذَا هُو ابنُ اللهِ.

فبُهت جَميعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُون وقَالُوا: أَلَيس هَذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيم الَّذِين يَدْعون بِهَذَا الاسم، وقَدْ جَاءَ إِلى هُنَا لِهَذَا لِيَسُوقَهم مُوثَقِين إِلَى رؤساء الْكَهَنَةِ؟!».

النُّقْطَة الرابعة: دعوى بولس أنَّ المسيح هُو الرَّبُّ، (تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ).

جَاءَ فِي كَلامِ بولس أَنَّ المسيح هُو الرَّبُّ، قَالَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْل رُومِيَّة (9/10):

[1] يُكَرِّزُ أي يُبَشِّر.

«ولَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحة».

وقال في (11/5) مِنَ الرِّسَالَة نَفْسِها:

«لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ؛ خلصتَ».

فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَة مِنْ تَقْرِير بُولس لهذه العقيدة (المسيح هو الرب وابن الرب) بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيل؟

الجواب: كانت نتيجة نشر بولس لهذه العقيدة أن صَارَ عِنْد الْمَسِيحيينَ إلـهانِ اثْنَانِ؛ الآبِ والابْنِ، فَصَارُوا يَتَوجَّهون إلى الْمَسِيح بالدُّعَاء مع الآب (الله)، وَيَعْبُدُونَهُ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الله وحده، وبِهَذَا التَّحْرِيفِ دَخَلَ الشِّركُ في عبادة الله بِثَوْبٍ جَدِيدٍ فِي أَتْبَاع المسيح بِغِطَاء دِينِي.

غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن هذا الشرك في عبادة الله سَارَ بين الناس بِشَكْلٍ غَيْرِ رَسْمِيٍّ وغَيْرِ مُلزِمٍ، وَاسْتَمَرَّ الْوَضْعُ هَكَذَا بَيْنَ مُؤيد ومُعَارِضٍ، حَتَّى تَمَّ فَرْضُ وتَثْبيتُ عَقِيدَة تَأْلِيهِ الْمَسِيح وبُنُوَّتِهِ للهِ بَعْدَ

ثَلَاثَةِ قُرُونٍ فِي مَجْمَع نِيقْيَةٍ سَنَةَ ٣٢٥م، أي بَعْد رَفْعِ المسيح بِحَوالي ٣٠٠ سَنَة.[1]

النُّقْطَة الْخَامِسَة: دَعْوى بولس أنَّ خَطِيئَةَ أَبِيهِمْ آدَمَ بَاقِيةٌ، وَأَنَّ الْبَشَرِ تَوَارَثُوهَا، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ ابْنَه الْمَسيح (فَادِيًا)، لِيُخلِّصَهُم مِنْ خَطِيئَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ بِأَنْ يَمُوت مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، وبذَلِكَ يَرْضَى الرب عن البشر، وتَتِمُ الْمُصَالَحَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهم.

مَقُدِّمَة

لمْ يَكْتِفِ الْيَهُودِيُّ بولس بِمَا تَقَدَّم مِن تَحْرِيفٍ فِي رِسَالَةِ الْمَسِيح عَيْسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ الصَّافِية، والْمُتَمَثلِ بِدَعْوَى أَنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ وَأَنَّ المسيح أَوْحَىٰ إِلَيهِ إِنْجِيلًا، بَلْ أَضَافَ إِلَيْهِ تحريفا آخَرَ، تَطَوَّرَ فِيمَا بَعْدُ حَتَّىٰ صَارِ أَحدَ الْمَحَاوِر والعقائِد الْمُهِمَّة الَّتي تَدُورُ عَلَيْهَا الدِّيَانَةُ الْجَدِيدَةُ، فَقَدِ اخْتَرَع مِنْ مُخَالَفَةِ آدَمَ وحَوَّاء لأَمْرِ رِبِّهِمَا وَأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَاهُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا، اخْتَرَع مِن ذَلِكَ عَقِيدَةً جَدِيدةً اشْتُهرتْ بِاسْمِ «الْخَطِيئَةِ» أَوْ «الْمَعْصِيةِ الأُولَى»، حَيْثُ ادَّعَى بولس أَنَّ تَلِكَ الْخَطِيئة التي ارْتَكَبَهَا آدَمُ كَبِيرةٌ جِدًّا، وأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْها لآدَمَ وحَوَّاء، وأَنَّه لا يُمْكِن لأَيِّ عَدَدٍ مِنَ الْحَيوانَاتِ الَّتِي تُذْبَحَ كَقَرابِين أَنْ

[1] سيأتي تفصيل هذا الكلام عند الكلام على تحريف المجامع الكنائسية.

تُكَفِّر عَنْهَا، وأنَّ الْبَشَرَ تَوارَثُوا هَذِهِ الْخَطِيئَة مُنذ عَشَرَاتِ الْقُرُونِ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، منذ وقت آدم، فَلا يُولَدُ طَفْلٌ إِلَّا وهُو حَامِلٌ لِهَذَا الذَّنْب، وأَنَّ السَّبِيلَ الْوَحِيد لِتَكْفِير هَذَا الذَّنْب هو إرسال الله لابنه الْوَحِيدِ يَسُوعَ (عَيْسَى) إِلَى الْأَرْضِ بِهَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ لِيُقتَلَ عَلَى الصَّليب، لَيَكُونَ هُو الأُضْحِية بِحَسَبِ زَعْمِهِ، لِيُكَفِّرْ عَنِ الْبَشَرِ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ، فَمَنْ آمَن بِالمسيح أَنَّه ابنُ اللهِ، وأنَّ اللَّهَ أَرْسَلَه لِيُكَفِّرَ عَنِ الْبَشَرِ ذَلِك الذَّنْب وعبَدَ المسيح؛ فَإِنَّ المسيح سُيُخلِّصُه مِن هَذَا الذَّنبِ وَمِنْ تَبِعَاتِهِ، وَمَنْ لمْ يُؤْمِن بذلك فَسَيَبْقَى مَرْهونًا بِذَنْبِه، وتَكُون عَاقِبَتُه النَّار.

فَرَاجَ هَذَا الْمَبْدَأُ عَلَى أَجْيَالِ النَّصَارَى، ظَانِّينَ أَنَّهُم فِعْلًا تَوارَثُوا تِلْكَ الْخَطِيئَة، وأَنَّ طَرِيقَ الْخَلاصِ مِنْ هَذَا الذَّنْب لَا يَكُونُ إِلَّا بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْيَسُوعَ هو المُخَلِّص، وأنَّ الْيَسُوع لَنْ يُخَلِّصَ أَحَدًا حَتَّى يَعْبُدَه ويَتَوجَّهُ إِلَيهِ بِالدُّعَاء، ويَعْتقد أنَّه ابنُ اللهِ، وأَنَّه هُو المُخَلِّص والفَادِي مِنْ تِلْكَ الْخَطِيئة (المخترعة).

والْمَسِيحِيُّون يَعْتَقِدُون ذَلِك فِعلا بدون تفكير، اعتمادا على كلام بولس، بِالرَّغْمِ مِن أَنَّهُم لا ذَنْبَ لَهُم فِي هَذَا التَّوارُثِ الْمَزْعُومِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ آدَمَ قَدْ تَابَ أَصْلًا مِنْ ذَنْبِهِ فَغَفَرَ اللهُ لهُ، وَانْتَهَى مَوضُوعِ الْخَطِيئَةِ فِي حِيْنِهِ قَبْلَ قُرونٍ غابرة، ولم يعد للذَّنب وجُودٌ أصلا!

قَالَ البَاحِث المتخصص الأَسْتَاذُ عَبدُ الوهَّاب بنُ صَالِح الشَّايع حَفِظَهُ اللهُ:

«بِنَاءً عَلَى مَا عُرِف وشَاعَ مِنْ قَتلِ الْيَهُود للمَسِيح عَلَى الصَّلِيبِ فَقَد جَعَلَ بولس مِن تَلِكَ الْحَادِثة إِحْدَى أَهَمِّ الْعَقَائِد فِي الدِّيَانَةِ الَّتِي أَخَذَ يُنْشِئُها ويُشَكِّلها بِتَؤدَةٍ عَلَى أَنْقَاضِ دِيَانَة ورسالة المسيح عليه السلام، مُرْتَكِزًا عَلَى الْعَقِيدَتِينِ السَّابِقَتَينِ اللَّتَينِ أَنشأَهُمَا، وهُمَا: عَقِيدَةُ الْخَطِيئة أو الْمَعْصِية الأُولَى، وعَقِيدَةُ تَأْلِيهِ المسيح وبُنُوَّتِهِ للَّهِ، حَيثُ زَعَمَ بولس أنَّ مِن صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **العَدْلَ والرَّحمةَ**، فَبِمُقْتَضَى **عَدْلِه** كَانَ عَلَيه أنْ يُعَاقِب البَشَرِيَّة كُلَّها عَلَى تِلْكَ الْخَطِيئة والْمَعْصِية الأُولَى الَّتي تَوارَثُوهَا عَنْ أَبويهِمْ آدَمَ وحوَّاءَ، وَبِمُقْتَضَى **رَحْمَتِهِ** كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ للبشريَّة تِلْكَ الْخَطِيئة.

ولَمَّا كَانتْ تِلْك الخَطِيئَة أو الْمَعْصِية كَبِيرَةً جِدًّا ولا يُمْكِن لأي أُضْحِيةٍ مِنَ الأَغْنَام أو الأَبْقَارِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْحَيوانَاتِ مَهْمَا بَلَغَ عَددُها أَنَّ تُكَفِّر عَنْهَا؛ لَمْ تَكُن هُنَاكَ وَسِيلَةٌ أَوْ سَبيلٌ أَمَامَ اللهِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُون) لِتَكْفِير تِلْكَ الْخَطِيئة عَنِ الْبَشَرِيَّة وَالْجَمْعِ بَينَ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ومُصَالَحَتِه مَعَ الْبَشريَّة إِلَّا أَنْ يُرْسِل ابْنَه الوحِيدَ يَسُوعَ عَيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الَّذِي تَجَسَّد بِهَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ ونَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لِكَي يُهَانَ ويُعذَّبَ ويُقتل عَلَى الصَّليب وهو راضٍ! لِيَكُونَ هُو الأُضْحِية أو الفَادِي أو الْمُخَلِّص الَّذِي يَفدِي ويُخَلِّص كُلَّ مَن يُؤْمِن بِأَنَّ يَسُوع هو ابنُ اللَّهِ الوحيد، وأَنَّه قُتِلَ عَلَى الصَّليب لِيفْدِيهم بِنَفْسِهِ مِنْ تِلْكَ الْخَطِيئة، ويُصَالِحهم مَعَ أَبِيه الله -سبحانه وتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون- الَّذِي كَانَ غَضْبَانَ عَلَيْهِمْ.

وأنَّه بَعْدَ أنْ دُفِن لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا قَامَ مِنَ الْمَوتِ وَقَامَ لِتَلَامِيذِه وغَيْرِهِم، وبَعْدَ أَرْبَعِينَ يَومًا رُفِعَ إِلى السَّمَاء وجَلَسَ عَلَى يَمِينِ اللهِ، وَأَنَّهُ سَيَعُود للأَرْض مَرَةً ثَانِية ليُحاسِب الأحياء والأموات!

وهَذَا هُو التكييفُ أو التَّعْلِيلُ الَّذِي اعْتَمَد عَليه بولس في دعواه بألوهية الْمَسِيح عِيسَى ابْنِ مَريم، وقدَّمه إِلَى الْوثَنِيينَ الأوربيينَ وغَيرِهِمْ مِنْ شُعوب الإمبراطورية الرُّومَانِيَّة، لا كَرَسُولٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّمَا كابنٍ للَّهِ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لِكَي يُهانَ ويُقتلَ عَلَى الصَّليب، لِكَي يَفْدِيَهِمْ بِنَفْسِهِ ويُنْقِذَهُمْ مِنْ غَضَبِ أبيه الإلٰه، لِكَي يَغْفِرَ لَهُمْ خَطِيئَةَ أَبِيهِمْ آدَمَ وَأُمِّهِم حَوَّاءَ الَّتِي تَوارَثُوهَا مِنْهُما فِيمَا عُرِف عِنْدَهُم بِاسمِ «الْخَطِيئَةِ» أو «الْمَعْصِية الأُولى».

وبِهَذِهِ الْعَقَائِدِ الْوثَنِيَّةِ ازْدَادَت أَعْدَادُ الْوثَنِيينَ الأوربيينَ وغَيْرِهم الدَّاخِلين إِلى هَذِه الديانة الْجَدِيدَة الْقَرِيبة مِنْ أَفْهَامِهِمْ ومُعْتَقَدَاتِهِمْ وَمَا اعْتَادُوا عَلَيهِ، والَّتي سَتُعْرف فِيمَا بَعْدُ بِاسْمِ الْمَسِيحِيَّة».[1]

انْتَهَى كَلَامُه حَفِظَه الله.[2]

****

[1]. (ص ١٠٢ - ١٠٣) من كتاب: «تاريخ النصرانية - مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ» بتصرف يسير.

[2]. انظر لبيان خرافة هذه العقيدة الفصل الرابع والخامس من هذا الكتاب.

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ كَلامِ بولس تُثبت أنَّ عَقِيدَة الْخَطِيئَةِ الأُولَى وَعَقِيدَة الْفِدَاء إِنَّمَا هُمَا مِنْ كَلامِهِ ولَيْسَتْ مِنْ تَعَالِيمِ المسيح

رِسَالَة بولس إِلَى أَهْلِ رُومِيَّة (٣/ ٢٤ - ٢٥):

«متبررينَ مجانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاء الَّذِي بِيَسُوع المسيح الَّذِي قَدَّمَه اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِه، لإِظْهَارِ بِرِّه، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَة بِإِمْهَالِ اللَّهِ».

رِسَالة بولس إِلَى أَهْلِ رُومِيَّة (٥ / ٨ - ١١):

«ولَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَه لَنَا، لأَنَّه ونَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنا.

فَبِالأَوْلى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَب.

لأَنَّه إِنْ كُنَّا ونَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا ونَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ.

ولَيْسَ ذَلِكَ فَقَط، بَلْ نَفْتَخِرٍ - أَيْضًا بِاللَّهِ، بِرَبِّنَا يَسُوع الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحة».

رِسَالَة بولس إِلَى أَهْلِ رُومِيَّة (9/10):

«لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوع، وآمَنْتَ بِقَلْبِك أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ؛ خَلَصتَ».

وقَالَ كَمَا فِي رِسالته الأوْلَى إِلَى أَهْل كورنثوس (15/3-4):
«فَإِنَّنِي سَلَّمتُ إِلَيْكُم فِي الأَوَّل مَا قَبلْتُه أَنَا أَيْضًا: أَنَّ المسيح مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُب.
وأَنَّه دُفن، وأنَّه قَامَ فِي الْيَومِ الثَّالِث حَسَب الْكُتُب».

وقَالَ كَمَا فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْل غلاطية (٤ / ٤ - ٥):
«ولكِن لَمَّا جَاءَ تَمَامُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ وَقَدْ وُلِد مِنَ امْرَأَةٍ لِيُحَرِّر بِالفِدَاء أولَئكَ الْخَاضِعِينَ للشَّرِيعة».

وقَالَ - أَيْضًا - فِي رِسَالَتِه إِلى أَهل غلاطية (٣/ ١٣):
«المسيح افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَة النَّامُوس[1]، إِذْ صَار لَعْنةً لأَجْلِنا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعَون كُلُّ مَنْ عُلِّق عَلَى خَشَبة».

تعليق

تَبَيَّن مِمَّا سَبَق مِنْ كَلامِ بولس أنَّه هُو واضِعُ هاتين الْعَقِيدَتين؛ عَقِيدَةُ الْخَطِيئَة، وعقيدةِ الفداء، وأنهما لَيْسَتا مِنْ عِنْدِ اللهِ، ولوْ أَنَّهَا كَانَت

[1]. الناموس هو التوراة وشرائعها.

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَقَرَّرَهَا المسيح نَفْسُه في الكلام المنسوب إليه في الأناجيل، ولكنَّ هذا لم يكن.

كَمَا تَبطل بذلِك عَقِيدَةُ صَلْب الْمَسِيح التي جَاءَ بِهَا بولس، حيث إنه ادعى أن المسيح نزل إلى الأرض لكي يُصلب ويُهان ويقتل ويُدفن!

ويَبْقَى الْحَقُّ الَّذِي قَرَّرَتْه الأَنَاجِيلُ (كما سيأتي) ثُمَّ القُرآنُ بِأَنَّ اللَّهَ رَفَعَ المسيح إِلَى السَّمَاءِ دُونَ أَنْ يَمَسَّهُ أَذًى.

تنبيه مهم

تَأَمَّل أَيُّهَا القَارِئُ الْكَرِيمُ بُغْضَ بولس للتَّوْرَاةِ، كَيْفَ أَنَّهُ وَصَفَ النَّامُوسَ (الَّذِي هُو التَّوراة) بِأَنَّه لَعْنةٌ.

وانْظُر أَيْضًا - إِلَى وَصْفِه للمَسِيح بِأَنَّه لَعْنةٌ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (صَارَ لَعْنَةً لأجلنا)!

ثمَّ بَعد ذلِك يَقُول هَذَا الْخَبِيثُ مُخَادِعًا للنَّاسِ إِنَّ المسيح أَوْحَى إِلَيْهِ، وأَنَّه نَبِيٌّ أَرْسَلَه المسيح إِلَى النَّاس!

فواعجبا من الْمَسِيحيينَ كَيْفَ يُصَدِّقُونَه ويُعَظِّمُونَه فِيمَا ادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ من عند الله ومن عند المسيح!

النقطة السَّادِسَة: إثباتُ كَذِب بولس فِي دَعاواه يَتَّضِحُ فِي تِسْع نقَاط:

1- أنَّ بُولس غَيَّرَ اسْمَه مِن شَاول إلى بولس الرَّسُولِ، فَلِمَاذَا هَذَا التغيير؟!

2- لوْ كَانَ بولس رَسُولًا فِعْلًا لأَكْمَل مَسْيَرَةَ المسيح الْعِلْمِيَّة كَمَا هِي، ولَعَلَّم النَّاسَ التَّوراة والإنْجِيل كَمَا كَان المسيح يَفْعَلُ ولَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ جَدِيدٍ، ولَكِنَّ الْواقِع أنَّه أَتَى بِشَرَائِعَ وَعَقَائِدَ جَدِيدَةً تُخَالِفُ تَعَالِيمَ المسيح، وَهِي (ربوبية المسيح، بُنُوَّة الْمَسِيح للهِ، أُلوهِيَّة المسيح، دَعْواه أَنَّ المسيح أَرْسَلَه، إلغَاء النُّبوة عَنِ الْمَسِيحِ، الْمَعْصِية الأُولى، الصَّلْب).

فَهَذَا يَدلُّ عَلَى أَنَّ بولس كَاذِبٌ فِي دَعْواه أَنَّه رَسُولٌ مِنْ عِندِ الْمَسِيح، لأَنَّه نَقضَ مَا قَرَّرَه المسيح جُمْلةً وتفصيلًا، فَكَيفَ يَكُون رَسُولًا مِن عِنْدِهِ، وهو يَهْدِمُ ويَنْقُضُ مَا جَاءَ بِهِ؟!

ولَكِنَّ الْحَقَّ أَنَّ المسيح لمْ يُبَشِّر ببولس، وهَذِهِ الأَناجِيل الأَرْبَعَةُ الَّتِي كَتَبَهَا مَنْ جَاءَ بَعْد المسيح شَاهِدة عَلَى ذَلِكَ، وقَدْ وَرَدَ فِي «إِنْجِيلِ مَتَّى» ثَلَاثَةُ نَصُوصٍ عَنِ المسيح فِي التَّحْذِير مِنَ الَّذِين سَيدَّعُون النُّبوةَ بَعْدَه، انْظُر «إِنْجِيل متَّى» (15/7، ١٦، 11/24، 5-4/24).

فائدة

الأناجيل تُبَشِّر بِالنَّبِيِّ الْحَقِيقي وهُو مُحمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، نَبِيُّ الإِسْلامِ، والبِشَارَات بِقُدومِه مَدوَّنَةٌ فِيهَا وفِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَرَاجِعِ الإِنْجِيلِيَّة، والَّتِي تَحْوِي مَا يَقْرُبِ مِنَ الثَّلَاثِينِ بِشَارَةً[1].

3- لَوْ كَان مَا قَالَهُ بولس حقًّا مِنْ أَنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الْمَسِيحُ نفسه، فَهُو أَوْلَى بِذَلِك مِنَ بولس، لأَنَّه شَرَفٌ لهُ لَوْ كانَ حَقًّا، ولأنَّ المسيح لم ولنْ يَكْتُمُ الْحَقِيقَة عَنِ النَّاسِ، ويَدَعَهَا لِمَن بَعْدَهُ، لاسِيَّمَا وَقَدْ جَاءَ الْمَسِيحُ لِهدَايَة النَّاس وإرْشَادِهم.

4- المسيح رَسُولٌ مِن اللهِ، وبِنَاءً عَلَيهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَدَيه الصَّلاحِيَّة ولا القُدْرَة عَلَى أَنْ يُعَيِّن أَحَدًا مِنْ عِندِ نَفْسِه، لأنَّ اخْتِيارَ الأَنْبِياءِ يَكُونُ مِنْ

---

[1]. انظر هذه الأدلة الإنجيلية في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible.

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضًا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب - (٩٩ دليلًا على وجود النبي المُبَشِّر به في التوراة والإنجيل»، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

عِنْدِ اللَّهِ، ولَيْسَ مِنْ عِنْد الرَّسُول، فَاللَّهُ يَصْطَفِي ويَخْتَار مِنَ النَّاسِ رُسُلًا كَمَا يَشَاءُ، وَإِلَّا فَمَا مَكَانَةُ الرَّبِّ إِذَن؟!

وبَنَاءً عَليهِ فدعوى بولس أَنَّه رَسُولٌ مِنْ عِندِ المسيح هُو مَحضُ اخْتِلَاقٍ وافتراء.

5- الرسل همْ صَفْوةُ النَّاسِ وخِيَارُهم، فَالمسيح مِنْ أُمٍّ طَاهِرَةٍ تَقيَّةٍ نَقِيَّةٍ، وهِي مَريمُ بِنتُ عِمْرَانَ، وعِمْرانُ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ وَالْخَيْرِ والصَّلاحِ، وَنَسَبُهُمْ يَنْتَهِي إِلَى إِسْرَائِيل (يَعْقُوب)، نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِين.

أمَّا بولس فَهُو رَجلٌ ولَغَت يَدُه في دِمَاءِ أَهْلَ الْخَيْرِ، وَسَجَنَهُم وعَذَّبَهُم، فَأَينَ هُو والرسالة؟!

6- ومِمَّا يَدلُّ عَلى كذب بولس في دعواه أَنَّه رَسُولٌ هُو خُبْثُ شَخْصِيَّته، فَالْغَايةُ عِنْدَه تُبرر الوسيلة، فَلأجل تَحْقِيق غَايَتِهِ فَإِنَّه يَفْعَلُ أَيَّ شَيْءٍ، وَهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ الانْتَهَازِيَّةُ لَيْسَت شَخْصِيَّةَ نَبِيٍّ، حَاشَاهُم مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ هُمْ أَزْكَى النَّاسِ نُفُوسًا وأَطْهَرُهَا، وَقَدْ فَضَحَ بولس نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ أهل كورنثوس، (٩/ ١٩ - ٢٣) حيث قال:

فإِنِّي إِذْ كُنت حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدتُ نَفْسِي لِلْجَمِيع، لأَرْبَح الأَكْثَرِين.

فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِي، لأَرْبَحَ الْيَهُودَ.

وللَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوس[1] كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ، لَأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ.

وللذين بِلا نَامُوسِ كَأَنِّي بِلا نَامُوسٍ، مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلا نَامُوسٍ للَّهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسِ المسيح، لَأَرْبَحَ الَّذِين بِلا نَامُوس.

صِرتُ للضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبحَ الضُّعَفَاء، صِرتُ للكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قومًا.

وهَذَا أَنَا أَفْعَله لأجل الإِنْجِيل، لأكُونَ شَرِيكًا فِيه». انْتَهَى كَلامه.

التعليق

هَلْ يَلِيقُ هَذَا الْكَلَامُ بِرَسُولٍ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ (الله) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

أمْ أَنَّهُ يَلِيقُ بِشَخصٍ انْتِهَازِيٍّ مِنَ الطِّرَاز الأَوَّل؟!

لقد صرَّح بأنه يتلوّن بحسب المصلحة ليربحها!

فالذين يؤمنون بالتوراة يتظاهر بأنه معهم ليربَحهم، والذين لا يؤمنون بها يتظاهر بأنه معهم ليربَحهم!

[1]. الناموس هو التوراة وشرائعها.

7- ومِنْ دَلائِل كَذِب بولس أَنَّ الإنجيل يقرر أن دَعْوَةَ الْمَسِيحِ كَانَتْ مُوجَّهَةً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيل فَقَط، فَفِي «إِنْجِيلِ مَتَّى» (24/15) أَنَّ يَسُوع قَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَىٰ خِرافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّة».

أمَّا بولس فَوسَّع الدَّائِرَة مِنْ عِندِ نَفْسِه، ودَعَا الْوثَنِيينَ الرومان إِلَى دِينِهِ الَّذِي أَنْشَأَهُ، ففي «أَعْمَال الرُّسُل» (21/22) ادَّعى بولس أنَّ اللهَ قَالَ له: «اذْهَب، فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الْأُمَمِ بَعِيدًا».

فَانْظُر أَيُّهَا العَاقِلُ إِلَى الْفَرْقِ بَيْن كَلامِ يَسُوع الرسول الْحَقِيقي، وبين كلام بولس الرسول الكذاب.

فَتَبَيَّن مِنْ هَذَا إِفْكُ بولس وافْتِرَاؤُه.

8- وممَّا يَدلُّ عَلَى غِشِّ بولس وتَحْرِيفِهِ لِدِينِ المسيح أَنَّهُ قَامَ بِإِجْرَاء تَنَازُلاتٍ دِينِيَّة عَدِيدةٍ بِإِلْغَاء تَعَالِيم مَذْكُورَة فِي شَرِيعَة التَّوْرَاة تَدْرِيجيًّا، لِيُرَغِّبَ المَدْعُوِّين الْجُدد -وهُم الوثنيون الرُّومان- في الدُّخُول في دِينِه، حتَّى لا يَشُقَّ عَلَيْهِم الدُّخُولُ فِيهِ، فَبَدَأَ بِإِلْغَاء شَرِيعَةِ الْخِتَانِ عَنِ الْوثَنِيينَ الذُّكُور كَمَا فِي رِسَالَتِه إِلى أَهْل غلاطية (15/6)، وحَلَّل لِلْيَهُودِ أَكل ذَبَائِح الْوثَنِيين، وأَكلَ لَحْمِ الْخِنْزِير، وحلَّل الزَّواجَ الْمُخْتَلَطَ بَينَ الْيَهُودِ وَالْوثَنِيينَ، وأَلْغَىٰ جَمِيعَ أَنْواع الطَّهَارَة الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تَتَشَدَّد بِهَا التَّوْرَاة، كُلُّ هَذَا مِن أَجْلِ أَنْ يَسْتَمِيل الرُّومَان للدُّخُول في الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي قَدَّمَه لَهُم، وذَلِكَ أَنَّ نُفُوسَهُم غَيْرُ قَابِلَةٍ للانْقِيادِ لِشَرَائِع سمَاوِيَّةٍ، فَهُم وثنيون، عُبَّاد أَصْنَامٍ، لا يُحِلُّون حلالا ولا يُحرمون

حراما، ولا يُؤْمِنُونَ بِأَنْبِيَاءَ، فَأَسْقَطَ عَنْهُم شَرِيعَةَ التَّوراة حتَّى يُرَغِّبهِم فِي الدُّخُول فِي دِينِهِ!

وبولس بِهَذَا التَّصَرُّف جَعَلَ نَفْسَه ربًّا، يُشَرِّع مَا شَاءَ مِنَ الشَّرَائِع، ويُسْقِط مَا شَاء، ولَيْسَ فَقَطْ نبيًّا كَمَا زَعَم، إِذْ إِنَّ التَّحْرِيمَ والتَّحْلِيلَ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَلَيسَ مِنْ عِنْد الرَّسُول، لأَنَّ الرَّسُول وظيفَتُه تَبْلِيغُ الشَّرِيعَة عَنِ الرَّبِّ، وَلَيْسَ إِنْشَاء شَرِيعةٍ جَدِيدةٍ، أو التَّصَرُّف بِشَرِيعَةٍ قَائِمَةٍ كَمَا فَعَلَ هو!

ثمَّ جَاءَتِ الْخُطُوة الثَّانِيَة الْكَبِيرة فَأَلْغَى هَذَا الْخَبِيثُ مَا تَبَقى مِن التَّوْرَاةِ، لِكَي يُزِيلَ هَذِهِ الْعَقَبَةَ الْكَئود مِنْ أَمَامِ الْوثَنِيِّينَ لِلدُّخُول فِي دِينِهِ الَّذِي اخْتَرَعَه لَهُم عَلَى أَنْقَاضِ دِينِ الْمَسِيحِ، فَقَد قَالَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومَا (6/7):

«وأما الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنا مِنَ النَّامُوس[1]، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسِكِين فيه، حتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوح لا بِعِتْقِ الحَرْفِ.

فَمَاذَا نَقُول؟ هَل النَّامُوس خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا، بَل لَمْ أَعْرِفَ الْخَطِيَّةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ».

[1]. تقدم قريبًا أن الناموس هو التوراة وشرائعها.

التعليق

كَمَا تَرى أَيُّها القَارِئ الكَرِيم وأَيَّتُها القَارِئة الكَرِيمَة، فَإِنَّ بولس لَمْ يَكْتَفِ بِإِلْغَاءِ التَّوْرَاةِ، بَلِ اتَّهَمَهَا بِأَنَّهَا هِي مَصدرُ مَعْرِفَةِ الخطأ وَالزَّلَلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلَّا بِالنَّامُوس).

9- ومِنْ أَعْظَمُ الأَدِلَّة عَلَى غِشِّ بولس للنَّاسِ أَنَّ إِلْغَاءَهُ لِلتَّوْرَاةِ مُنَاقضٌ للْغَايَةِ الَّتِي جَاءَ المسيح مِنْ أَجْلِهَا، فَقَدْ قَالَ الْمَسِيحُ إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِيُلْغِي التَّوْرَاة، بَلْ جَاء لِيُتَمِّم ويُكْمِل، كَمَا جَاءَ فِي «إِنْجِيل مَتَى» (٥ / ١٧-١٩) أَنَّ المسيح قَالَ: «لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أو الأَنْبِياءِ، مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ، بَلْ لأُكْمِل. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُول لَكُم: إِلى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ والأَرْضُ، لَا يَزُول حَرفٌ واحدٌ أوْ نُقطَةٌ واحِدَةٌ مِنَ النَّامُوس حتَّى يَكُونَ الكُلُ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوصَايَا الصُّغْرَى وعَلَّم النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوت السَّمَاوات، وأَمَّا مَنْ عَمِلَ وعَلَّم فَهَذا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوات».

فَإِذَا كَانَ المسيح قَدْ حَذر مِنْ مُجَرَّد تَحْرِيفِ حَرْفٍ أَوْ نُقْطَةٍ فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيل، وقَالَ إِنَّ مَنْ فَعَل هَذَا فَإِنَّه يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاواتِ والأَرْضِ، فَمَاذَا يُقَال فِي حَقِّ بولس الَّذِي أَسْقَطَ التَّوْرَاةَ بِرُمَّتِها؟!

إِنَّ إِلْغَاء بولس للتَّوراة بِحَدِّ ذَاتِه يُعْتَبر جِنَايَةً عَظِيمَةً عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ، ودَلِيلًا عَظِيمًا عَلَى كَذِب بولس، فَلَيت جُمْهُور الْقَسَاوِسَة يَعْلَمُونَ ذَلِك ويُعَلِّمونه للنَّاسِ بَدلًا مِنْ تَقْلِيدِ مَنْ سَبَقَهُم مِنَ القَسَاوِسِة، وإِضْلال مَنْ تَبِعَهُم مِن النَّاسِ (الرَّعِيَّة)، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحْصُل بِهِ إِلَّا الزِّيَادَة فِي الإِثْمِ وَالْعَذَابِ عَلَيْهِم جَمِيعًا يَومَ الْقِيامَة.

خلاصةٌ مُهمَّةٌ في بيان دَور بولس في تحريف دين المسيح

حَوَّل بولس عَقِيدَةَ النَّاسِ فِي المسيح مِن نَبِيٍّ مُرْسَلٍ مِنَ اللَّهِ بِرِسَالَةٍ تَابِعَةٍ لِشَرِيعَةِ مُوسَى، وَخَاصَّةٍ إِلَى قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيل، فَقَط، حَوَّل ذَلِكَ فِي نَظَرِهِم إِلى أَنَّه ابنُ اللَّهِ، تَجَسَّد بِهَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ، ونَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ.

ثُمَّ قَدَّم بولس هَذِهِ الصُّورَةِ إِلَى الْوثَنِيينَ الرُّومَانِ، مِن رَعَايَا الإِمْبراطُورِيَّة الرُّومَانِيَّة الَّذِين يُؤْمِنون أصلًا بَتَعدُّدِ الآلهة ونُزُولِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَحَيَاتِهَا بَيْن النَّاسِ عَلَى هَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ، إضافة إلى إيمانهم بالآلهة التي لديها أطفال مِن البَشَر، فَتَقَبَّلُوا مَا قَدَّمَه لَهُم بولس كآلهة إِضَافِيَّة نَزَلت مِن السَّمَاء، وعَاشَت بَيْن النَّاس، ثُمَّ قُتِلتْ عَلَى الصَّلِيبِ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ الرُّومَانِ تَحَفظٌ عَلَىٰ مَا طَرَحَه بولس أبدًا، لأنَّ الْعَقِيدَة الَّتِي طَرَحَها قَرِيبةٌ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِم وَأَفْهَامِهِم، ولا تَحْتَاج إِلَىٰ بَذْل جُهْدٍ لإِقْنَاعِهِم فِي إِضَافَتِهَا إِلَى مَا عِنْدَهُم مِن عَقَائِد.

وسيأتي بعد هذا الفصل مُلْحقٌ لَطِيفٌ فِيهِ بَيَانُ لِعَقَائِدِ الرُّومَان فِي ذَلِك الزَّمَان قَبْلَ دُخُولِهم فِي الدِّين الَّذِي قَدَّمه بولس لهم، لِيَتَّضِح للقَارِئ الْكَرِيم والقَارِئة الْكَرِيمَة كَيْفَ اسْتَطَاع بولس بِكَيْدِهِ الْخَفِي

ضَرْبَ عُصْفُورينِ بحجر واحد؛ إفساد دين المسيح مِنْ جِهَةٍ، وإدْخال الرُّومَان فِي الدِّينِ الفَاسِد الَّذِي اخترعه مِن جهةٍ أُخْرَى.

ومِمَّا مهَّد الطَّريقَ أَمَامَ بولس لإجْرَاء هَذَا التَّحْرِيفِ والتَّبْدِيل أَنَّهُ لَمْ يَكُن أَمَامَه مَنْ يَرْدعُه، فَالْمَسِيح لمْ تَكُن لَهُ دَولةٌ تَحْمِيهِ وتَنْصُرُ دِينَهُ، فَقَدْ كَانَ الرُّومَان الوثنيون هُم السُّلْطَة القَائِمَة، وتَلَامِيذُ المسيح أَصَابَهُم الذُّعْرُ وتَفَرَّقُوا بَعْد هُجوم الْيَهُود مُؤيَّدِين بِالشُّرْطَةِ الرُّومَانِيَّة عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَسِيحِ، فَانْتِهَاءُ وجُودِ السَّيدِ المسيح عَلَى الأَرْضِ فَجْأَةً، وبِهَذَا الأُسْلُوبِ الْعَنيف؛ تَسَبَّب فِي وجُود صَدْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ قَوِيَّةٍ عَلَى تَلامِيذِ المسيح وأَتْبَاعِهِ الضُّعَفَاءِ مَادِيًا وَنَفْسيًّا، الَّذِينَ لَيْس بَيْنَهُم تلميذٌ وَاحِدٌ لَهُ نُفوذ ووَجَاهَةٌ بِحَيثُ يُمْكِن اللُّجوء إِلَيْهِ، فَصَارَ هَمُّ الْواحِدِ مِنْهُم هُو نُفُوذُهُ بِجِلْدِهِ مِنْ أَنْ يَحْصُل له تَعْذِيبٌ ومُلاحَقَةٌ إِنْ هُو وَاصَل نَشْرَ تَعالِيمِ المسيح بَعْد رَفْعِه، فَابْتَعَد التَّلَامِيذِ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرة تَمامًا، مِمَّا أَدَّى إِلى إِضْعَاف نَشْرِ رِسَالَةِ المسيح ودِينِهِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعَامِ، وتهيُّؤ الفُرْصَة لبولس للبدء في نَشْر بِضَاعَتِه الفَاسِدة الْمُتَمَثلَة فِي تَعَالِيم مُحْرفَة تَحْمِل اسْمَ الْمَسِيح فِي الظاهر، وفي باطِنِهَا تُخَالِف وتُناقِض تَعَالِيمِ المسيح وَدِينِهِ جُمْلةً وتفصيلا.

النتيجة المؤلمة لِدَور بولس

وبِهَذِهِ الأَكَاذِيب الْخَبِيثَة، والْمَكرِ اليَهُودِيِّ الْعَظِيمِ، اسْتَطَاعَ الْخَبيثُ بولس أَنْ يَقْلِبَ دِينَ المسيح رَأْسًا عَلَى عَقِب، وأَنْ يُدْخِل فِيهِ مَا لَيْسَ

مِنْهُ، وأَنَّ يُحوِّل دِينِ المسيح مِنَ التَّوْحِيد إِلَى الشِّرك، ومع الأسف الشديد، فَمَا كَانَ مِنْ جُمْهُورِ النَّصَارَى إِلَّا أَنْ صَدَّقُوا بولس فِيمَا زَعَمَه، وابْتَدَأَ التَّقْلِيد الأَعْمَىٰ لَهُ إِلَى يَومِنَا هَذَا، وانْسَلَخَ أَتْبَاع المسيح مِن عِبَادَة الْخَالِق - وهو اللَّهُ - إِلَىٰ عِبَادَةِ الْمَخْلُوقِين - وهما المسيح عِيسَى ابْن مَرْيَمَ وأَمه، ومِن تَعْظِيمِ اللَّهِ وَوَصْفِهِ بِالغِنَى عَنْ مَخْلُوقَاتِه، إلى وصْفِهِ بِالْحَاجَة لَهُم بِدَعُوى أَنَّهُ اتَّخَذَ ولدًا مِن مَخْلُوقَاتِه!

وختاما، فيُمكن تَلْخِيص دَوْرِ الْخَبِيثِ بُولس فِي تَحْرِيف دِينِ المسيح فِي خَمْسِ نقَاطٍ:

1. ادَّعَى بولس أَنَّه رَسُولٌ مُعَيَّنٌ مِن قِبل يَسُوعَ.
2. ادَّعَى بولس أَنَّ الْيَسُوعَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ إِنْجِيلًا.
3. ادَّعَى بولس أَنَّ يَسُوع ابنُ اللَّهِ.
4. ادَّعَى بولِسُ أَنَّ خَطِيئَةَ أَبِينَا آدَمَ وأُمِّنا حَواءَ لَمْ تُغْفَرْ، وَأَنَّ البَشَرِيَّة تَوارثَتْهَا عَبْرَ الْقُرون، وهِيَ الْمَعْرُوفَة بالخطيئة أو «الْمَعْصِية الأُولَى».
5. ادَّعَى بولس أَنَّ يَسُوعَ أَرْسَله اللهُ فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لِيُصْلبَ ويَتَعَذَّب فِداءً للْبَشَرِيَّة مِن خَطِيئَةِ أَبَويهِم آدَمَ وَحَوَّاءَ.

وهَكَذَا أَخْرَجَ الْخَبيثُ بولس جَمَاهِير النَّصَارى مِنْ دِينِ المسيح الْحَقِيقي الَّذِي يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَرْكِ عِبَادَة مِنْ سِواه، إِلَىٰ دِينٍ لَا يَمُتُّ لِدِينِ المسيح بِصِلَةٍ، أَلا وهو الْوثَنِيَّة، الَّتِي هِي عِبَادةُ الأَوثَان (وهِي الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا تَدبُّ فِيهَا الْحِياةُ، مِثْلُ الأَحْجَار والصُّور والقُبور والصُّلْبان)، وعِبَادَة البَشَرِ، (كَالمسيح وأُمِّه، وكالقَسَاوِسَة).

وبِعِبَارَةٍ مُخْتَصرةٍ؛ فَإِنَّ دِينَ المسيح تَحوَّل عَلَىٰ يَدِ بولس مِنْ عِبَادَةِ الْخَالِقِ إِلَى عِبَادَةِ الْمخْلُوق، ومِن اتِّباع النَّبيِّ الْحَقِيقي - وهُو المسيح - إِلَى اتِّباع مُدَّعٍ للنُّبوَّة وهُو بولس.

نهاية بولس

وقَدْ بَقِي بولس فِي مَهَمَّتِهِ (مَهَمَّةِ تَشْويه دِينِ المسيح) بَعْد رَفْعِ الْمَسِيحِ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ ثَلاثِينَ سَنة، وَكَانَت بداية مَهمته بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِثَلَاثِ إِلَىٰ خَمْسِ سَنَوَاتٍ، أَي مَا بَينَ عَامَي ٣٣ - ٣٨م عَلَى وَجْهِ التَّقَريب، واسْتَمرَّت حتَّى سَنَة ٦٧م، أي نحو ثَلاثِين سَنَةً، إلى أن تَمَّ إِعْدَامُهُ فِي رُومَا عَلَىٰ يَدِ الإمبراطور نِيرُون، الَّذِي اتهم الْمَسِيحيينَ بِإِحْرَاقِ مَدِينَة رُومَا، فَقَتَل نِيرونُ بولس وَمَعَهُ (بُطْرُس) كَبِير تلامذة المسيح بِحَسَبِ وصْفِ الأَناجيل لهُ، فَأَعْدَمَهُما صَلبًا، ثمَّ تَفَنَّن نِيرُون

فِي تَعْذِيبِ الْمَسِيحيين، ومِنْ ذَلِك أَنَّه جَعَلَهُم طَعَامًا للكِلابِ الْجَائِعة، وصَبَّ الْوَقُود عَلَى آخَرِين، وجَعَلَهُم مَشَاعِلَ لِبَابِ قَصْرِهِ.

فَانْظُر كَيْفَ عَاقَبَ اللهُ هَذَا الفَاجِرَ بولس في الدُّنْيَا، وَكَيفَ انْقَلَبَتْ عَلَيه عداوته للمسيح ودينه، ثم خطيئة تحريفه لدين المسيح، وتضليل أُمَّةٍ من الناس عن دين المسيح الحقيقي، ثم انظر كيف انقلبت هذه الخطايا عليه إلى عقوبة أليمة في الدنيا، فَفِي بِداية أَمْرِه كَانَ يُعذِّب أَتْبَاع المسيح ويَسْجِنَهُم، ثُمَّ دَخَلَ في دِين الْمَسِيحِ نِفَاقًا لِيُفْسِد دِينَ الْمَسِيحِ مِنَ الدَّاخِل، وليَجْعَلَه دِينًا صَالِحًا لِلْوثَنِيين لَأَنْ يَدْخُلُوا فيه، **فَكَانَتِ النِّهَايَة أَنْ عذَّبه الله بأيديهم**، فسَحَقه رَأْسُ الْوثَنِينَ (نيرون) سَحْقًا.

وبِهَذَا انْتَهَت الْمَرْحَلَة الأَوْلى مِنْ مَرَاحِل تَحْرِيف دِينِ الْمَسِيح والتي كانت عَلَى يَدِ بولس، فَبولس ومَنْ جَاء بَعْدَهُ مِنْ رِجَال الدِّينِ مِمَّنْ نَشَرُوا دِيْنَهُ وبَشَّروا بِه - بِحَسَب تعبيرهم - سيتحملون المسئولية ويحملُون إِثْمَ الأَجْيالِ الَّذِينَ اعْتَنَقُوا هَذَا الدِّين بِسَبَبِهِمْ إِلَى يَومِ

الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرِ القِسِّيسُ العَاقِلُ (وغَير القسيس) إِلَى أَيْنَ هُو ذَاهِبٌ بِالنَّاسِ، ءإِلَى الْجَنَّةَ أَمْ إِلَى الْجَحِيمِ؟[1]

مكانة بولس في المسيحية

بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ بولس هُو الْمُؤسِّسُ الْحَقِيقِيُّ للدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّة الْحَالِيَة، وتَنتسب إليه قولا وعملا، ولَيْسَ إِلَى المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَإِنْ كَانتْ تُسَمَّى «الْمَسِيحِيَّة» نسبة إلى اسم المسيح، فَهُو - أي بولس - هو واضع بِذْرَتِها الَّتِي سَقَتْها الْمَجَامِعُ الكَنَائِسيَّة فِيمَا بَعدُ بِدَعْمِ الرُّومَانِ لِتَزْدَادَ تَحْرِيفًا وضلالًا، كما سيأتي بيانه، فَبولس هو الطَّامَّة الأولى عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ، وهُو الَّذِي أَفْسَده وأَخْرَجَه عَنْ إِطَارِه إِلَى إِطَارِ الْوثَنِيَّة المُتَمَثلَة فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ والأَحْجَارِ والتَّمَاثِيلِ والصُّوَرِ والصُّلبانِ والأَشْخَاص مِنَ الأَنبياء والكهان.

قَالَ (جوستاف لوبون)[2]: «كَانَ القِدِّيس بولس مَفْطُورًا عَلَى فَرْطِ الْخَيالِ، وَكَانَتْ نَفْسُه مَملوءة بذكْرَياتِ الفَلْسَفة اليونانية والأديانِ الشَّرْقِيَّة، فَأَسّس بِاسْمِ يَسُوعَ دِينًا لَا يَفْقَهُهُ يَسُوعُ لَوْ كَانَ حَيًّا»[1].

---

[1]. انظر تفصيل دور بولس في تشويه دين المسيح في كتاب «تاريخ النصرانية – مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ» (ص ٩٣ وما بعدها)، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

[2]. جوستاف لوبون (1841 – 1931م)، طبيب ومؤرخ فرنسي، عُني بالحضارة الشرقية. من أشهر كتبه: «حضارة العرب»، و «حضارات الهند»، و«الحضارة المصرية»، و«حضارة العرب في الأندلس»، و «سر تقدم الأمم». هو أحد أشهر فلاسفة الغرب

وقَالَ: «إِنَّ بولس أَسَّس بِاسْمِ يَسُوع دِينًا لَا يَفْقَهُه يَسُوعُ لَوْ كَان حَيًّا، وَلَوْ قيل للتلاميذ الاثْني عَشَرَ: (إِنَّ اللهَ تَجسَّد في يَسُوع) مَا أَدْرَكُوا هَذِهِ الْفَضِيحة الْقَطْعِيَّة، ولَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُم مُحْتَجِّين»[2].

وقَالَ «مَايكل هَارت»[3]: «إِنَّ القِدِّيس بولس هو المُطوِّر الْحَقِيقِيُّ للنَّظَرِيَّة المَسِيحِيَّة، وهو المُغَيّر لأُصُولِها، وهُو الْمُؤلِف لِجُزْءٍ كَبِيرٍ مِن الْعَهْدِ الْجَدِيد».

وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يَسِر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي. لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية أقر أن المسلمين هم من مدَّنوا أوروبا، فرأى أن يُبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يُبديه للعالم في صورته الحقيقية؛ فألف عام ١٨٨٤ م كتاب «حضارة العرب» جامعًا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها، وقدَّمها للعالم تقديم المدين الذي يدين بالفضل للدائن. توفي جوستاف بفرنسا عام١٩٣١م. المصدر: Wikipedia.

[1]. كتاب «حياة الحقائق» (ص٦٣).

[2]. كتاب «حياة الحقائق» (ص ١٨٧)

[3]. مايكل هارت، فيزيائي فلكي يهودي أمريكي، ولد سنة (١٩٣٢)، وهو صاحب كتاب «الخالدون المئة» الذي نقلنا منه كلامه، والاسم الأصلي للكتاب بالإنجليزية:

«The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History»

وفي هذا الكتاب رتب مايكل أسماء أكثر الشخصيات تأثيرا في التاريخ بحسب عظمة التأثير، وقد جعل على رأس قائمة المؤثرين في المرتبة الأولى شخصية النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ضمت قائمته أسماء أنبياء كعيسى وموسى عليهما السلام، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات الوضعية ومبتكري أبرز الاختراعات والاكتشافات

"St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament"[1].

وبِنَاءً عَلَى مَا تَقدَّم؛ فَمُؤسِّس الدِّيَانة الْمَسِيحِيَّة بِشَكْلِها وتَرْكِيبتِهَا الْحَالِية هو بولس قَطعًا وَلَيسَ المسيح.

موقفُ المَسِيحيينَ مِن بولس

الْمَسِيحِيُّون يُعظِّمُون بولس تَعْظيمًا شَديدًا، ويَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ رَسُولٌ فعلًا كَمَا قَالَ هُو عَنْ نَفْسِه، ويُسَمُّونَه «رَسُول الأُمم»، وأَنَّه قِديس، ولهُ كَنَائِس عِدَّة، مِنْهَا كَنِيسَة بولس في روما، وهِي ثَاني أَكْبر كَنْيسةٍ هُنَاك، وفِيهَا مِنَ النُّقُوشِ والزَّخَارِفِ العُمْرَانِيَّة الشَّيء الكَثِير، وفي مُقَدِّمَة الْكَنِيسَة تمْثَالٌ كَبيرٌ لَهُ، وَكُلُّ هَذَا لَا يَمُتُّ لِدِينِ المسيح الأَصْلِي بِصلةٍ، إذْ إِنَّ المسيح جَاءَ لِيُخرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَة غَيْرِ اللَّهِ إِلَى عِبَادَةَ

التي غيرت مسار التاريخ، مثل مكتشف الكهرباء ومخترع الطائرة وآلة الطباعة، وأيضًا أسماء كثير من المفكرين وغيرهم.

[1]. انظر ترجمته في: Wikipedia.

From: "The 100, a Ranking of the Most Influential Persons in History", by Michael H. Hart.

اللَّهِ، وتَطْبِيقِ مَا جَاءَ فِي الإِنْجِيلِ، فَتَحَوَّلَ دِينُهُ إِلَى مَا تَرَىٰ أَيُّهَا القَارِئ الكَرِيمُ وَأَيَّتُهَا القَارِئة الْكَرِيمَة، تَحوّل إلى عِبادَةِ صُورٍ وتمَاثِيلَ وبَرَاوِيزَ، وفِي الْكَنَائِسِ تَدُور كُؤوسُ الْخَمْرِ، ويَحْصُل فيها الرّقص وعَزْف الْمُوسِيقى، مِمَّا هُو مُنَاقِضٌ لِدِينِ المسيح وتعَالِيمِه مِن جَمِيع الوجوه.

موقف أتباع المسيح الأوائل من بولس

عَاشَ أَتْبَاعُ المسيح عَلَى الْعَقِيدة الصَّحِيحةِ الَّتِي رَبَّاهُم عَلَيْهَا المسيح حِينًا مِنَ الدَّهْر، ولَكِنَّهم لاقَوا خلالها اضْطِهادًا شَدِيدًا مِنَ الْيَهُود، لاسيَّمَا مِنْ بولس الْيَهُودِي، فَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الاضْطِهادِ للنَّصَارَى أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ، فَلَمَّا وَجَدَ أَنَّ العنف لمْ ولَنْ يُجدِي مَعْهُم اسْتَعْمَل أَسْلُوب النِّفَاقِ، فَادَّعَى الْإِيمَانَ بِالْمَسِيحِ كما تقدم، واجْتَهَدَ فِي تَعلُّمِ تَعَالِيمِهِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَعْلَمِهِم، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كَذَبَ عَلَيهِمْ، وَقَالَ إِنَّ المسيح أَوْحَىٰ إِلَيْهِ إِنْجِيلًا، فَصَدَّقَهُ مَنْ صَدَّقَهُ، ثُمَّ قَامَ بِمَهَمَّتِهِ الدِّنِيئةِ الَّتِي كَانَ يَهْدِف إِلَيْهَا وَهِي تَحْرِيفُ دِينِ المسيح بِإِدْخَالَ مَا لَيْسَ مِنْهُ فِيهَا، فاخترع عَقِيدَة أَنَّ الْمَسِيح ابنُ اللهِ، ثمَّ عَقِيدَة الْخَطِيئة الأولى، ثمَّ عَقِيدَة الفِدَاءِ، فَقَامَ فِي وَجْهِهِ كَثِير مِن أَتْبَاعِ الْمَسِيح، يَدلُّ لِهَذَا مَا قَالَ بولس عَنْ نَفْسِهِ كَمَا فِي «تيموثاوس الثانية» (١:١٥): «أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعِ الَّذِين في آسيا ارْتَدُّوا عَنِّي».

وقَالَ فِيهَا أَيْضًا - (٤:١٦): «في احْتِجَاجِي الأَوَّل لَمْ يَحْضُر أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكُونِي».

ب- تحريف المجامع العشرة لرسالة المسيح (مجامع الرومان وما تبعها)

نبْذةٌ عَنْ عَقَائِدِ الرُّومَان[1]

الرُّومَانُ شُعوبٌ ضَالَّةٌ تَائِهةٌ، لا تَعْرفُ الرَّبَّ الْحَقِيقي (الله)، ولا تُؤْمِنُ بِرَسُولٍ، تَعِيشُ كما تَعِيش الْبَهَائِمُ، بَل الْبَهائمُ خَيْرٌ مِنْهَا، لأَنَّ الْبَهَائِمَ تَعْرِفُ رَبَّهَا في فِطْرَتِهَا، أَمَّا هُمْ فَلا ، فَقَد كَانَ الرُّومَانِيُّ يَعْتَقدُ أَنَّ الْكَوْنَ مِنْ حَوْلِهِ خَاضِعٌ لِقُوى جَبَّارَةٍ، قَديمةِ الْوجُودِ، غَيرِ مَرئيةٍ، يَظْهرُ نَشَاطُها في الظَّواهِرِ الطَّبيعيَّةِ؛ كَهُبوبِ العواصفِ والرِّيَاح، ونُزُولِ الأَمْطَار، ولَمَعان الْبَرقِ في الليل فيُبَدِّد ظلامه، وصوتِ الرَّعْد والصَّواعِقِ الَّتي تَصمُّ الآذَانَ، وغُروبِ الشَّمْسِ وَمَا يَنْتجُ عَنه مِن قدوم الليل وظهورِ القَمرِ والنُّجُوم، ثمَّ شروقِهَا وَمَا يَنْتجُ عَنه مِن تَبَدُّد الظَّلام، وتتابعِ الفُصول، ونُمو الْحَيوانات والنبات ونَشْأَةِ الإِنْسَانِ، ومَا يَطرأُ عَليه مِن تَطَوراتٍ في الْخِلقَة مِن ضَعْفٍ إِلَى قُوَّة ثُمَّ ضَعْفٍ.

فَكانَ الإِنْسانُ الرُّومَانِيُّ يُطلقُ عَلَى هَذِهِ القُوى اسْمَ «الأَرْواح النَّشِطة» أو «الآلهة».

---

[1]. للأمانة العلمية؛ فقد استفدت المعلومات المذكورة في هذا الفصل من المبحث الأول من كتاب: «تاريخ النصرانية - مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع.

وكان عَددُ هَذِهِ الآلِهَة في نَظَرِ الرُّومَان كَبيرًا جدًّا، فَهُنَاكَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ آلهةٌ لِحِرَاسَة المنزل والْمَزْرَعة، وآلهةٌ للغابات وآلهةٌ تُهَيْمِن عَلَى الظَّواهِر الطَّبيعيَّة الثَّائِرة؛ كَهَيَجانِ الْبَحْرِ وفَيضَانِ الأَنْهَار وهبوب الْعَواصِف وَنَحْوِها، وآلهة للعَسْكَر، وهكذا.

وكَانتْ عَلاقةُ الشَّخص الرُّومَانِيِّ بآلهتِه عَلاقةً مَادِيَّةً بَحْتَةً، لِأَنَّهُ يَعْتَقدُ مَنْفَعتَها لهُ في مِهْنِته، فَكَانَ يُقدِّم القرابِينَ لَهَا وَالذَّبَائِح، لِكَي يَنَالَ رِضَاهَا - بحسب اعتقاده - ثمَّ مَعُونتها لهُ، لِيَحصل عَلى رِبْحٍ وفِيرٍ فِي مِهْنَتِهِ، مُزَارِعًا كَانَ أوْ صَانعًا، أو رجلًا عَسكريًّا يُريدُ النَّصْر في حُرُوبه، أوْ غَير ذَلِك.

وقَدْ كَانَ للرُّومَان عِدةُ مَعْبوداتٍ لَهَا صُورٌ بَشريةٌ، خُصُوصًا تِلْكَ الَّتِي كانت تُعبد رَسْميًّا مِن قِبَل الدَّولة الرُّومَانيّة، مِثل (جوبيتر) الَّذِي كَان أَعْظَمَ الآلهة عِنْدَهُم، و(منيرفا) الَّتي كَانُوا يَعْتَقِدون أَنَّهَا تَهِبُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِعُقُولِهم وأَيْدِيهم الْمَهَارَةَ فِي الْعَمل، و (ساتورونس) آلهة الزراعة، وهَلُمَّ جرًّا.

وكَانَ الرُّومَان يَعْتَقِدُون أَنَّهُم كُلَّمَا زَادَ عَددُ العَابِدِينَ لِآلهة مُعيَّنَةٍ فَإِنَّهَا تكون أكثر استعدادًا ورغبةً فِي أَنْ تُكَافِىء عَابِدِيهَا.

ومِنَ الْمُضْحِكِ أَنَّهُم إذَا مَاتَ لَهُم إمبراطور لهُ إِنَّجازَاتٌ مَرْموقةٌ وأَعْمَالٌ جليلة وانتصاراتٌ؛ فَإِنَّ مَجْلَسَ الشُّيوخ الرُّومَانِي يُضِيفُ اسْمَ ذَلِكَ الإمبراطور لِقَائِمةِ الآلهةِ الَّتي يَعبدُونَهَا، فَيَصِير الإمبراطور إلـٰها بَعدَ وَفَاتِه وتَحوُّلِه إِلَى رُفَاتٍ!

وقَدْ حَصَلَ هَذَا (التَّأليه) لِعَددٍ مِنَ الأَبَاطِرة مِثل قَيْصَر وأغُسْطُس وتراجان وغَيْرهم.

ومِنَ الْجَدير بالذكر أنَّ السُّلُطَات الرُّومانيَّة كَانتْ تَسْمَحُ لِلْمُواطِنِ الرُّومَانِي بِاعْتِنَاقِ أَي دِيَانِةٍ أجنبية بِشَرطِ أَلَّا تَمْنَعَه تِلْكَ الدِّيَانَةُ مِن الْخُضُوع لِآلهةِ الرُّومَانِ وتعظيمها، والاشتراك في احْتِفَالاتِها وطقوسها، لأنَّ اشْتِراكَ الْجَمِيع في تَعْظيم آلِهَتِهم هُو رَمزٌ للوِحدةِ، وكَفيلٌ برضا الآلهة.

يُضَاف إلى ذَلِكَ أَهميَّة تَعْظِيمِ الْجَمِيع للأبَاطِرة، وذَلِكَ بِحَرْقِ الْبَخُور أَمَامَ تَمَاثِيلهم.

وقدْ كَان القانون الرُّومَانِيُّ صَارمًا جِدًّا ضِدَّ مَنْ يُخَالِف تِلْكَ القَواعِد.

وبسبب مُخَالَفَة الْيَهُودِ لِتِلْكَ القَواعِد فَقَد بَطَشَ بِهِم الرُّومَانُ بَطْشًا فِي الأَعْوامِ ٧٠ و١٣٢ - ١٣٥، فَقَدْ كَانت فِلَسْطينُ (بَلَد الْيَهُودِ والنَّصَارَى) تَحْتَ سُلْطَة الرُّومَان حِينَئِذٍ.

وقَدِ اسْتَغلَّ الْيَهُود هَذا النفوذ والْجَبروت عِندَ الرُّومَان لَيبطِشُوا بِالمسيح كَمَا تَقَدَّم، ولَكِنَّ الله نَجَّاهُ مِنَ الْقَتل، فَرَفَعَه إِلَى السَّمَاء معززا مكرما دُونَ أَنْ يَمَسَّه أَذًى.

ثمَّ اسْتَمَرَّ الرُّومَان فِي نُفُوذِهم وولايتهم عَلَى البُلْدَانِ قُرونًا، فَزَادُوا فِي تَحْرِيف دِينِ المسيح جِيلًا بَعْد جِيلٍ وقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، حَتَّى تمَّ تَحْرِيفُه تمامًا، وإحلالُ دين آخَرَ مَكَانَه لا يَمُتُّ لِدين المسيح بصلة، كما سيتم شرح ذلك بِالتَّفْصِيل بإذن الله.

ثمَّ بَعدَ نَحْوِ سِتَّةِ قُرُونٍ مِنْ ولادة المسيح، بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّه مُحمَّدًا (صلى الله عليه وسلم) بِدينِ الإِسْلامِ، فبيَّن لهم حقيقة دين المسيح، وبين لهم التحريف الذي حَلَّ فيه، وبين أن المسيح دعا قومه إلى الإيمان به عند ظهوره، وأنه دينه متمم لدين المسيح والأنبياء قبله، ولَمَّا عَرَفَ النَّاسُ أَنَّهُ مِنْ عِندِ الرَّبِّ حَقًّا، وأَنَّه هُو الدِّينُ الصَّحِيحُ؛ دَخَلُوا فِيهِ أَفْواجًا، فَانْتَشَر دِينُ الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ الرُّومَانَ، لأَنَّهُم لَيْسُوا عَلَى دِينٍ صَحِيحٍ، بَلْ دِينٍ بَاطِلٍ، فَرَضُوهُ عَلَى النَّاسِ بِالْحَدِيد والنَّارِ، فَتَغَلَّبُوا عَلَيْهِمْ، وسَيْطَرُوا عَلى البُلْدَانِ الَّتِي كَانُوا يَحْكُمُونَهَا، وهي الشَّامُ ومِصْرُ وتُركيا وغَيْرِها، وحَلَّ الدِّينُ الصَّحِيحُ الْمَحْفُوظ - وهُو دِينُ الإسلام - مَحَلَّ الدِّينِ الْمُحَرَّف الَّذِي وضَعَه بُولسُ ومَنْ تَبعه مِنْ أَبَاطِرة الرُّومَانِ، وَالْحَمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

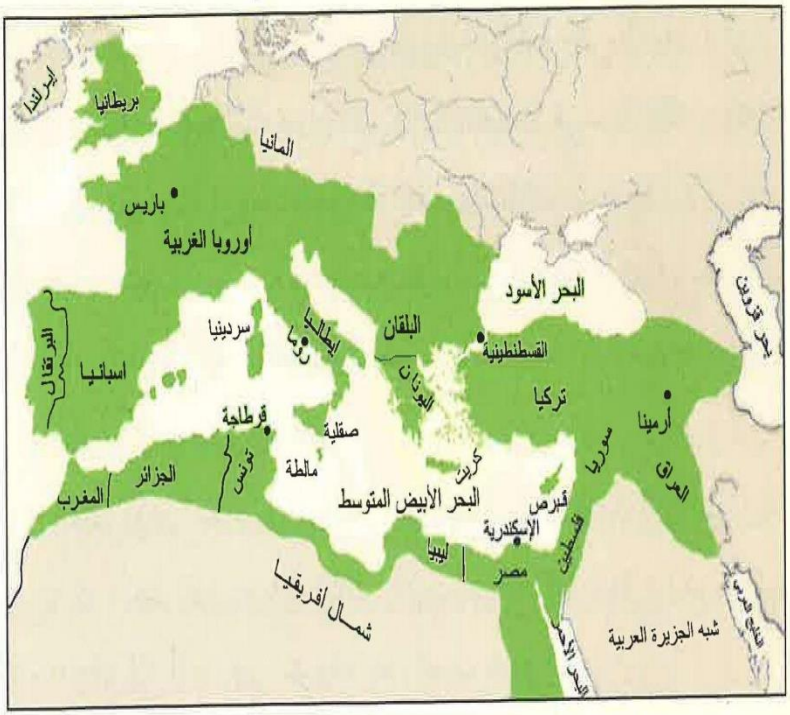

الإمبراطورية الرومانية في أقصى اتساع لها سنة 117 م، في عهد الإمبراطور تراجان

التَّحريف الكَنَائِسي الأول، وهو الطامة الثانية على دين المسيح، إذ الطامة الأولى ما حصل من تحريف بولس

في مطلع القرنِ الرَّابِعِ الْمِيلادِي اشْتَدَّ النِّزَاعُ وثَارَت نَيرَانُ الْخِلافِ بَيْنَ القَسَاوِسة الْمَسِيحيينَ حَوْلَ شَخصِ الْمَسِيح، أَهُو إِنْسَانٌ أَمْ إله، وَذَلِكَ أَنَّ قِسًّا مِصْرِيًّا يُدْعَى (آريوس) تَقَدَّم بِرَأيٍ إِلَى كَنِيسَتِه قَالَ فِيهِ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَلَيْسَ لَهُ ابن، واحْتَجَّ عَلى هَذَا بِحُجَجٍ عَقليَّةٍ صَحِيحةٍ، فَنَشَأَ خِلافٌ فِي الْكَنِيسَةِ الْمِصْرِيَّة، ثمَّ امْتَدَّ الْخِلافُ إِلَى الْكَنِيسَة الْعَامَّة فِي رُومَا، فَحَصَلَتْ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ بَينَ رِجَالِ الدِّينِ الْمَسِيحِي مَا بَينَ مُؤيِّدٍ ومُعَارِض، وكَانَت الإمبراطوريَّة الرُّومَانِيَّة هي الْحَاكِمة فِي ذَلِكَ الزَّمَان، ولمْ تَكُنْ مُعْتَنِقَة للدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ آنَذَاكَ، بَلْ كَانُوا وثَنِيينَ، عِنْدَهُمْ عَددٌ مِن الآلِهَةِ يَعْبُدُونَهَا؛ آلهة للزرع، وآلِهَةٌ للعَسكر، وآلِهَةٌ لِلْمَاشِية، وهَكَذَا، ولمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِنَبِي ولا بِدِين سَمَاوِي.

فما كان من الإمبراطور الرُّومَاني آنذاك «قُسْطَنْطِين» إلا أَن قَامَ بِمُحَاوَلَةٍ لِوَأْدِ هَذَا الْخِلَافِ الَّذِي سَيُفرِّق الأُمَّة ويُهَدِّد الأَمْنَ الدَّاخِلِي، فَأَمَرَ بِعَقْدِ مَجْمَعٍ عَامٍّ للأَسَاقِفَة والبَطَارِكَة فِي أَحَدِ قُصُورِه فِي مَدِينَةِ نِيقية - قُرْب مَدِينَةِ اسْطَنْبُول حَاليًا - لمناقشة هذا الخلاف وحَلِّه، والخروج بقرار مُوَحَّدٍ قبل أن يتسع الخلاف ويصعُب السيطرة عليه، الأمر الذي قد يؤدي إلى تفكك دولته من الداخل.

وقد كان انعقاد ذَلِكَ المَجْمَع في عام ٣٢٥م، فَاجْتَمَعُوا وَكَانَ عَدَدُهم ٢٠٤٨، وكَانَ مِنْهُم ٣١٨ يَقُولُون بِأُلوهِيَّة الْمَسِيح (أي نحو ١٦٪)، والْبَقِيَّة وعَدَدُهُم ١٧٣٠ (٨٤ ٪) يَقُولُونَ بِأَنَّ المسيح بَشَر.

ونَظرًا لأَنَّ قُسْطَنْطين كَانَت عَقِيدَتُهُ وثَنِيَّةً مِنَ الْأَصْلِ فَإِنَّهُ مَالَ إِلَى قَوْل القَائِلِينَ بِأُلوهِيَّةِ المسيح وأَنَّه ابنُ اللهِ مَعَ أَنَّهُم الأَقَلُّ عَدَدًا، **فَنَصَرَهُم نَصْرًا مؤزرا**، فَقَرَّر الْمَجْمَعُ أُلوهِيَّة المسيح وأَنَّه ابنُ اللهِ، وذَلِكَ بَعْدَ اجْتِمَاعَاتٍ دَامَت أَكْثَرَ مِن ثَلاثَةِ أَشهر، وجعلوا هذا القرار مِنْ ضِمْن قانونِ الإِيمَانِ الْمَسِيحِي الَّذِي أَصْدَرَه الْمَجْمعُ، فَانْقَلبتِ الكِفَّة لِصَالح القائلين بألوهِيَّةِ المسيح بِقُوةِ السُّلْطَان بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَقليَّةً، ورُفع السِّتار رسميًّا عنْ مَسِيحِيَّة بولس، الَّذِي هَلَكَ قَبل نَحْو ثَلَاثَةِ قُرُونٍ مِن هَذَا الْحَدَث.

فوحَّدَ قُسْطَنْطِينُ بهذا القرار جَبْهتَه الدَّاخِليَّة عَلَى حِسَاب دِينِ الْمَسِيح الأَصْلِي لِمَصْلَحة تَوْحِيد مَمْلَكتِه ووأدِ الْخِلافِ فِيهَا، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ عَلَى أَمْثَالِه مِمَّن الْغَايَةُ عِنْدَهُم تُبَرِّر الوسِيلَة، فَإِنَّ هَدَفهُ هُو تَوحِيدُ الْكَنِيسَة وَعَدَمُ حصول الانقسامات فِيهَا، لِكَي يَتَفَرَّغ لِمُواجَهَةِ مُنَافِسِيهِ عَلَى السُّلْطَة فِي الدَّاخِل والأَعْدَاء الْخَارِجيين، وليس اتخاذه لهذا القرار عن اقتناع بهذه العقيدة، وإنما فعل ذلك لأن الانقسام في المجتمع المسيحي يُضعِف دولته من الداخل، فأراد

وأدهُ، فَمَنَعَ قُسْطَنطين القَوْلَ الَّذِي جَاء به آريوس؛ أي الْقَول بِأَنَّ المسيح بَشَرٌ وَلَيْسَ إلٰها، وَنَفَاهُ وَمَنْ مَعَه خَارِج البلاد، واعتُبِروا مُعَارِضينَ للإمبراطور الرُّومَانِي قُسْطَنطين، وخَارِجِين عَنِ النظَامِ الْعَام للإمبراطورية الرُّومَانِيَّة، وأَصْدَر مَرْسُومًا بِحَرْقِ كُتُبه، ومَنِ احْتَفَظَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَإِنَّ عُقوبَتَه الإعدام.

وقَدْ كَانَ هَذَا القرار من قسطنطين هو الطَّامَّةُ الثَّانِيَةُ عَلَى دِينِ المسيح بَعْدَ طَامَّةِ تَحْرِيفِ بُولس لها، وقد أكسب قسطنطين تحريفات بولس طابع الرسمية والهيبة السلطانية بعد أن لم تكن كذلك.

يُلاحظ أنَّ فرضَ قُسطنطين للقرار كان محصورا في المجتمع المسيحي، لكون الخلاف كان محصُورًا فيهم كمجتمع له دينه الخاص به في وسط الإمبراطورية الرومانية الوثنية، أما الرومان – وهم الأغلبية – فباقون على دينهم، ثم لما اعتنق قُسطنطين الْمَسِيحِيَّة بَعْد مَجْمَع نيقية بِسَنَواتٍ فرض المسيحية على جميع سكان الإمبراطورية كما سيأتي بيانه قريبًا.

ويُلاحظ أيضًا أن قُسْطَنطينَ فرض القول بألوهية المسيح بالرغم من أن القائلين به كانوا هم الأقلية في المَجمع (نحو ١٦٪) في مقابل الذين قالوا بأن الله واحد في ذاته، ليس له ابن، فنسبتهم ٨٤٪ من

مجموع عدد الحاضرين، ولكنه اختار قول الأقلية وفرضه بالقوة على المسيحيين لأنه أقرب إلى عقيدته الوثنية التي تنص على نزول آلهة من السماء، فهو أحَبُّ إليه من القول الآخر بطبيعة الحال.

تنبيه

لمْ يَسْتَطِعْ مَجمعُ نيقية الْقَضَاء عَلَى الْوحَدَانِيَّةِ الَّتِي كَان يَدعُو لَهَا الأسقف آريوس، فَقَدْ كَانَ التَّوحِيدُ هُوَ الْغَالِبُ بَينَ الْمَسِيحِيينَ فِي القُسْطَنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية وأسيوط وبَيْتِ الْمَقْدِسِ وقَيْصَرية فلسطين وصور، فأخذَ الأَسَاقِفةُ غَيْرُ المُوحّدين يُسيطِرُونَ عَلَى الْمَسِيحِيينَ بالرُّؤى والأَحْلامِ حَتَّى اخْتَفى مَذْهَبُ التَّوحيد[1]، ولَمْ يَبْقَ عَلَى السَّاحَةِ إِلَّا مَذْهَب تَأْلِيهِ المسيح.[2]

ويَا لَلْعَجَب! لَمْ يَتَّفِقِ القَسَاوِسَة عَلَى أَنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ إِلَّا بَعْد ٣٠٠ سَنَةٍ مِنْ رَفْعِ الْمَسِيحِ، فَهَلْ يُمْكِن أَنْ تَكُون هَذِهِ هي الْعَقِيدَة الصَحِيحَة بَعْدَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ الْبَعِيدَة، ولا يكون لها وجود أَثْنَاء وَجُودِ المسيح عَلَى الْأَرْضِ؟!

---

[1]. أي: مذهب القول بأن الله واحدٌ في ذاته، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده.

[2]. انظر: كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبو زهرة (ص١٢١ وما بعدها)، وكتاب «الروم» لأسد رستم، (١ / ٦٠، ٦١).

قراراتُ أُخْرى لمجمع نيقية

تَقدَّم ذِكْرُ أَنَّ القَرارَ الرَّئيس لِمَجْمَع نيقية هُوَ اعْتِمَادُ أُلوهِيَّةِ المسيح، وَأَنَّهُ ابنُ اللهِ، وقَدْ صَحِبَ هَذَا الْقَرار قَرَاراتٌ بَشَرِيَّةٌ أُخْرَى مُدَمِّرَةٌ لِدِينِ المسيح، وَهِي:

1. اعْتِمَادُ أَرْبَعَة أَنَاجِيل فَقَط يُطلَق عَلَيْهَا اسْم «الْعَهْدِ الْجَدِيد»، واعتُبرت الأناجيل الأُخْرَى الَّتِي كَانَ عَدَدُها يَرْبُو عَلَى السَّبْعِينَ إِنْجِيلًا – ومِنْهَا أَناجِيل الموحدين، مثل إِنْجِيل برنابا - مُزَيَّفَةً وغَير قَانُونِيَّةٍ ومُحَرَّمَةً، يَجِبُ إِحْرَاقُها عَلَى الْفَوْر، ومَنْع اطِّلاع الْمَسِيحيينَ عَلَيْهَا، وَجَعْل عُقُوبَة مَنْ تُوجَد بِحَوْزَته الإعدام.

2. اعْتَمَدَ هَذَا الْمَجْمَع سِتَّ عَشْرَةَ رِسَالةً فَقَطْ مِن رَسَائِلِ مَن يَدْعُونَهُم بِالرُّسُل، اعْتَبَرهَا الْمَجْمَع صَحِيحةً، سَواءٌ فِيمَا يَخُصُّ مُحْتَوَيَاتِهَا أَوْ فِي نِسْبَتِها إلى مُؤلِّفِيها، وأَلْحَقَها بالأناجيل الأربعة، واعْتبر مَا عَدَاهَا مِنَ الرَّسَائِل مُزيَّفَة ومَدْسُوسة عَلَى مُؤلِّفِيهَا.

وقد جَاءَتْ مَجَامِع أُخْرَى بَعْدَ هَذَا الْمَجْمَعِ، وَاعْتَمَدَت سَبع رَسَائِل إِضَافِيَّةً وأَلْحَقَتْهَا بِالأَناجِيل، كَانَ مَجْمَع نِيقْيَة قَدْ رَفَضَهَا، وَاعْتَبَرَهَا مُزَيَّفَةً ومَنْحُولةً عَلَى مُؤلِّفِيها.

3. قَامَ مَجْمَع نيقية برفض بَعْض كُتُب الْعَهْدِ القَدِيمِ - التَّوْرَاةِ والكُتُب التَّابِعة لَهَا- حَيْثُ اعْتَبَرَهَا مُزَيَّفَةً ومَدْسُوسةً، ثُمَّ جَاءَت مِن بَعْدِهِ مَجَامِع أُخْرَىٰ أَعَادَتِ الاعْتِرَاف بِتِلْكَ الْكُتُبِ.

4. تمَّ لَعْنُ وطَرْدُ وحِرْمَانُ الْمُخَالِفِينَ لِقَرَارَاتِ هَذَا الْمَجْمَعِ مِنْ حَظِيرة الكنيسة، وعَلَى رَأْسِهم الأُسْقُف الْمِصْري المُوَحِّد (آريوس) الَّذِي قَالَ بوحْدَانِيَّة اللهِ، وحَرْقُ كُتُبه، وإِعْدامُ مَن تُوجَد بِحَوزَتِه.

5. تقرر مَنْعُ زَواجِ الرُّهْبانِ، وقَد كَانَ ذَلِكَ القَرَارُ الْمُنَاقِضُ لِلْفِطْرَة السليمة سَبَبًا لِمَآسٍ ومَشَاكِل جِنْسِيَّةٍ لأُولَئكَ الرُّهْبَانِ لا حَصَرَ لَهَا مُنذُ ذَلِكَ الْيَوم وإِلَى يَومِنَا هَذَا، وَالْمُتَمَثِّل فِي الْعلاقات الجنسية السِّرِيَّة القَذِرَة بَينَ الرُّهْبَانِ والرَّاهِبات فِي الْكِنَائِس، وما نتج عنها من تدمير لنظام الأسرة ونشوء أطفال اللقطة.

وقد ذكر القُرآنُ الْكَرِيمُ خطأ رُهبان الْمَسِيحيين الذين شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم بِتَشْرِيع شَرَائِعَ لَمْ تَرِدْ فِي الإِنْجِيل، ومِنْهَا مَنعُ الزَّواج عَلَىٰ أَنْفُسِهِم، فَقَالَ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رعايتها﴾[1].

[1]. سورة الحديد: ٢٧.

وتفسير الآية: ابْتَدَع مَن يَدَّعُونَ أَنَّهُم أَتْبَاعُ المسيح رَهْبَانِيةً بِالتَّشَدُّد فِي الْعِبَادَةِ، مَا فَرَضْنَاهَا عَليهِم، بَلْ هُم الَّذِين التزمُوا بِهَا مِنْ تِلْقَاء أَنْفُسِهِم، قَصْدُهم بِذَلِكَ رِضَا اللهِ، وهَذِهِ الرَّهْبَانِيَّة فِي الْحَقِيقَة لَيْسَ لَهَا علاقةٌ بِرِضَا اللَّهِ، لأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلكَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيم، فَكَيْفَ يَكُونُ فِعْلُ مَا لَمْ يَأْمُرُ بِه اللَّهُ سَببًا فِي رِضَا الله؟!

****

الطامة الثالثة على دين المسيح:

دخولُ قُسطنطين في المسيحية، وفرضُها بالقوة في المجتمع الروماني

دخل قسطنطين في المسيحية، وكان ذلك بعد مجمع نيقية بسنوات، وتَرَكَ دينه القديم الذي هو الوثنية الخالصة، الأمر الذي أدى إلى تقوية الدين المسيحي بشكل هائل، وكان أول ذلك أنه فرض اعتناق الدين المسيحي على جميع سكان الإمبراطورية، مع أن المسيح نفسه لم يُرسَل إلا إلى بني إسرائيل وليس إلى الرومان!

فَفِي إِنْجِيلِ مَتَّى (24/15) أَنَّ يَسُوعَ قَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَىٰ خِرافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّة».

يَذْكرُ الْمُؤرّخ الْمَسِيحِيُّ سَعِيدُ بنُ البطريقِ فَائِدَةً تَارِيخَيَّةً تَتَعَلَّقُ بِاسْتِعْمَال قُسْطَنطينَ قُوَّتَه كَسُلْطَانٍ فِي نَشْرِ الْمَسِيحِيَّة، قَالَ مَا مَعْنَاه: لَمَّا تَنَصَّر[1] الإمبراطور قُسْطَنطينُ بَعْدَ مَجْمَع نِيقِيَة بِسَنواتٍ؛ أَمَرَ بِكَسْرِ الأَصْنَامِ وقَتْلِ مَنْ يَعْبُدُها، وحَصَر قِيادَةَ الْجَيْشِ بِالنَّصَارَى.

[1]. تنصر أي صار نصرانيا، أي: مسيحيًا بالمصطلح السائد.

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُبْحَثَ عَنْ مَكَانِ قَبْرِ المسيح وصليبه، فَقَامَت أُمُّه هيلانة – أو هَلينا - بتلك الْمَهَمَّة بِنَفْسِها، وسافرت إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَيثُ بَنَت كَنِيسةَ الْقِيامَة - لا تَزَالُ مَوجُودة إلى الْيَوْم - عَلَى الْمَكَانِ الْمَزْعُومِ أَنَّ السَّيِّد المسيح قَدْ قُبِرِ فِيهِ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ قَبْرِهِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيت هَذِهِ الكنيسة بكنيسة الْقِيامَة[1].

وبحثت هيلانةُ عنِ الصَّليب الَّذي زُعِم أَنَّ السَّيِّدِ المسيح قَدْ صُلِب عَلَيْهِ وَكَانَ مَدْفُونًا، وعَادَت به إلى ابنها الإمبراطور قُسْطَنطين بَعْدَ أَنَّ غلَّفَتْه بِالذَّهَب، ثُمَّ أَمَرَ الإمبراطور قُسْطَنطينُ بِطَرْد الْيَهُودِ مَنْ بَيت الْمَقْدِسِ، كَمَا أَمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ لَمْ يَتَنَصَّر، فتَنصَّر خَلقٌ كَثيرٌ مِن الْيَهُود والوثَنِيينَ، وظَهَرَ دِينُ الْمَسِيحِيَّة.[2]

أَقُول: هَذَا تَطَورٌ جَديدٌ للْمَسِيحِيةِ في عَهْد قُسْطَنطين، فَقُسْطَنطينُ بَعْدَ مَجْمَع نيقية طَمَسَ القَوْل بِبَشَرِيَّة المَسِيح، والَّذِي حَاول آريوس إظهاره، وأَظْهَر الْقَول بِأَنَّه إله وابنُ الإله، وفِعْلُ قُسْطَنطينَ هَذَا لَمْ يَتَعَدَّ جُمْهُورَ الْمَسِيحِيينَ الْمُنتَمِينَ للكَنِيسَة آنذاك، ثمَّ بَعْدَ دُخُولِه في الْمَسِيحِيَّة صَارَ يُلْزِم النَّاسَ جَمِيعًا بِالدُّخُولِ في الْمَسِيحِيَّة، أعْنِي الْوثَنِيينَ الرُّومَانَ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا الْمَسِيحِيَّةَ ابْتِدَاءً!

---

[1] سميت هذه الكنيسة بهذا الاسم نسبة إلى قيام المسيح من قبره – بحسب اعتقادهم- وليس نسبة إلى يوم القيامة.

[2] «تاريخ ابن البطريق» (١/130-128).

قال (وِل ديورانت)[1]: «إنَّه بفَضْل جُهودِ قُسْطَنطينَ أَضْحَتِ الْمَسِيحِيَّة دولة ودينا، وأَمْستْ هِي القالبُ الَّذِي صُبَّت فِيهِ الْحَياةُ الأَدَبِيَّة والفكر الأُوربي عَلَى مَدَى أَرْبَعَة عَشَر قرنًا[2].[3]

****

[1]. «ول ديورانت»، (١٨٨٥ – ١٩٨١م)، فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته: كتاب «قصة الحضارة»، والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه. (المصدر: Wikipedia).

[2]. توفي (ول) عام (١٩٨١م)، وبناء عليه فهو يقصد بقوله: (على مدى أربعة عشر قرنًا) أي: القرن السادس الميلادي وما بعده.

[3]. «قصة الحضارة» (403/1).

الطامة الرابعة على دين المسيح:

اعْتِنَاق الإمبراطور ثيودوسيوس الأَوَّل للْمَسِيحِيَّة وحُصُول الامْتِزَاجِ بَيْنَ الْمَسِيحِيَّة والرُّومَانِيَّة

في سنة 380 م كَانَ عَهْد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، الَّذِي اعْتَنقَ الْمَسِيحِيَّة، فَاعْتَنقت الإمبراطورية الرُّومَانِيَّة الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة رَسْمِيًّا بِثَوبِهَا الْجَدِيد الَّذِي فَصَّله بولس وثبته قُسْطَنطين، فَانْفَتحَ الْبَابُ عَلَى مِصْرَاعَيهِ أَمَامَ الشُّعوب الوثَنِيَّة التَّابِعة للإمبراطوريَّة الرُّومَانِيَّة للدُّخُول فِي الْمَسِيحِيَّة، مَعَ أَنَّهُم ليسُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانت رِسَالَةُ المسيح الْأَصْلِيَّة مُوجَّهَةً إِلَيْهِم، وقَدْ تَقَدَّم بَيَانُ ذَلكَ، فَدَخَلُوا أَفْوَاجًا، طَواعِيةً أَوْ بِرغْمَ أُنُوفِهِم، فَلَيْسَ هُنَاكَ خِيارٌ ثَانٍ أَمَام سَيف الإمبراطور إِلَّا الدُّخُول فِي الْمَسِيحِيَّة، فَدَخَلَتْ تِلْكَ الْمَلايين بعِقَائِدهمْ وشَعَائِرِهمْ وتقاليدهم (كعِبَادَة الصُّور والتَّمَاثِيل وغَيْرِها) وطُقُوسِهم للديانة المسيحيَّة، فَزَادَ الطِّينُ بِلَّةً، وانْفَتَح التَّحْرِيفُ لِدِينِ المسيح عَلَى مِصْرَاعَيه، وحَصَلَ الْمَزِيد مِنَ الإمْتِزَاجِ بَيْنَ الْمَسِيحِيَّة وعَقَائِد الرُّومَانِ الْوثَنِيينَ، وهذه هي الطَّامَّة الرابعة عَلَى دِينِ المسيح بَعْد طامة تحريف بولس له (الطامة الأولى)، ثم طامة تثبيت قسطنطين لتحريف بولس في القانون المسيحي (الطامة الثانية)، ثم طامة دخول قسطنطين نفسه في المسيحية وفرضها على المجتمع الروماني بالقوة (الطامة الثالثة).

التَّحْرِيفُ الكَنَائِسي الثاني

في عَهْدِ الإمبراطور ثيودوسيوس الأوّل حَصَلت طَامَّةٌ جَدِيدَةٌ خامسةٌ على دِين المسيح، فَزَادَ تَشْوِيها إلى تَشْويهه، فَقَدْ حَصَلَتْ خِلافَاتٌ عَقَائِدِيَّةٌ جَدِيدَةٌ حَوْلَ مَاهِيَّةِ الروح القدس، وعلاقته بالآب والابْنِ، وقَدْ كَانَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ يَعْتَقِدُونَ بِالٰهين اثْنَيْنِ، وهُمَا: الآب والابنُ (الله والمسيح بحسب اعتقادهم)، فَلَمَّا حَصَلت الخلافات الْمُشَارِ إِلَيْهَا حَوْلَ الرُّوحِ القُدُس ومَاهِيَّته قَامَ الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بِجَمْع مِائَةٍ وَخَمْسِين رَجُلًا مِنْ كِبَار رِجَالاتِ الدِّينِ الْمَسِيحِي، مَا بَينَ كَارْدِينال وبطريرك وأُسْقُف، وجَمَعَهم في مَجْمَعِ الْقُسْطَنطِينِيَّةِ الأَوَّلِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَة ٣٨١م، وهُو الْمَجْمَعُ الثَّانِي بَعْد مَجْمَع نيقية، وأَمَرَهُم بِالتَّشَاوُرِ لِحَلِّ الْخِلَافَات الْجَدِيدَةِ، فَخَرَجُوا بِعَقِيدَةٍ جَدِيدةٍ وهِي عَقِيدَة التَّثليث، وهي اعْتِقَادُ أَنَّ الآلهة عِبَارَةٌ عَنْ ثَلاثَةِ أَقَانِيمَ، وهِي أُقْنومِ الآبِ، وأُقْنُوم الابنِ، وأُقْنُوم الرُّوح القدس.

وبعبارة مختصرة فَقَد تَحوَّل دِينُ المسيح الصَّافِي الدَّاعِي إلى **التَّوحِيد** (تَوْحِيدُ الْعِبادَة للهِ) إلى التَّثْلِيث، وهو اعْتِقَادُ أَنَّ الآلِهَة ثَلَاثَةُ أَقَانِيم، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هٰذين الاعْتقَادَين.

****

التَّحْرِيفُ الكَنَائِسي الثالث

وفي سنة ٤٣١م حَدَّثَتْ طَامَّةٌ أُخْرى سادسة على دينِ المسيح، إِذْ خَرَج نَسْطُور، وهُو بَطريرك كَنيسة القُسْطَنطينية، خَرَجَ بِعَقِيدَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ المسيح عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَهُ طَبيعَتانِ: إلـهيَّةٌ وبَشَريَّةٌ، (لاهوت وناسوت)، وأَنَّهُمَا منفصلتان عن بعضهما.

ويَتْبَع ذَلِكَ أَنَّ مَرْيم مَا وَلَدت الإلـه عِيْسَى، بَلْ وَلَدَتِ الْبَشَرَ عِيسَى!

فَهِي أُمُّ الإِنْسَان عِيسَى، وَلَيْسَت أَمَّ الإلـه عِيسَى!

فَحَصَل إِثْرَ هَذَا خِلافٌ شَديدٌ بَينَ كِبارِ رِجَالِ الدِّينِ المسيحي، فَقَرَرُوا عَقْد مَجْمع للنظر في عَقِيدَة الْبَطْريرك نَسْطُور، فعُقِد مَجمعٌ فِي تِلْكَ السَّنة فِي مَدِينَة إِفْسس فِي تُركيا، وهُو المُسمَّى مَجْمَع إِفْسس الأَوَّلْ، حَضَرَه مِائَتَا بَطْرِيرك وأُسْقُف، وقَرَّرُوا أَنَّ الْمَسِيح لهُ طَبيعَتَانِ، إلـهيَّةٌ وبَشريَّةٌ، وَلَكِنَّ تِلْكَ الطَّبيعتَينِ مُتَّحِدتَانِ ومُنْدَمجتَانِ، ولَيْستَا مُنفصلتينِ كَمَا يَعْتقدُ نَسْطُور، وبِنَاءً عَلَيه تَكُون مَرْيَمُ هِي والدة الإلـه عِيسَى كَمَا هِي والدة الْبَشَرِ عِيسَى.

ولَمَّا أَصَرَّ نَسْطُور عَلَى عَقِيدَتِه طَرَدُوهُ مِن مَنْصِب الْبَطْرِيرك ولَعَنُوه.

ولَكِنَّ عَقِيدَةَ نَسْطور انْتَشَرت فِي سُوريَّا والْعِرَاقِ وفَارِس، وسُمِّي أَتْبَاعُ هَذِهِ الْعَقِيدة: النَّسْطُوريين أو النَّسَاطِرة، نِسْبةً إلى الْبَطْرِيرِك نَسْطور، الَّذِي مَاتَ فِي حوالي عام ٤٥٠ م.[1]

تَعليق عَلى عَقِيدَةِ الطَّبِيعَتَين الَّتي أَتَى بهَا نَسْطُور

هَذِه العقيدة التي أَتَى بِهَا نَسطورُ عَقيدة خرَافِيَّةٌ، لأَنَّهَا مُعْتمدةٌ أَصْلًا عَلَى عَقِيدَةٍ خُرافِيَّةٍ أُخْرى، وهِي عقيدة أَنَّ اللّهَ تَجَسَّد فِي الْمَسِيحِ، وَالَّتِي أَتَىٰ بِهَا بولس، وقَدْ تَقَدَّم الْكَلامُ عَلَيْها وبَيانُ بُطلانها، يضاف إلى ذلك هذه الوجوه الأربعة لبيان بطلانها:

الأول: عَلَى افْتِرَاضِ أَنَّ اللّهَ تَجَسَّد فِي المسيح (وحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ)، فَمَا الَّذِي يَمْنَع مِنْ أَنَّ تَكُون طَبِيعَة المسيح وَاحِدَةً، وَطَبيعةُ اللّهِ وَاحِدَةً؟!

وبِنَاءً عَلَى مَاذَا يُقَرِّر نَسْطُور أَنَّ الْجَسَد واحد والطَّبيعة مُخْتَلِفَة؟ هَلْ هُو ربٌّ يَعْلَمُ الْغَيب؟

[1]. انظر كتاب «محاضرات في النصرانية»، لمحمد أبو زهرة، (ص ١٢٦ – ١٢٧)، وكتاب: «دائرة معارف القرن العشرين»، للأستاذ محمد فريد وجدي.

إنَّ مَسْأَلَة الطَّبيعة أو الطَّبيعتين تُعتبر مِنَ الْغَيبِ الَّذِي لا تراه العيون. وهَذَا يُوضّح دَوْر رِجَالِ الدِّين والْبَطَارِكة في تَحْرِيفِ دِينِ المسيح بِإِدْخَالَ عُقُولِهم في الأمور الْغَيْبيَّة والتَّكَلُّف في فَهْمِها، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا مَنْ يَسْتَمِع لَهُم، تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِهم وافْتِرَائِهِم عُلُوًّا كَبِيرًا.

الْوَجْهِ الثَّانِي: أنَّه يَلْزَم مِنْ هَذِهِ الْمَقُولة أنَّ اللَّاهُوتَ يَعْتَمِد عَلَى النَّاسُوت، وهَذَا بَاطِلٌ، إِذْ كَيفَ يَعْتَمِد الرَّبُّ عَلَى الْبَشَرِ؟!

الوجه الثَّالِث: أنَّ قَوْلَهم بِاتِّصَاف المسيح بِطَبيعَتينِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مُتَناقِضٌ جدًّا، فَالذَّات الْواحِدَة لا يُمْكِن أَنْ تَكُون مُتَّصِفَةً بِصِفَاتِ الرَّبِّ وصفات الْبَشَر في آنٍ واحدٍ، لأَنَّهُمَا عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ، فَالرَّبُّ لَهُ صِفاتُ الْكَمَالِ، والْبَشرُ لَهُم صِفَاتُ النَّقص، فَلا يُمْكِن أنْ يَكُون الرَّبُّ عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَيسَ عَالِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ.

الوجه الرابع: ومما يدل على تَهَافُت هَذِه الدَّعْوى (دَعْوى تَقْسِيم المسيح إلى لاهوت وناسُوت) أَنَّهَا دَعْوى جَدِيدَةٌ، لَمْ يُعَلِّمها الْمَسِيحُ بَني إِسْرَائِيل، ولوْ كَانَتْ صَحِيحةً لَعَلَّمَهُم إِيَّاهَا قَطعًا، لأَنَّ هَذَا شَرفٌ لَهُ لَوْ كَانَت حقا، وهي مِنَ الأُمور التي تتوافر الْهِمَم عَلَى نَقْلِهَا لِيَعْرِفَهَا النَّاسُ، ولا يُطبِقُوا عَلَى الْجَهل بها إلى أن تُعلم بعد أربعة قرون!

فَهِي إِذَنْ عَقِيدَةٌ مُبْتَكرةٌ مِن عِنْدِ الْبَشَر بَعْدِ رَفْعِ المسيح بِنَحْو أربعة قرون، ولمْ تَكُن مَعروفةٌ مِن قبل.

****

التحريفُ الكَنَائِسي الرابع

وفي سَنَةِ ٤٤٩م حَصَلَتْ **طَامَّةٌ جَدِيدةٌ سابعة** على دين المسيح الأصلي، وذلك أنَّ ديسقورس، بطريرك كنيسة الإسكندرية، جَاء بِعَقِيدَةٍ جَدِيدَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ للمسيح طَبيعةً وَاحِدَةً مِنْ طَبيعتين؛ بَشَرِيَّةٍ وإلٰهيَّةٍ، اتَّحد فِيهَا الْعُنصرُ الْبَشَرِيُّ (النَّاسُوت) مَعَ الْعُنْصُر الإلٰهي (اللَّاهُوت) فَصَارا شَخْصًا وَاحِدًا، وَهُوَ الْمَسِيح!

فَعَقَد ديسقورس مَجْمَع إفسس الثاني سَنَة ٤٤٩م، فَأَقرَّ الْمَجْمَعُ تِلْكَ الْعَقِيدة، وعَارَضَت الْكَنَائِس الأُخْرَى هَذَا الْقَرَارِ، وَهُمَا كَنِيسَةُ القُسْطَنطينية الشَّرْقِيَّة والكنيسة الكاثوليكيَّة في رُومَا، فَزَادَ الانْقِسَام في الدِّينِ المسيحي بَينَ كَنَائِسِه ورِجَالِه.

****

التحريفُ الكَنَائِسي الخامس - مَجْمَع خلقيدونية

وفي سنة ٤٥١م، عَقَدَ بَابَا الْكَنيسة الكاثوليكية (لاون الأول)، وبمشاركة مِن ستمائة مِنْ رِجَال الدين الْمَسِيحِيّ؛ عَقَد مَجْمعًا في مدينة خلقيدونية، على بَحْرِ مَرْمَرة في تركيا، فَأَلْغَوا مَا تَمَّ إِقْرَارُه في مَجْمَع إفسس الأَوَّل سَنَة ٤٣١م، ولَعَنُوا بَطريرك الإِسْكَنْدريَّة ومَنْ يُؤيِّدُه.

فَتَرَتَّب عَلَى هَذَا غَضَبٌ شَديدٌ مِن بَطريرك الإسكندرية، فَانْفَصَلَتِ الْكَنِيسَة الْقِبْطِيَّة عَنِ الْكَنِيسةِ الْكَاثُوليكيَّة وعَنِ الْكَنِيسَةَ الشرقية فِي القُسْطَنطينيَّة، فَزَادَ الانْقِسَامُ بَينَ طَوائِفِ الْمَسِيحِيين، وهذه هي الطامة الثامنة على دين المسيح.

****

التحريفُ الْكَنَائِسي السادس

وفي سنة ٥٤٣م ظَهَر قِسٌّ اسْمُه يَعْقُوب البرادعي، نَادَى بِعقيدة الطَّبِيعَةِ الواحدة للمسيح، والتي سبقه إِلَيْهَا ديسقورس قَبْلَ أَرْبَعِ سِنين، فَتَبِعَه خَلْقٌ كَثِيرٌ سُمُّوا فِيمَا بَعدُ بِاسمِ الْيَعْقُوبِيينَ أو الْيَعَاقِبَة، فَحَصَلَ انْقِسَامٌ جَديدٌ بَينِ الْمَسِيحِيينَ بِقيامِ هَذِهِ الطَّائِفة (الْيَعْقُوبِيَّة)، ويُسمون في اللُّغَةِ الأَجْنَبيَّة: (الأرثوذكس).

وهذه هي الطامة التاسعة على دين المسيح.

****

التَّحْرِيف الْكَنَائِسِي السابع

وفي سنة ٦٨٠م جَاءَ بَطريركُ أَنطاكية وهُو (يُوحَنَّا مَارُون) بِعَقِيدَةٍ جَدِيدَةٍ لِتَفْسِير طَبيعَةِ المسيح بِزَعْمِهِ، قَالَ فِيهَا: إِنَّ المسيح لَهُ طَبِيعَتَانِ وَمَشِيئَةٌ وَاحِدَةٌ، نَظرًا لالْتِقَاءِ الطَّبِيعَتينِ في أقْنُوم واحِدٍ، فَعَارَضَتْه كَنِيسَةُ الْقُسْطَنطينية وَالْكَنِيسَةُ الْكَاثوليكيَّة، وعَقَدُوا مَجْمعًا حَضَرَه حَوالي مائتين وثَمانِين أُسْقُفًا، وقَرروا أَنَّ المسيح لَهُ طبيعَتَانِ ومَشِيئَتَانِ، وطَرَدُوا وَلَعَنُوا الْبَطْرِيرك مَارُون، فَانْفَصَلت كَنِيسَةُ أَنْطاكية، وتَعَرَّض مَارُونُ للاضْطِهَادِ، فَلَجَأ إلى جَبَل لُبْنَان، وسُمِّيَ أَتْبَاعه (الموارِنة)، وهِي طَائِفَةٌ بَاقِيةٌ إلى الآن.

وهذه هي الطامة العاشرة على دين المسيح.

****

التحريفُ الكَنَائِسي الثامن

وفي سَنَةِ ٨٦٩م عُقِد مَجْمَعُ الْقُسْطَنطينيَّة الرابع، وتَقَرَّر فِيهِ أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ انْبَثَق مِن الآبِ والابْنِ معًا، ولَيسَ مِنَ الآبِ فَقَطْ، حَسْبَمَا تَقَرَّرَ فِي مَجْمَعِ القسطنطينية الأوّل عام ٣٨١م.

وهذه هي الطامة الحادية عشرة على دين المسيح.

****

التحريفُ الكَنَائِسي التاسع

الَّذِي نَشَأَ فِي بِدَايَاتِ الْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ الميلادي وما بعده، وهو الطامة الثانية عشرة على دين المسيح.

توطئة:

حَصَل هَذَا التَّحريف الكَنَائِسي نتيجةً لظرُوفٍ تَارِيخِيَّةٍ مَحضَةٍ تَتلَخَّص فِي أَربع مَرَاحِل:

المرحلة الأولى: انهيار الإمبراطوريَّة الرُّومَانِيَّة عام ٤٧٦م.

المرحلة الثانية: هَيْمَنَةُ الْكَنِيسَة الكاثوليكيَّة وتَسلُّطها البَشع عَلَى الْمُجْتَمَع الأوربي لِعَشرة قرون، وقصة انهيار تلك الهيمنة.

المرحلة الثالثة: اكتشاف الْعَالَمِ الْجَديد (الأَمْرِيكَتان) مَعَ نِهَايَة الْقَرْن الْخَامِسَ عَشَرَ الْمِيلادِي، ثُمَّ اسْترالِيا ونيوزلَندَا بَعدَ ذَلك.

المرحلة الرابعة: نُشُوء طَائِفَة الْبروتستانت (المُحْتَجُون) في العالم الجديد.

تفصيل

المرحلة الأولى: انهيار الامبراطورية الرومانية عام ٤٧٦م

لَمَّا انحلَّتِ الدَّولة الرُّومَانِيَّة الغَرْبيَّة سَنَة ٤٧٦م، وحلَّت الكنيسة الكاثوليكية محلَّهَا، صَارَ البَابَا هُوَ الْحَاكِمُ الْفِعْلِيُّ لإيطاليا وغَيرِهَا مِنَ الْأَقَالِيمِ الَّتِي انْهَارَت فِيهَا الإمبراطورِيَّة الرُّومَانِيَّة، فَزَادَ نَفُوذُ الْكَنِيسَة، وصَارَ هُوَ الدَّاعِمُ لِمُلُوكِ أُورُبَا، فَصَارَ لَهَا الْفَضْلُ عَليهِمْ، وصَارَ يُعْطِيهِم الْمَالَ مِنْ عِنْدِه بِمَا يَكْسَبهُ مِنْ ظُهُورِ النَّاسِ، وَمَنِ اعْتَرَض عَلَى البَابَا مِنَ الْمُلوكِ فَإِنَّه قدْ يَفْقِد حَيَاتَه ولَيْسَ فَقَط عَرْشَه.

ومِنْ أهم صُور ذَلِكَ التَّسلُّطِ وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى الكَاثوليكيينَ التَّالِي:

1. اخْتِراعُ عَقِيدَةِ صُكوكِ الْغُفْرانِ، والَّتي كَانَ يَهْدِف رِجَالُ الْكَنِيسَة مِنْ وَرَاء هَذَا الاخْتِراعِ إلى جَمْعِ الْمَالِ، فَقَد زَعَمُوا فِي الْمَجْمع اللاتيراني الَّذِي عُقد في رُومَا سَنَة ١٢١٥م أَنَّ يَسُوع مَنَحَ الكَنِيسَةَ الكاثوليكية فِي رُومَا سُلْطَة بَيع صُكُوكِ الْغُفْرانِ[1]! فَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ تُغفَرَ لَهُ ذُنُوبُه فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِي صَكا مِنَ الْكَنِيسَة فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِذَا مَاتَ، وَالْمَالُ يَذْهَبُ لِجُيوبِ رِجَالِ الْكَنِيسَة!

فَرِجَال الْكَنِيسَة أَقَامُوا بِهَذِهِ الْعَقِيدَة أَنْفُسَهِم مَقَامَ الرَّبِّ، الَّذِي لَا يَغْفِر الذُّنُوب إِلَّا هُو، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ كَذِبِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

[1]. انظر إلى الضحك والدجل على عقول الناس!

2. ومِنْ صُورِ الْفَسَادِ الكَنَائِسي: الْفَسَادَ الأَخْلاقِي بَينَ الرُّهْبان والرَّاهِباتِ، ولا حَاجَة إلى إعَادَة الْكَلام في هَذَا، وهُو مُسْتَشْرٍ إِلَى الْآنَ فِي كَنَائِس الكاثوليك والأَرْثُوذُكس التي في البلاد العربية، ومن صوره الشذوذ الجنسي في الكنائس الغربية.

3. سَلَكَتِ الْكَنِيسَة أُسْلوبَ الْقَهْر والتسلط، ومِنْ ذَلِكَ اعْتَبَار أَي رَأْيٍ يُخَالِفُها - ولوْ كَانَ في عُلومِ الطَّبيعة أو الفَلَك أَوْ غَيرِهَا مِنَ الْعُلومِ الَّتِي لَيْسَتْ مِن تَخَصُّصِ الْكَنِيسَة - فَإِنَّهُم يَعْتِبرُونَه كُفْرًا وخُروجًا مِنَ الدِّينِ الْمَسِيحِي، وبِنَاءً عَلَيْهِ فَإِنَّهُم يُصْدِرُونَ الْعُقُوبَات الَّتي رُبَّمَا تَصِل إلى الإِعْدَامِ عَلَى مَنْ يَفْعَل ذَلك، سَواءٌ كَانَ الْفَاعِل حاكمًا أَوْ مَحْكُومًا.

ومِنْ مَظَاهِرِ تَسلُّطِ الْكَنِيسَة أَنْ أَصْدَرتِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثوليكيَّة فِي عَهْدِ البَابَا جريجوري التاسع في سَنَة ١٢١٣م مَحَاكِم عُرِفتْ بِاسْمِ «مَحَاكِمِ التَّفْتِيش»، وهُو نِظَامٌ قَمْعِيٌّ وَحْشِيٌّ دَمويٌّ، لمْ يَشْهَدِ التَّارِيخ مَثْلَه أَبَدًا، يَقُومُ بِالتَّحْقِيقِ مَعَ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الْكَنِيسَة، فَإِنْ ثَبَتَت مُخَالَفَتُهُ لَهَا عُوقِبَ بِالتَّعْذِيبِ بِنَارٍ هَادِئَةٍ حَتَّىٰ يَسِيلَ شَحْمُه ولَحمُهُ، ثُمَّ تُصَادَرَ مُمْتَلَكَاتُهُ إِلَى الْكَنِيسَة.

وكَانَتِ الْكَنِيسَة تُرْسِل الْجَواسِيس إِلى النِّسَاء فِي الْبُيوتِ، فَإِنْ أَخْبَرَتِ الْمَرْأَة مَندُوبَ الْكِنيسَةِ بِمُخَالَفَة زَوْجِهَا لِلْكَنِيسَةِ وَثَبَتَ عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ فَالْوِيلُ لَهُ ثُمَّ الْوِيل لَهُ ثُمَّ الْوِيلُ لَهُ.

وقَدْ شَملَ نَشَاطُ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ الْيَهُودَ وَالْمُسْلِمِينَ فِي إسْبَانِيا، وقُدِّر عَددُ ضَحَايَاهُم هُناك بـ ٣٤٠ ألف نسمة، مِن سَنَة ١٤٨١م إلى سَنَة ١٨٠٨م.

المرحلة الثانية:

هيمنة الكنيسة الكاثوليكية وتسلطها البشع على المجتمع الأوروبي لمدة عشرة قرون، وقصة انهيار تلك الهيمنة

بِهَيْمَنَةِ الْكَنِيسَة عَلَى أُوربا فِي نِهَايَة الْقَرْنِ الْخَامِسِ بَدَأَتِ الْعُصُور الوسْطَى الْمُظْلِمة في أوربا، والَّتي اسْتَمَرَّت نَحْوَ أَلْف عَامٍ إِلَىٰ نَهَايَةِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلادِي، ثمَّ قَامتِ الاحْتِجَاجَات عَلى طُغْيَانِ الكَنِيسَة مع مطلع القرن الخامس عشر.

وقِصَّةُ تلك الاحتجاجات بِاخْتِصَارٍ أَنَّهُ مَعَ مَطْلَعِ القَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ الْمِيلادِي، بَدَأَتِ الاعْتِراضَاتُ والاحْتِجَاجَاتُ عَلَى مَظَاهِرِ الْفَسَادِ الْمَادِي والأَخْلاقِي الْحَاصِل في الْكَنِيسَة الكاثوليكية وبَابَواتِهَا وَكَرادِلتها، وقَدْ تَقدَّم ذِكْرُ بَعْضِها، فَلَمْ تَعُد النَّاس تُطِيقُ ذَلِكَ التَّسلُّط الرَّهِيب والكَبت الشَّنِيع، فَقَامَت تِلْك الاعْتِراضَات بِطَبيعَةِ الْحَال، وكَانَت تَسِير بِشَكلٍ سِرِّيٍّ وسِلْمِيٍّ وهَادِىء، بَدَأَهَا رِجَالُ دِينٍ صِغَار، مِنْهُم مَن اعْتَرَض عَلَى ادِّعَاءِ الْكَنِيسَةِ سُلْطَة غُفْرانِ الذُّنُوب، سواء مَا كَان أَمَام القَسَاوِسَة أَوْ بِوَاسِطَةِ صُكُوكِ الْغُفْرانِ، ومِنْهُم مَنِ اعْتَرَضَ عَلَى الْعَقِيدَةِ القَائِلَة بِأَنَّ قَتْلَ الْمَسِيحِ عَلَى الصَّلِيبِ كَانَ تَكْفِيرًا عَلَى خَطِيئَةِ آدَمَ، فَقَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ وَسِيلَة لِإِرْضَاءِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ عَنْ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ، ومِنْهُمْ مِنْ نَادَى بِزَوَاجِ القَسَاوِسَة والرَّاهِباتِ، وانْتَقَد فُجُورَ

الْفَرِيقَينِ، ووَصَف كَثيرًا مِنَ الأَدْيِرة بِأَنها بُيوتُ دَعَارَةٍ، فَلَمْ تَقْبَلِ الْكَنِيسَة الْكَاثوليكيَّة مَطَالبَ الإِصْلاحِ هَذِهِ، وعَاقَبتْ بَعْضَ الْمُطَالِبِينَ بِالْحَرْقِ، وبعضهم بالسجن حتَّى الْمَوت.

قِيامُ ثَوْرَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، نَشَأتْ عَلَى إِثْرِهَا طَائِفَة البُروتستانت (المحتجون)، انْشَقُّوا عَنِ الْكَاثُولِيك

لمَّا لَمْ تُؤتِ تِلْكَ الدَّعَواتُ الإِصْلاحِيَّة الْهَادِئَةِ ثَمَرَتَهَا، تَحَوَّلَ الْأَمْرُ إِلَى ثَوْرَةٍ قَادَهَا الْمُصْلِحُونَ الْجُددُ ضدَّ الْكَنيسة الكاثوليكية وبابَواتِهَا وكَرادلتها، ومِنْ أهم أولئك الثُّوار الْقِسِّيس «مَارْتِن لُوثَر»، والْقِسِّيس «جُون كَالفن» والأَسْقُف «جُون هَوس».

ولَمْ يَكُنْ بِإِمْكَان أَحَدٍ التنبؤ بِأَنَّ النَّقْدَ السّلْمِي الهَادِئ للْكَنِيسَة الْكَاثوليكيَّة- الَّذِي بَدَأَ مَعَ مَغِيبِ الْقَرْن الرابع عَشَرَ ومَطْلَعِ الْقَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ للْمِيلادِ- سَيَتَطَوَّر إِلَى مَوْجَةٍ عَارمةٍ مِنَ الصِّدامات والقَلاقِل والحروب الدينيَّة الدَّامية الَّتِي عَصَفَت بقارة أوروبا، وسالتْ بِسَبَبِها دِمَاءُ الْمَسِيحيينَ الأوروبيينَ بِغَزَارَةٍ، وانْشَقَّت عَلَى إِثْرِهَا الْكَنِيسَةِ الْكَاثوليكيَّة إِلى شَطْرينِ مَتَعَادِيينَ، شَطْرٌ تَمَسَّكَ بِالْكَنِيسَةِ الْكَاثوليكية وسُلْطَة الْبَابَا، وشَطْرٌ خَرَجَ عَنِ طَاعة الكنيسة والبابا وتَمَرَّد عَليهِمَا، وَكَوَّن جَماعةً جَدِيدةً سُمِّيت البروتستانت protestant أَي الْمُحْتَجُّون أو الْمُعْتَرِضُون.

ويُعْتبر هَذَا الانْشِقَاقُ الَّذِي نَجَحَ ووطّد أَقْدَامَه فِي سَنَة ١٥١٧م هَامًّا وخَطيرًا ومُؤثرًا فِي مُجْريَات الأمور الدينيَّة والاجتماعية والسياسية في القارة الأوروبية، لا يُقَاسُ مَعَ الانْشِقَاقَيْنِ اللَّذَينِ حَدَثَا قَبْلَهُ فِي الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّة عَنِ الكنيسة الكاثوليكية، وهما انْشِقَاقُ الْكَنيسة القبطية في الإسكندريَّة بِمِصْرَ والكنائس التَّابِعَة لَهَا، ثمَّ انْشقاقُ الْكَنِيسةِ الأرثوذكسية في الْقُسْطَنطينية.

هَذَا، ويَلاحَظُ أَنَّ ثَورةَ أُولئكَ القساوسة اقْتَصَرَتْ عَلَى النِّظَامِ الْكَنَسِي الْفَاسِد مَاليًّا وأَخْلاقِيًّا، والْمُتَمثِّل بِتَصَرُّفَات البابوات وغَيْرِهِم مِنْ كِبَارِ القَسَاوِسَة، ولمْ تُطالب تِلْكَ الثّورة بتنقية الْمَسِيحِيَّة ممَّا شَابَهَا وخَالَطَهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْعَقَائِد الوثنية، مِمَّا أَدْخَله بولس ومَن بَعْدَه، كَتَأْلِيه السَّيدِ المسيح وصَلْبِه، وعقيدة التثليث، فَأُمورِ الْعَقِيدة لمْ يَثورُوا ضِدَّها، وإِنَّمَا ثارُوا ضِدَّ تَسَلُّطِ وَهَيْمَنَةِ الْكَنِيسة الكاثُوليكية ورِجَالاتِها، مُمَثَّلَةً بِمَنْصِب البَابَا عَلَى الْمُجْتَمَع، وابْتِزَاز النَّاسِ مَاليًّا وجنسيا باسم الدين، كَمَا تَقَدَّم بَيَانُه.

سُقوط هَيْمَنَةِ الْكَنِيسَة في بريطانيا

خَرَجَ عَلَى إِثْرِ ذَلِك الانْشِقَاقِ مَلِكُ إِنْجلترا هِنْرِي الثَّامِن فِي سَنَةِ ١٥٣٤م عنْ طَاعَةِ البَابَا، وسَحَب اعْتِرَافَه بِسُلْطتِه عَلَيه، وأَعْلَن أَنَّه هُو رَئيس الْكَنِيسَة الإنجليزية ولَيْسَ البَابَا.

وبِهَذَا تمَّ انْفِصَالُ الْكَنيسة الإنجليزية في لندن عَن الْكَنِيسَةِ الْكَاثوليكية في رُوما وعنْ سُلْطَةِ البَابَا عَلَيْهَا، وَسَمَحَ الْمَلِكُ بِطِبَاعَة كِتَابِهم المُقدَّس بِاللُّغَة الإنجليزيَّة، وكَانَ هَذَا مَمْنوعًا، هَذَا وَلَمْ يَخْلُ الْأَمْرُ مِن قيام حرب بَينَ الْكَاثوليك والبروتستانت في بريطانيا.

سُقوط هَيْمَنَةِ الْكَنِيسَة في فرنسا

وفي فَرَنْسا قامت سِلْسِلَةٌ طَويلةٌ مِنَ الْمَذَابِح والْحُروبِ الْأَهْلِيَّةِ بَينَ الْمَسِيحِيينَ البروتستانت -ويُسمونهم في فَرَنْسَا الهوجُونُوت- والْكَاثوليك، وقد تميزت تِلْك الحروب بالشَّراسة والدَّمَوِيَّةِ الَّتِي اقْتَرفَهَا الْجانِبَان ضِد بَعْضِهِمَا، وَقَدْ بَدَأَتْ تِلْكَ الْمَذَابح في سَنَةِ ١٥٦٢م، وانتهت في سَنَة ١٥٩٨ م، حَيثُ دَامَتْ لِمُدَّة ٣٦ سنة.

المرحلة الثالثة والرابعة

اكتشاف العالم الجديد (الأمريكتان) ثم استراليا ونيوزلندا بعد ذلك، ثم نشوء طائفة البروتستانت في العالم الجديد

- **الهروبُ الْجَمَاعِي مِنْ أوربَّا، وفِرَار البروتستانت إِلَى الأَمْريكتين وغيرها**

تَجَدَّدت الْحُروبُ بَينَ الْجَانِبين في سَنَةِ ١٦١٨م -أي بَعْد ٢٣ سَنَة مِن انْتَهائِها- واسْتَمَرَّت إِلى سَنَةِ ١٦٤٨م، فيما يُسمَّى بحرب الثلاثين

سنة، فَلَمَّا اكتُشف العالم الْجَدِيد (الأَمْرِيكتانِ) واسْتُرالِيا ونيوزلندا بعد ذلك، وَالَّذِي صَادَف اكْتِشَافها حُصُول القَلاقِل الدِّينيَّة في أُورُوبَا؛ فَرَّ البروتستانت بِأَعداد غَفِيرَةٍ مِن أوربَّا إِلَىٰ تِلْكَ الْمَنَاطِقِ لِهَذَا السَّبَب، بِالإِضَافَة إِلَى أَسْبَابٍ أخْرَى اقْتِصَادِيَّة وغَيْرِها.

- **نشوء طوائف ومَذَاهِب الُروتِسْتَانت**

أنْشَأ البروتستانت في المَهْجر طَوائِف أو مَذَاهِب أَوْ كَنَائِسَ عِديدَةً خَاصَّة بهم، مِنْهَا الْكَنَائِس الإنجيلية، أي التي تَتَّبِع الأَنَاجِيل، ومِنْهَا كَنَائِس تَتَّبع آراء قسيس مِنَ القساوسة الَّذِينَ ثَارُوا عَلَى الكنيسة الكاثوليكية، مثل اللُّوثَريين، نِسبةً إلى القسيس مارتن لُوثَر، والكَالفينيين، نِسْبَةً إِلَى الْقِسِّيس جُون كَالفن، والهَوسيين، نسبةً إلى الْقِسِّيس جُون هَوس.

ويلاحظ أنَّ كلَّ طَائفةٍ أو مَذْهَبٍ أَوْ كَنِيسَةٍ مِنْ هَذِهِ الكَنَائِسِ البروتستانتيّة مُسْتقلةٌ تَمامًا بِإِدَارَتِهَا الدِّينيَّة عَنِ الْكَنَائِسَ الْأُخْرَى، فَهِي لا تَخْضَعَ لِرَئَاسِةٍ أَعْلى مِنها تَجمعُها تَحْتَ مظَلَّتها.

كَمَا أَعَطَوا الحقَّ لِكُلِّ طائفة لفَهم وتَفْسِيرِ الإنجيل كما تشاء، مِمَّا أَدَّى إِلَىٰ عَدَمِ تقيُّد البروتستانت كَثِيرًا بِالْعَقَائِدِ الْمَسِيحِيَّة التي ورثوها،

وسَاعَدَ ذَلِكَ عَلَى تَفْرِيخ طَوائِف أَوْ مَذَاهِب أَوْ كَنَائِس جَدِيدَةٍ باستمرار، فَفِي الْوِلايَاتِ الْمُتَّحِدة الأمريكية وحْدَهَا يُوجَدُ أَكثرُ مِن ١٣٠٠ طَائِفَةٍ أَوْ مَذهَبٍ بُروتستانتي، ولِكُلِّ طَائِفَةٍ أَوْ مَذهَبٍ كَنيسةٌ خَاصَّةٌ بِهَا، وَالْحَبْلُ عَلَى الجِرَار.[1]

****

[1]. «حياة الحقائق»، جوستاف لوبون، (ص ٨١).

- **نقاط الاختلاف بين البروتستانت والكاثوليك**

* يَخْتَلفُ البُروتستانتُ مَعَ الْكَاثوليك في أمور:

* تحرُّرِهِمْ وَعَدَمِ اعْتِرَافِهِمْ بِالنُّفُوذ الشَّخْصِي لِرجَالِ الدِّين، وخَلعِ هَيْمَنةِ رِجَال الدِّينِ عَنْهُم، فَلَيسَ الأَمْرُ عِندَهُمْ كَمَا هُو عِندَ الْكَاثوليك، يُلاحَظ هَذَا فِي الْمَنْهَجِ الْكَنَائِسِي التَّالِي عِنْدَهُم:

* إِلْغَاء مَنْصبِ الْبَابَا مِن كَنَائِسِهم، ولمْ يَعُد لَهُم رِئَاسَةٌ دِينِيَّة كالكاثوليك الَّذِينَ تَجْمَعُهُم الْكَنِيسة الْكَاثوليكيَّة فِي رُومَا.

* حصر صَلاحِيَّات رِجَال الدِّين بالوعظ والإِرْشَادِ الدِّيني فَقَطْ، وأُزيلتْ الْقَدَاسَة عَنْهُم.

* السَّماح للرُّهْبَان والرَّاهِبات بِالزَّواج، وهَذَا فَرَقٌ عَظِيمٌ بَينهِمْ وَبَينَ الرُّهْبانِ الكَاثوليك الَّذِين لا يَتَزَّوجُون، مع الوضع في الاعتبار أن بعض الرهبان البروتستانت يمارسون الشذوذ الجنسي.

* إِلْغَاء قَانُون الاعْتِرافِ بالذُّنُوب أَمَامَ القَسَاوسة طَلبًا لِغُفْرَانِهَا مِنهم، فِيمَا يُعرَف بـ «سِرِّ الاعتراف»، وبعض الطوائف الكبرى تفعله.

* مَنَعُوا الصور والتَّمَاثِيل في كَنَائِسِهم، ومَنَعُوا السُّجُودِ لَهَا، أَوْ طَلَبَ الشَّفَاعَة مِن مَرْيَمَ أو القِدِّيسِينَ، لأَنهم يؤمنون بأَنها إِنْسَانَةٌ عَادِيَّةٌ، بِخِلَافِ المسيح، فَهُم لا يَخْتلِفُونَ عَنِ الكاثوليك في اعْتِقَادِهِم فِيهِ، فَهُم يَعْتِقَدُونَ أَنَّه الرَّبُّ وابنُ الرَّبِّ!

- **دعوة لعمل مقارنة منطقية**

أَيُّهَا القَارِئُ الْمُثَقَّفُ الْعَاقِلُ وأَيَّتُها الْقَارِئة الْمُثَقَّفَة الْعَاقِلَةُ، لَوْ أَجْرَينَا مُقَارَنَةً يَسِيرةً بَينَ الْمَنْهَجِ الْبروتستانتي الَّذِي أَسَّسَه الْبروتستانت وبَينَ تَعَاليم المسيح الأَصْلِيَّة، هَلْ يَصِحُّ نِسْبَةُ هَذِهِ الطَّائِفة الْجَدِيدة (البروتستانتيَّة) إِلَى دِينِ المسيح وتَعَالِيمه؟

وإِذَا كَانَتِ الإِجَابَة نَعَمْ -عَلَى سَبيل الافْتِرَاضِ- ، فَلَوْ أَجْرينَا مُقارنةً يَسِيرةً مَرَّة أُخْرَى بَينَ الْمَنْهَجِ الكاثوليكي الَّذِي هَرَب مِنْه الْبروتستانت وبَينَ تَعَالَيمِ المسيح الأَصْلِيَّة، فَهَلْ يَصحُ نِسبةُ الكاثوليك أَيْضًا إِلَى دِينِ المسيح وتَعَالِيمه؟

أَتْركُ الإِجَابَةَ للْقَارِئ المُتَّزِن والقَارِئة المُتَّزِنة.

خُلاصَةٌ فِي أَثَرِ الْمَجَامِعِ الْكَنَائِسِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ

إِنَّ النَّاظِر المُنْصِف إِلَى التَّحْرِيف الأَوَّل عَلَى يَدِ بولس وَالَّذِي تَبِعَه عَشْرةُ تحريفات كنائسية (ليكون المجموع أحد عشر تحريفا عظيما في رسالة المسيح)، لَيَرى رأي العين أن المسيحية المعاصرة هي عبارة عن اجتهادات وتحريفات بَشَرِيَّة لَا تَمُتُّ إِلى الوحي الإلٰهي بِصِلَةٍ، ولو كانت الْمَسِيحِيَّةُ الْمُعَاصِرة مطابقةً لدين المسيح لما احْتَاجَتْ إِلى تَدَخُّل الْبَشرِ كُلَّ هَذَا التَّدخُّل لِفَهْم طَبِيعَةِ المسيح، نَاهِيكَ عَمَّا تمَّ إِدْخَاله مِن قَرَارَاتٍ تُنَافِي الفطرة الإنسانية، كقانون منع الزواج على القساوسة، وتُنافِي دِينَ المسيح نَفْسه بَلْ تَنْقُضُه، مما يدل عَلَى أَنَّ تلك المجامع هي أَسَاسُ التَّحْرِيفِ، ثمَّ السُّلطة الَّتِي كَانتْ تَدْعَمُهم بِالقُوَّة لكتمان الحقِّ، وأعظمُ ذَلِك حظرُ سَبْعِينَ إنجيلا فِي مَجْمَع نِيقِيَة وحَرْقُها وإِعْدَامُ مَن يَتَداوَلُهَا، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِكُونِهَا كَانتْ تُقَرِّر أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، لَيسَ لَهُ ابن.

ولَمَّا كَانَتِ الْمَسِيحِيَّة عِبَارةً عَنِ اجْتِهَادَاتٍ وتحريفاتٍ بَشَرِيَّةٍ لَا تَمَتُّ إِلَى الْوحي الإلٰهي بصلة؛ كَانَ نَتِيجَة ذَلِك أن انْقَسَمت هِي نَفْسُها إلى طَوائِف، كُلُّ طَائِفَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا هِي الَّتِي عَلَى الْحَقِّ، وأنَّ الأُخْرَى مُخْطِئَةٌ، وهذه هي طوائف النصارى:

1. الْكَاثوليك، وهُم المَلكانيون أو المَلَكِيَّة.
2. الأَرْثُوذكس، ومنهم اليعقوبية.
3. البروتستانت، أي: المُحتَجُّون.
4. الْمَارُونِيُّون أو الْمَوارِنة.
5. أتباع الْمَسِيح حقًّا، وهَؤلاء لَيْسَ لَهُم وجُود الآنَ، وَهُم الَّذِينَ كَانُوا يَقُولون: إِنَّ المسيح بَشْرٌ رَسول، عَبدُ اللهِ وَرَسُولُه، وكَلِمَتُه أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرِيمَ وَرُوحٌ منه، ليس ربًّا ولا ابنَ الربِّ، وهؤلاءِ هُمْ أَتباعُ المسيح عَلَى الْحَقِيقة، وَلَوْ أَنَّهُم أَدْرَكُوا النَّبِيَّ مُحمَّدًا (صلى الله عليه وسلم) لَآمَنُوا به ودَخَلُوا الإِسْلام، لأنَّ الْمَسِيح بشَّرَ بنبوة مُحمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) بَعده، وهَذَا مُثبتٌ فِي الأَناجِيلِ الْمُعَاصِرَةِ الَّتِي كَتَبَهَا يُوحَنَّا وغَيْرُه[1]، فَرِسَالةُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) (وهِي دِينُ الإِسْلَامِ) مَا هِي إِلَّا

[1]. وقد يسر الله جمع تلك البشارات فانتهت إلى 29 بشارة، وهي مجموعة في كتاب:

«The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible».

وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

وانظر أيضًا كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب - (٩٩) دليلًا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل»، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

امْتَدادٌ لرسالة المسيح الصَّحِيحة، جَعَلنا اللهُ جَمِيعًا مِنْ أَتْباعِ الأَنْبِياءِ، حَتَّى نَفوزَ بِرِضَا اللهِ ودُخُول جَنَّته.

خلاصة في المَرَاحِلِ التَّحْرِيفِية الثمانية التي تَعَرَّضَ لَهَا دِينُ المسيح على مدى عِشرين قَرنًا، منذ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاء إلى اليوم

مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ دِينَ المسيح الأَصْلِي يَقُوم عَلَى:

1. عِبادة الله وحْدَه.
2. أَنَّ المسيح بَشر.
3. أَنَّ المسيح رَسُولٌ.
4. أنَّ المسيح يُعَلِّمَ النَّاسِ التَّوراةَ وَالإِنْجِيلَ.
5. أَنَّ المسيح رَسُولٌ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيل.
6. أنَّ المسيح بَشَّر بِرَسُولٍ مِنْ بَعْدِهِ وهو مُحَمَّد، يُتمِّمُ رِسَالَةَ الْمَسِيحِ، ويُصَحِّحُ التحريف الَّذِي اعْتَرَاهَا، ويَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ بِحَسَب الشَّرِيعة الْمُدَوَّنة فِي الْكِتَاب الْمُقَدَّس (القُرآن)، ويَدلُّهم إِلى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَيُحَذِّرُهِم مِن الطَّرِيقِ الْمُؤدِّي إِلَى النَّارِ.

وفي الإنجيل بِشَارات كثيرة بِالنَّبيِّ مُحمَّدٍ، وهِي مُدونةٌ فِي الْعَهْدِين الْقَدِيم والْجَدِيد[1].

بينما المسيحيّة المعاصرة مَزيجٌ مِن ثَلاثَة:

1. بَقَايَا مِن دِينِ المسيح مَحفُوظة في الأَنَاجِيل الأَرْبَعة.

2. تحريفَاتُ بولس والمُتمثلة في:

أ- دَعْوى أنَّه رُسولٌ مُعَيَّن مِنْ قِبَلِ المسيح.

ب- دَعْوَىٰ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيهِ إِنْجِيلًا.

ت - دعوىٰ أَنَّ المسيح إلـه (وَلَيْسَ نَبِيًّا).

ث- دَعْوَى أَنَّ المسيح ابْنُ اللهِ، وأَنَّ المسيح لَيْسَ بَشَرًا، وَأَنَّ اللَّهَ تَجَسَّد فيه.

ج- نشرِ خرافة عَقِيدَةِ الذَّنبِ الأَصْلي أو الْخَطِيئة الأُولَى، وَالَّتِي تَنصُّ عَلَى أَنَّ الْبَشَر تَوارَثُوا ذَنْب أَبِيهِمْ آدَمَ عَبرَ الْقُرون، وأَنَّ الله لم يغفرها له.

[1]. انظر الهامش السابق.

ح – نشرِ خرافة عَقِيدَةِ الْفِدَاءِ، والَّتِي تَنصُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ المسيح عَلَىٰ أَنَّه (ابنه) فَادِيًا ومُخلِّصًا للْبَشَرِ مِنَ الذَّنبِ الأَصْلي.

3. تحريفَاتُ الْمَجَامِع الْكَنَائِسيَّة وما لحقها من تحريفات حتى ظهور طائفة «البروتستانت»، وهذه التحريفات انْطَلَقَتْ مِن بِدَايَةِ الْقَرْنِ الرَّابع الميلادي، وهي:

أ- تحريفات مَجْمَع نيقية، وحَصَل فِيهِ تَرْسِيمُ أُلُوهَيَّةِ المسيح سَنَة ٣٢٥م، وحَصْرُ الأَناجِيل في أَرْبَعة أَنَاجِيل مَعَ سِتَّ عشرةَ رِسَالَةً، وَحَرْقُ ما سوى ذلك مِنَ الأَنَاجِيل والَّتِي تَرْبُو عَلَى سَبْعِينَ إِنْجِيلًا، ومَنْعُ القَسَاوِسَة مِنَ الزَّواج، مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحرِّم عَليهِمْ ذَلِكَ.

ب– تحريفات مَجْمَعِ الْقُسْطَنطينيَّة الأَوَّل سنة ٣٨١م، وحَصَلَ فِيهِ تَرْسِيم عَقِيدَة التثليث.

ت- تحريفات مَجْمَع إِفْسِس الأَوَّل سَنَةَ ٤٣١م، وحَصَلَ فِيهِ تَرْسِيمُ تَقْسِيم المسيح إِلى لاهوتٍ وناسوتٍ، وَأَنَّ الْمَسِيح ذُو طَبيعَتَينِ.

ث- تحريفات مَجْمَع إِفْسس الثَّانِي سَنَةَ ٤٤٩م، وحَصَلَ فِيهِ تَرْسِيمُ تَقْسِيم المسيح إِلى لاهُوتٍ ونَاسُوتٍ، وأَنَّ المسيح ذُو طَبيعةٍ وَاحِدَةٍ، (خلافًا لِقرارِ الْمَجْمع قَبْلَه، والَّذِي نَصَّ عَلَى أَنَّ المسيح ذُو طبيعتين).

ج– تحريفات مَجْمَع خلقيدونية سَنَةَ ٤٥١م، وحَصَلَ فِيهِ إلْغَاء قَرَار مَجْمعَي إفسس الأول والثاني.

ح- ظهور فرقة اليعاقبة «الأرثوذكس» عام 543م.

خ - نَشْأَةُ الْمَذْهَبِ الْمَارُونِي عَلَى يَدِ بطريرك أَنْطَاكية سَنَةَ ٦٨٠م، والَّذِي يَنصُّ عَلى أنَّ للمسيح طبيعتين ومَشِيئَةً وَاحِدَةً، وهَذَا الْمَذْهَبُ مَحْصُورٌ فِي جَبَل لبنان منذ ذَلِكَ الْحِينِ إِلَى الْآنَ.

د- انْشِقَاقُ طَائِفَةٍ أَطْلقتْ عَلَى نَفْسِها «البروتستانت» مِنَ الْكَنِيسة الْكَاثوليكيَّة، وذَلِكَ فِي عَامِ ١٥١٧م بِسَبْبِ ضَجَرِهَا مِن فَسَاد الْقَائِمين على الْكَنيسة الكاثوليكية، ثمَّ هِجرة معظمها من أوربا إلى الأمريكتين وغيرها بسبب الاضطهاد.

وبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّم فَالدِّين الَّذِي يَسِير عَليهِ الْمَسِيحِيُّون لَيْسَ هُو دِينَ المسيح الأَصْلي فِي الْحَقِيقَة، بَل هُو مَزِيجٌ مِنْ شيئين: تحريف بولس، ثمَّ تَحْرِيفُ الْمَجَامِعِ الكَنَائِسيَّة، وما تبعه من نظريات واجتهادات لبعض رجال الدين من المسيحيين، فَتَكَوَّن دِينٌ جَديدٌ لا يَمُتُّ لِدِينِ المسيح بِصِلَةٍ أَبَدًا، بَل يُنَاقِضُه فِي أُصُولِه وفُرُوعِه، وإنْ تَسَمَّى به فِي الظَّاهِرِ، فَالْعِبرة بالْحَقَائِقِ ولَيْسَ بِالْمُسَمَّيات.

خلاصة عَامَّة

هَذَا الْمُلَخَّص الَّذِي تَقَدَّم ذِكْرُه يُعْتبَر دَليلًا تاريخيا كافيًا عَلَى إِثْبَات بُطْلَانِ مَقُولَة : (إِنَّ الْمَسِيح إله أو ابنُ الإله)، تَبيَّن فيه للْقَارِئ والقَارِئة الصَّادِقَين فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ أَنَّ الْمَسِيحِيَّةَ الْمُعَاصِرَة مِنْ وَضْعِ الْبَشَرِ، وَلَا تَمُتُّ إِلَىٰ تَعَالِيمِ المسيح بصلة، وأنَّ دين المسيح الأصلي قد اندثر، وأنَّ الأناجيل الأربعة التي كتبها الرِّجَال الأَرْبَعَة الَّذِينَ جَاءُوا بَعْد الْمَسِيح لا تُقِرُّ المسيحية المعاصرة على مبادئها، بل تناقضها، كما سيأتي بيانه في الفصول القادمة، فَتَبَيَّن أَنَّ تِلكَ الْعَقَائِد لَيْسَت إِلَّا مِن وَضْع البَشَر ، man-made، وأنَّ النَّاسِ غُلِبُوا عَلَيْهَا بِالْحَدِيدِ والنَّارِ فِي عَهْد الأَبَاطِرة الرُّومان، فاعتنقوها قَسرًا ورغما عنهم، ثم قلَّدهم من بعدهم عبر القرون إلى يومنا هذا، بتأثير المجتمع والوالدين والكنيسة، ولو أنَّ مبادئ المسيحية المعاصرة أصيلة في دين المسيح لَمَا احْتَاج الإمبراطور الرُّومَانِيُّ قُسطنطينُ ومَن بَعْده إِلى عَقْدِ تِلكَ الاجْتِمَاعَات والْمُؤتمرات لإقرارها، مِمَّا يُوضح بِكُلِّ جَلاءٍ أَنَّها ليست من دين المسيح أصلا، وأَنَّ دِينَ المسيح قَدْ أَصَابَه التَّحْرِيفُ والتَّغيير، وصار أُلْعوبةً فِي يَدِ بولس ومَنْ لَحِقَه مِنْ أَبَاطِرة الرُّومَان ورِجَال الْكَنِيسَة، يُغَيِّرُون فِيهِ كَمَا يَشَاءُون، ثُمَّ يَقُولُونَ كَذِبًا وزُورًا: (هَذَا هُو دِينُ المسيح، وهَذِه هي الْعَقِيدَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهَا جميع

أتباع الْمَسِيح)، مَعَ أَنَّ المسيح نَفْسَه لَمْ يَعْلَمْها ولَمْ يُعَلِّمها بَنِي إِسْرَائِيل!

****

أسئلة امتحان الفصل الثاني (الفصل الأول)

1. تحريف دين المسيح حصل في خطوتين؛ خطوة أولى أساسية، وخطوة ثانية تابعة، عرف الخطوتين بإيجاز؟

2. عرف بشخصية بولس.

3. ما هي دعاوى بولس؟

4. ما هو هدف بولس؟

5. ما هي وسية بولس لتحقيق أهدافه؟

6. أذكر نصين من كلام بولس يثبتان عداوته الشديدة للمسيح وأتباعه.

7. ادعى بولس في أربع مواطن من رسائله أنه رسول من عند المسيح، انقل نصا واحدا باختصار.

8. ادعى بولس أن المسيح ابن الله، انقل هذا النص.

9. ادعى بولس أن المسيح هو الله في موطنين من رسائله، انقل واحدا منهما.

10. ما هو التكييف والتعليل الذي طرحه بولس على النصارى ليقنعهم أن خطيئة أبيهم آدم باقية، وأنه المسيح نزل فاديا ومخلصا من تلك الخطيئة؟

11. هناك ست نصوص واردة عن بولس تثبت أنه هو الذي قال إن خطيئة آدم باقية، انقل اثنين منها.

12. بولس كان يبغض التوراة، هل هناك ما يثبت ذلك؟

13. ما هي النتيجة لعمل بولس في دين المسيح؟

14. هل كان تحريف بولس مُلزِما للمجتمع النصراني أم اختياريا؟

15. كيف كانت نهاية بولس ووفاته؟

16. ما هي مكانة بولس في المسيحية؟

17. ما هي مكانة بولس بين المسيحيين؟

أسئلة امتحان الفصل الثاني (الفصل الثاني)

18. اذكر نبذة عن عقائد الرومان.

19. كيف كان اتساع وحدود رقعة الدولة الرومانية في أقصى اتساع لها؟

20. اذكر سبب عقد الامبراطور الروماني (قسطنطين) للمجمع الكنائسي الأول في نيقية؟

21. ما هي الطامة الأولى على دين المسيح؟

22. ما هي الطامة الثانية على دين المسيح؟

23. ما هو أثر قرارات انعقاد هذا المجمع على المجتمع المسيحي؟

24. ما هي الطامة الثالثة على دين المسيح؟ ولماذا اعتبرناها طامة؟

25. ما هي الطامة الرابعة على دين المسيح؟ ولماذا اعتبرناها طامة؟

26. متى حصلت الخلافات حول ماهية الروح القدس؟ وما الاجراء الذي تم اتخاذه لحل الخلاف؟

27. على ماذا يدور المجمع الكنائسي الثالث؟

28. على ماذا يدور المجمع الكنائسي الرابع؟

29. متى حصل انهيار الإمبراطورية الرومانية تحديدا؟

30. من الذي حل مكان الإمبراطورية في السلطة؟

31. متى كانت القرون الوسطى وإلى متى امتدت؟

32. كيف كان حال المجتمع الأوربي أثناء هيمنة الكنيسة على السلطة؟

33. متى حصل الفرج في المجتمع الأوربي من جثوم الكنيسة عليه؟

34. اذكر شيئا من صور تسلط الكنيسة على المجتمع الأوربي وفسادها.

35. ما الذي حصل في نهاية القرون الوسطى كردة فعل للمجتمع الأوربي؟

36. هل ساعد اكتشاف العالم الجديد على ضعف نفوذ الكنيسة؟ وضح ذلك؟

37. ما اسم الطائفة التي نشأت في العالم الجديد؟

38. ما الفرق بين البروتستانت والكاثوليك بإيجاز؟

39. مع نهاية قصة تحريف دين المسيح، تولدت عدة فرق وطوائف للنصارى، اذكرها بإيجاز.

40. هات خلاصة في بيان مكونات النصرانية بعد انتهاء قصة تحريفها.

فائدة بين يدي الفصل الثالث

محاور بناء العقيدة النصرانية المحرفة أربعة:

- ربوبية المسيح
- اعتقاد أن خطيئة آدم متوارثة
- اعتقاد أن المسيح صلب ليفتدي الناس من الخطيئة (عقيدة الفداء)
- اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله

فهرس الفصل الثالث

محاور نقض المحور الأول – ربوبية المسيح

- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد القديم
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد الجديد
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العقل (المنطق)
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة التاريخ (تقدم ذكره في الفصل الثاني في قصة بولس والمجامع الكنائسية)
- نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة القرآن

أسئلة الفصل الثالث

الفصل الثالث

محاور نقض المحور الأول – ربوبية المسيح

أ- الأَدِلَّة النَّقْلِيَّة من العهدين القديم والجديد على بطلان مقولة (إن المسيح رب)، وعَدَدُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَحَدَ عَشَر

الدليل الأول

كَيْف يَصِح أنْ يُقَال: إنَّ الْمَسِيح هو الرَّبُّ أو ابنُ الرَّبِّ مَعَ أَنَّه لا تُوجَد عِبارةٌ وَاحِدَةٌ صَرِيحَةٌ في أي مِنَ الأناجيل الأَرْبَعة ولا في الرَّسَائِل الثَّلاثة والعِشْرِينَ الْمُلْحَقة بِهَا تَنصُّ عَلى أَنَّ المسيح قَالَ عَنْ نَفْسِهِ بِعِبَارةٍ صَرِيحةٍ : إِنَّه ابنُ الرَّبِّ، أو الربُّ، أو إِنَّه الله، أو ابنُ اللهِ (بُنُوَّةَ نَسَبٍ)، أَوْ أَنَّهُ جُزءٌ مِنَ اللهِ، أو أنه تجسد فيه، أَوْ أَنَّ ذَاتَه هِي ذَاتُ اللهِ، وأَنَّ فِعْلَه فِعْلُه، أوْ أنَّ مَشِيئَتَه مُسَاوِيةٌ لِمَشِيئَة الرَّبِّ، أَوْ أَنَّه رَازِقٌ، أو أن له شِركةٌ مع الله في شيءٍ من صفاته. (تَعَالَى اللهُ عنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا).

نَعَمْ، لَوْ كَان الْمَسِيحُ إلـها وربًّا ورَازِقًا لاسْتَفَاضَ ذِكرُ ذَلِكَ في الأناجيل، لأنَّه أمرٌ مُتَعلَقٌ بِأُصول العقيدة، فَلمَّا لَمْ يَدَّعِ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّه لا يَصِح أنْ يُوصَف بِهَذَا، فَهُو أَدْرَىٰ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ.

والْمُتَأمل في الأناجيل بِحِيَادِيَّةٍ وإنصَافٍ يجد فيها كلاما عنِ المسيح يُنَاقِض وصْفَه بِالرُّبوبِيَّة والألوهِيَّة تمامًا، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا أَنَّه عَبْدٌ للَّهِ، يُصَلِّي لَهُ، وَأَنَّه لا مَشِيئَة لَهُ مَعَ مَشِيئَةِ اللهِ، كَمَا يَجِدُ الْمُتَأَمِّل فِيهَا أَنَّ

المسيح أَظْهَرَ فِي كَلامِهِ الضَّعْفَ والعَجْزَ وَالْخَوْفَ، وأَنَّهُ بشر، وأنه عَبد الله ورسوله، وسيأتي قريبا ذكر أدلة إنجيلية كثيرة على ذلك.

ثُمَّ لو كان المسيح هو الله أو ابن الله، أو الرب أو ابن الرب؛ لدعا النَّاس إلى عبادة نفسه، ولَوَرَدَ عنه ذلك بكثرة في الأناجيل، لأنَّ الرب يدعو النَّاس إلى عبادة نفسه، لأنَّه هو ربهم، الذي يخلقهم ويرزقهم ويُميتهم ويحييهم، فيكون مستحقا لأن يُعبد، ولكن الواقع أنَّه لم يرد عن المسيح ولا مرة واحدة بعبارة واضحة أنه دعا الناس إلى عبادة نفسه بأن قال (اعبدوني)، وحاشاه أن يقول ذلك، وصدق الله إذ قال في القرآن العظيم في وصف أنبياءه الذين هم صفوة خلقه ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللَّهِ﴾[1]، ومعنى الآية الكريمة: ما ينبغي لأحد من البشر أن يُنزِل الله عليه كتابه ويجعله حكمًا بين خلقه ويختاره نبيًّا، ثم يقول للناس: (اعبدوني من دون الله)، بل النبي الصادق يدعو الناس إلى عبادة الله، ولا يتعدى على حقوق ربه ومولاه.

****

الدليل الثاني

أضف إلى ذلك أنه لا يُوجَدُ إِثْبَاتٌ لِهَذِهِ الْمَقُولَة (مَقُولَة: إِنَّ المسيح هُو الله أو ابنُ اللهِ) لا فِي الْكُتبِ السَّابِقَةِ لِلإِنْجِيلِ؛ كالتَّوْرَاةِ والزَّبُورِ، ولا فِي الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بَعْدَ الإِنْجِيل؛ وهُو الْقُرْآن.

[1]. سورة آل عمران: ٧٩.

نَعَمْ أَيُّهَا القَارِئُ الْكَرِيمُ وأَيتُهَا الْقَارِئَةُ الْكَرِيمَة، فَلَمْ تُبَشِّرُ التَّوْرَاةُ وَلا أَيُّ كِتَابٍ نزل مِنَ السَّمَاءِ قَطُّ بِأَنَّ الله تعالى سيتجسد مع المسيح، ويكون الاثنان جسدا واحدا يَمْشِي على الأَرْضِ، ويُخَاطِب النَّاسَ ويَدْعُوهُم، ويَأْكُل ويَشْرَب مَعَهُم، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُهَانَ هذا الجسدُ الواحدُ ويُصْفَعَ عَلى قَفَاه، ويُعَلَّقَ عَلَى خَشَبَةِ الصَّلْب، ويُبْصَقَ فِي وَجْهِهِ، تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِهَذِهِ النَّقائص والإهانات، وتَعالى اللَّهُ أَنْ يُمَكِّنَ أَعْدَاءَهُ مِنْ المسيح أن يُهينوا كَرَامَتَهُ.

****

الدليل الثالث

بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْعَهْدَينِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ ثَلاثِينَ نَصًّا تَدلُّ بِكُلِّ وُضُوح عَلَى أَنَّ المسيح لَهُ ذَاتٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَهُ ذَاتٌ أُخْرى، وأَنَّ ذَاتَ الله مُنْفَصِلةٌ عَنْ ذَاتِ الْمَسِيحِ، مِمَّا يَدلُّ عَلَى أَنَّ المسيح لَيْسَ هو اللهُ ولا ابنُ اللهِ، ويَدلُّ - أَيْضًا عَلَى بُطْلانِ عَقِيدَة التَّجَسُّدِ وعَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ، وهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي ذِكْرِ هَذِهِ النُّصُوصِ:

نُصُوصُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّتِي تُقَرِّرُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَعَدَدُهَا خَمْسَةٌ وعِشْرُون

1. (سفر التثنية ٦: ٤):

«اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إلـهنَا رَبٌّ وَاحِدٌ».

وهَذَا النَّصُّ مَذْكُورٌ أيضا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي «إِنْجِيل مُرْقُص» (29/12)، ولفظه: «فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إلـهنَا رَبٌّ واحد».

والشَّاهِدُ مِنْ هَذَا النَّص هُو أنَّ المسيح لو كان ربا لقال: (الرَّبُّ هُو المسيح)، أو: (المسيح إلـهكم)، أو (أنا ربكم وإلـهكم)، بَلْ قَالَ: (الرَّبُّ إلـهنَا)، فَهُو يَتَكَلَّم عَنْ ذَاتٍ غَير ذَاتِه تَمامًا، ويُقَرِّر أنَّ الله هو إلـه الناس كلهم، وهذا يتضمن أنه هو نفسه يَعْبد الله ويَتَّخِذُه إلـها، فَبَطَلتْ بِذَلِكَ مَقُولة: (إنَّ المسيح هو الإلـه)، وأنَّه دَعَا إِلى عِبَادَةِ نَفْسِه أَوْ عِبَادَةِ أُمِّهِ، حَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا فَعَلَ جَمِيعُ الرُّسُلِ.

2. حِكْمَةُ سُلَيْمَان (١٢:١٣):

«إِذْ لَيْسَ إلـه إِلَّا أَنْتَ الْمُعْتَنِي بِالْجَمِيع».

3. المُلوك الثَّاني (١٩/ ١٥، ١٩):

«وصَلَّى حَزقِيا أَمَامَ الرَّبِّ وقَالَ: أَيُّها الرَّبُّ إلـه إِسْرَائِيلَ الْجَالِس فَوْقَ الكروبيم. أَنْتَ هُو الإلـهُ وحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ والأَرْض.

والآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إلهنا، خَلِّصْنَا مِنْ يَدِه[1]، فَتَعْلَمُ مَمَالِكُ الْأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإله وحْدَك».

وهو في (إشعياء ٣٧: ١٦، ٢٠).

4. (إشعياء ٤٣:١١):

«أنا أنا الرَّبُّ، ولَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّص».

5. (إشعياء ٤٤: ٦،٨):

«هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وفَادِيه، ربُّ الْجُنودِ: أَنَا الأَوَّلُ وأَنَا الْآخِرُ ولا إلهَ غَيْرِي ... لا تَرْتَعِبوا ولا تَرْتَاعُوا. أمَا أَعْلَمتُكَ مُنْذُ القَدِيمِ وأَخْبَرْتُكَ؟ فَأَنْتُم شُهُودِي. هَلْ يُوجَد إلهٌ غَيْرِي ولا صَخْرةٌ لا أَعْلَمُ بِهَا؟».

6. (إشعياء ٤٦:٩):

«اذْكُرُوا الأُوليات مُنذ الْقَدِيم، لأنّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَر، الإله ولَيْسَ مِثْلِي».

7. (إشعياء ٤٢:٨):

---

[1]. يعني مَلِك أشور.

«أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي، وَمَجْدِي لا أُعْطِيهِ لآخَرَ، وَلَا تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَات».

8. وفي (إشعياء ٤٥: ٢١-٢٢) يَقولُ الرَّبُّ:

«أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ ولا إله آخر غَيْرِي، إلهٌ بَارٌ ومُخَلِّصٌ لَيْسَ سِواي.

الْتَفِتُوا إِلَيَّ وأَخْلِصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَر».

قَوْله: (الْتَفِتُوا إِلَيَّ وأَخْلِصُوا)؛ أي تَوجَّهُوا إِلَيَّ فِي عِبَادَتِكُم وَاجْعَلُوها خَالِصَةً لِي، ولا تَعْبُدُوا غَيْري.

9. وفي (إشعياء ٤٥: ٥ - ٦) يَقُول الرَّبُّ:

«أَنَا الرَّبُّ ولَيْسَ آخَر. لا إلهَ سواي. نَطَقْتُك وأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْني. لِكَي يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَر».

10. (إشعياء ٦٤: ٤):

«لمْ تَرَ عَينٌ إلها غَيْرَك يَصْنَع لِمَن يَنتَظِره».

11. (إشعياء ٢٦:١٣):

«أيُّهَا الرَّبُّ إلـهنا، قَدِ اسْتَولى عَلَينا سَادَةٌ سِواك، بك وحْدَكَ نَذْكُرُ اسْمَك».

12. (إشعياء ٤٥:١٤):

«ولَكَ يَسْجُدون، إلَيْكَ يَتَضَرَّعُون قَائِلين فِيكَ وَحْدَك: اللهُ ولَيْس آخر».

13. (ملاخي ٢: ١٠):

«ألَيْس أبٌ وَاحِدٌ لكلنا؟! أَلَيْس إلـهٌ واحِدٌ خَلَقَنَا ؟!».

14. (سيراخ ١: ٨)

«واحدٌ هُو حَكِيمٌ، عَظِيمُ الْمَهَابَة، جَالِسٌ عَلَى عَرْشِهِ».

15. وفي (أخْبَار الأَيَّام الثاني (٦: ١٩)) أَنَّ النَّبِيَّ سُلَيْمَانَ قَالَ وَهُو يُنَاجِي رَبَّه: «فَالْتَفِتْ إِلَى صَلَاةِ عَبْدِكَ وإِلَى تَضَرُّعِه أَيُّهَا الرَّبُّ إلـهي، واسْمَعِ الصُّرَاخَ والصَّلاةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا عَبْدُكَ أَمَامَك».

16. (نحميا ٩: ٦)

«أَنْتَ هُو الرَّبُّ وحْدَكَ، أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاواتِ وَسَمَاءَ السَّمَاواتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، والأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا، والْبحَارَ وكُلَّ مَا فِيهَا، وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا، وجُنْدُ السَّمَاء لَكَ يَسْجُدُ».

17. (سفر يشوع ابن سيراخ ٣٦: ٢)

«وأَلْقِ رُعْبَكَ عَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَمْ يَلْتَمِسُوكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لا إله إِلَّا أَنْتَ، ويُخْبِرُوا بِعَظَائِمِكَ».

18. (مزمور ٨٦: ٨-١٠)

«لا مِثْلَ لَكَ بَين الآلِهَة يَا رَبِّ، ولا مِثْلَ أَعْمَالِك. كُلُّ الأمم الَّذِين صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ ويَسْجدُونَ أَمَامَك يَا رَبِّ، ويُمَجِّدُونَ اسْمَكَ، لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وصَانِعُ عَجَائِبٍ، أَنْتَ اللَّهُ وحَدَكَ».

19. (دانيال بالتتمة ٣: ٤٥)

«ولِيَعْلَمُوا أَنَّكَ أَنتَ الرَّبُّ الإله وحْدَكَ الْمَجِيدُ فِي كُلِّ الْمَسْكُونة».

20. (الملوك الأول ٨: ٦٠):

«ليعْلَمَ كُلُّ شُعوبِ الأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ وَلَيْسَ آخَر».

21. (صموئيل الأول ٢: ٢):

«لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثلَ الرَّبِّ، لأنَّه لَيْسَ غَيْرَكَ، ولَيْسَ صَخرةٌ[1] مِثْلَ إلـهنَا».

22. (صموئيل الثاني ٧: ٢٢):

«لِذَلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّها الرَّبُّ الإلـه لأنَّه لَيْس مِثْلك، وليس إلـه غَيرَك حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهِ بِآذَانِنَا».

23. (أستير بالتتمة ١٤: ١٩):

«الإلـه القَديرُ عَلَى الْجَمِيعِ، فَاسْتَجِبْ لَأَصْواتِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُم رَجَاءٌ غَيْرَكَ، ونجِّنا مِن أَيدِي الأُثَماء، وأَنْقِذنِي مِن مَخَافَتِي».

24. (مزمور ١٦: ٢):

«قُلتُ للرَّبِّ: أنتَ سَيدِي، خَيْري، لا شَيء غَيْرُك».

---

[1]. المرأة التي تتحدث تعني أن الله صخرة، بمعنى أنها قوية بالله وأنها تعتمد عليه، لأنها لم تكن قادرة على إنجاب الأطفال، ولكن بعد الصلاة إلى الله رزقها الله بطفل، وكان هذا الدعاء منها شكرا لله.

في سفر التثنية (في نشيد موسى)، تمت الإشارة إلى الله أيضًا على أنه صخرة.

«إنه الصخرة، وأعماله كاملة، وكل طرقه عادلة. إله أمين لا يخطئ، مستقيم وعادل هو» [تثنية ٤: ٣٢].

«هجرتَ الصخرة التي أنجبتك. نسيتَ الله الذي ولدك» [تثنية ١٨: ٣٢].

25. وفي (سفر دانيال بالتتمة ١٤: ٤٠):

«فَهَتَفَ بِصوتٍ عَالٍ وقَالَ: عَظِيمٌ أنتَ أَيُّهَا الرَّبُّ، إلـه دَانِيالَ ولا إلـه غيرك».

خلاصة

كل هذه النصوص من العهد القديم (التوراة) تقرر شيئًا واحدًا، وهو أنَّ الله واحد في ذاته، وليس ثلاثة، فبطلت بذلك مقولة إنَّ المسيح هو الله، أو إنه ثالث ثلاثة.

وبناء عليه؛ فمن لم يؤمن بأن الله واحد في ذاته، وليس ثلاثة؛ فقد كفر بالنصوص المنقولة من العهد القديم، ولم يؤمن بها في الحقيقة.

نُصُوصُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ التي تُقَرِّر أنَّ اللهَ واحدٌ فِي ذَاتِهِ، وَعَدَدُها عَشْرَة

1. في «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (17/20) قَالَ الْمَسِيحُ لَامْرَأَةٍ: «اذْهَبِي إِلَى إخوتي وَقُولِي لَهُم: إِنِّي أَصْعد إلى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلـهِي وإِلـهكُمْ».

فدَلَّ قَولُ المسيح: (إِلـهِي وإِلـهكُمْ) عَلَى اعْتِرَافِهِ بِأَنَّ اللَّهَ هُو إِلـهُ وَإِلـه النَّاسِ كُلِّهِمْ، وأنَّ المسيح نَفْسَه لَيْسَ إِلـها ولا ربًّا، بَلْ هُو عبدٌ للَّهِ كَسَائِرِ الْبَشَرِ، لأنَّ إِلـهُ هُو إِلـهُ قومِهِ الَّذِينَ خَاطَبَهُم، وهو الله، ولوْ كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ اللَّهُ لَمَا كَانَ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ معنى: (إِنِّي أَصْعَدُ إلى ... إِلـهِي)، فَإِلى مَنْ سَيَصْعَدُ الْمَسِيحُ لو كان هُوَ اللَّهُ ذَاتُه؟!

تنبيه لطيف

في وصف المسيح لقومه بأنَّهم (إخوته) دليل على أنه بشر مثلهم، وليس ربهم، ولَو كَان المسيح ربهم لمَا صَح وصفه لهم بأنهم إخوته، وهذا واضح.

ووصْفُ المسيح لهم بأنهم إخوته يعني بذلك الأخوة في النسب، لأنهم جميعًا من نسل واحد، وهو بنو إسرائيل، فيصح أن يصفهم بأنهم إخوته لاتحادهم في النسل.

ومِنَ اللطيف ذكره فِي هَذا الْمَقَام أنَّ القُرْآنَ (دُسْتُور دِينِ الإِسْلام) ذَكَر اعْتِرَافَ الْمَسِيحِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّه ورَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي خَمْسَةِ مَوَاطِنَ، وَهِي:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بني إسرائيل اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

وقَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ عنِ المسيح أَنَّه قَالَ لِقَومِهِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم﴾[2].

وقَالَ اللهُ فِي القُرآنِ عنِ المسيح أَنَّه قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مسْتَقِيم﴾[3].

وفي سورة مريمَ أنَّه قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاط مستقيم﴾[4].

وقَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ عنِ المسيح أَنَّه قَالَ لِقَومِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاط مُسْتَقِيم﴾[5].

---

[1]. سورة المائدة: ٧٢.
[2]. سورة المائدة: ١١٧.
[3]. سورة مريم: ٣٦.
[4]. سورة آل عمران: ٥١.
[5]. سورة الزخرف: ٦٤.

فَالْحاصِلُ أَنَّ الأَنَاجِيل تُثْبتُ أَنَّ المسيح كَانَ مُقِرًّا للَّهِ بِأَنَّهُ رَبُّه ورَبُّ النَّاسِ كُلّهم، وكَذَلِكَ القُرآنُ، بِخِلافِ الاعْتِقَاد السَّائِدِ بَينَ الْمَسِيحِيينَ بِأَنَّ المسيح هُو نَفْسُه الربُّ وابنُ الرَّبِّ.

تنبيه هام

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَعْنى الأَبِ فِي الْمَصَادِر الإِنجِيلِيَّةِ هُوَ المربِّي، وَلَيْسَ مَعْنَاه أُبُوَّةُ النَّسَبِ الْمَعْرُوفَة، التي يتولَّد فيها الابن من الأب والأم عن طريق العلاقة الجنسية، يَدلُّ لِهَذَا أنَّ المسيح وصَفَ الرَّبَّ بِأَنَّه أبو جَمِيعَ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ: (أصعدُ إلى أبي وأَبِيكُمْ)، ولا أَحَدَ يَقُول إنَّ الله هو أَبُ النَّاسِ كُلّهِم بِمَعْنَى أُبَوَّة النَّسَبِ الْمَعْرُوفَة.

وبناء عليه فإن مَعْنى الأَبِ هُنَا أي الْمُرَبِّي والمُعْتَني والقائم بخلقه، ومِن المعلوم أنَّ اللهَ هو الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ لِشئُونِ النَّاسِ كُلِّهِمْ.

2. وفي «يُوحَنا» (١٤:٢٨) قَالَ المسيح: «لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي».

فَلَوْ كَانَ اللهُ والْمَسِيحُ مُتَسَاوِيينِ ولَهُمَا ذَاتٌ وَاحِدَةٌ فَكَيفَ يَكُونُ اللَّهُ (الأب) أَعْظَمَ منه؟!

هَذَا تَنَاقُضٌ ظَاهِر.

فَدلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ ذَاتَ اللهِ لَيْسَتْ هِي ذَاتَ الْمَسِيحِ، بَلْ لِكُل مِنْهُمَا ذَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، واللهُ فَوْقَ سَمَاواتِهِ عَلَى عَرْشِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا

يَمْتَزِج بِخَلْقِه ولا يُخَالِطُهُمْ، هُمْ فِي الأَرْضِ، وهُو فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَىٰ عَرْشِهِ.

3. «يوحنا» (١٧: ٣):

«وهذه هي الْحَياةُ الأَبَدِيَّة أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْت الإلٰهُ الْحَقِيقِيُّ وحْدَكَ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي أَرْسَلْتَه».

4. «مرقص» (١٢: ٢٩، ٣٢):

«فَأَجَابه يَسُوع: إِنَّ أَوّل كُلِّ الوصَايَا هِيَ: اسْمَع يَا إِسْرَائِيل، الرَّبُّ إلٰهنا ربٌّ واحد ...

فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيدًا يَا مُعَلّم، بِالْحَقِّ قُلت: لأَنَّهُ اللهُ واحِدٌ، وليس آخرُ سِواه».

5. «لوقا» (١٨: ١٩):

«فَقَالَ لَهُ يَسُوع: لِمَاذَا تَدْعُوني صَالحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا واحدٌ وهُو الله».

6. وفي «مُرْقُص» (١٠: ١٧ - ١٨) يوجد نفس الدليل.

7. «يوحنا» (٥:٤٤): «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُم تَقْبَلُون مَجْدًا بَعْضُكُم مِنْ بَعضٍ، وَالْمَجْد الَّذِي مِنَ الإلٰهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَه؟!».

8. «متى» (٤:١٠)

«حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَب يَا شَيْطَان، لأَنَّه مَكْتُوبٌ: للرَّبِّ إلٰهكَ تَسْجُد، وإيَّاهُ وحدَه تَعْبُد».

تنبيه: هَذَا مُتَوافِقٌ مَعَ الآيَةِ الَّتي فِي سُورَة الْفَاتِحَةِ الَّتِي فِي القُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾[1].

9. «مُرْقص» (٢: ٧):

«لِمَاذَا يَتَكَلَّم هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِر خَطَايَا إِلَّا اللهُ وَحْدَه؟».

10. «الرؤيا» (١٥:٤):

«مَنْ لا يَخَافُكَ يَا رَبِّ ويُمَجِّدُ اسْمَكَ؟ لأَنَّك وحْدَكَ قُدوس، لأَنَّ جَمِيع الأُمَمِ سَيَأْتُونَ ويَسْجُدُون أَمَامَكَ، لأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرت».

[1]. سورة الفاتحة: ٥.

خلاصة

دلت النصوص الإنجيلية المتقدمة من العهد الجديد على أن المسيح كان مقرا لله بأنه واحد في ذاته، وأنه إلـهُ وربُّهُ الحقيقي، بل إلـهُ وربُّ الناس كلهم.

****

الدليل الرابع

الدَّليلُ الرَّابِعُ عَلَى بُطْلانِ مَقُولَة: (إنَّ المسيح إلـهٌ وربٌّ) هُو أَنَّه قَد وَرَدَ عن الْمَسِيحِ نَفْسِهِ مَا يُثْبِتُ أَنَّهُ إِنْسَانٌ، وَمِنْ أَصْلٍ بَشَرِي.

* فَقَد وَرَدَ فِي «إنْجِيل لُوقَا» فِي الإِصْحَاح التَّاسِع، عَدَد ٥٦، قَولُ الْمَسِيحِ عَنْ نَفْسِه:

«لأنَّ ابنَ الإِنْسَان لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ».

فَهَذَا النَّصُّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ المسيح لَيْس ابنَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا ابْنُ الْإِنْسَانِ، وهُو الْجِنْسُ الْبَشَرِي.

ومن المعلوم أنه ابن مريم، حملته في بطنها، وتقلب في رحمها، ثم ولدته كما تلد سائر النساء أولادهن.

* وفي «إنْجِيل يُوحَنَّا» (8-28) قَالَ الْمَسِيحُ:

«فَقَالَ لَهُم يَسُوعُ: مَتَى رَفَعْتُم ابنَ الإِنْسَانِ، فحينئذٍ تَفهَمُون أَنِّي أَنَا هو ولَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي بَل أَتَكَلَّم بهذا كما علَّمني أَبِي».

ألا يَدلُّ هَذَا النص الصريح عَلَى أَنَّ المسيح بَشر؟

لَوْ كَانَ المسيح ربًّا لَمَا وَصَفَ نَفْسَه بِالْبَشَرِيَّة فِي قَوْلِهِ: (ابن الإِنْسَان)، ولَمَا قَالَ: (لَسْتُ أَفْعَل شَيْئًا مِنْ نَفْسِي)، لأنَّ رَبَّ الْكَوْن يَفْعَل كُلَّ شَيْءٍ، ويَدُبِّر أَمَرَ الْكَونِ كُلّه، وبِنَاءً عَليه فَلا يُمْكِن عَقْلاً أَنْ يَقُولَ

الْمَسِيحُ: (لَسْتُ أَفْعَلُ شَيئًا مِنْ نَفْسِي) وهُو رَبُّ الْكَوْن فِي نَفْسِ الْوَقْت، وإلا كان المسيح مراوغا في كلامه، حاشاه من ذلك.

* وفي «إِنْجِيلِ مَتَّى» (19/11) قَالَ يَسُوعُ عَنْ نَفْسِهِ لِلْجُمُوعِ: «جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُل ويَشْرَب».

كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ لِمَن أَرَادَ قَتْلَه: «ولكِنَّكُم الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُوني. وأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَه مِنَ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلهُ إِبْرَاهِيم». (يوحنا» (٨/ ٤٠).

* بَلْ لَمَّا قِيل للمسيح: (أَنْتَ ابنُ اللَّهِ) كَانَ خَاتِمَة جَوابِهِ أَنَّهُ ابنُ الإِنْسَانِ. انْظُر «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (١/ ٤٩ - ٥١).

* وقد وصف المسيح رجلان من أتباعه فقالا: يسوع النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. انظر «لوقا ٢٤: ١٩».

* وقد شهد النبي يحيى بن زكريا للمسيح بأنه رجل فقال: «هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي». انظر «يوحنا» (١: ٣٠).

* بل شَهِد بطرس (كبير الحواريين) بأن المسيح رجل، وذلك بعد صعوده، فقال: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُون». «أعمال الرسل ٢: ٢٢»

*وفي الأَنَاجِيل إِشَارَاتٌ أُخْرَى لِبَشَرِيَّةِ الْمَسِيحِ، انْظُرْ: «لُوقَا» (١٧/ ٢٢) (١٨/ ٨)، «متى» (١٢/ ٣٢).

فالحاصل أن وصْفَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ بِشَكْلٍ مُتكررٍ وصَرِيحٍ بَأَنَّهُ إِنْسَانٌ وابن الإنسانِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وصَرِيحٌ عَلَى أَنَّه بَشَرٌ، ولا يُمْكِن أَنْ يَصْدُرَ مِمَّن يَقُول هَذَا الْكَلامَ أَو حتى يَقُوم في نَفْسِه مُجَرَّدُ ظنٍّ بأنَّه هُوَ اللَّهُ أَوِ ابْنُهُ، أَوْ أَنَّه نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لِيَدْعُو النَّاسَ إلى عِبَادَةِ نَفْسِه، وإِلَّا كَان شَخْصًا يُحَاوِلُ اللَّعِب بِعُقُول الآخَرينَ، وحَاشَا المسيح أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِه النُّصُوص بطلان مَقُولة: (إِنَّ المسيح ربٌّ وَإِلـه)، وأَنَّ الحَقَّ الثَّابِتَ فِي الْأَنَاجِيل أَنَّه بَشَرٌ.

****

الدليل الخامس

الدَّلِيلُ الْخَامِسُ عَلَى بَشرِيَّةِ المسيح هُو أَنَّه قَدْ جَاءَ فِي الأَنَاجِيل والرَّسَائل الْمُلْحَقة بِهَا أَنَّ المسيح يَتَحلَّى بِصِفَاتِ الْبَشَر، مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أُمُورًا، وَجَاءَ فِيهَا أَنَّه يَجْهَل أُمُورًا، وأَنَّه يَنْسَى، وجَاءَ فِيهَا أَنَّه تَعِبَ، وَأَنَّه يَشْتَهِي الأَكْل، وأَنَّه عَطْشَانٌ، وأَنَّه يَحْزَنُ ويكتئب ويَتألَّمُ ، وأَنَّه يَنَامُ، وأَنَّه يَخَافُ ويَبْكِي، وأَنَّه يُصَلِّي للّه، مما يدل على أنه بشر مثلنا، فيه صفات النقص، ولو كان ربا لما اعترته هذه الصفات، لأن الرب كامل في صفاته، لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

وهَذِهِ بَعْضُ النُّصوص الإنجيلية التي وردت فيها تلك الصفات البشرية للمسيح:

* جَاءَ فِي «يُوحَنَّا» (١٩/ ٢٨): «قَالَ يَسُوع: أَنَا عَطْشَان».

* وفي «إنجيل متى» (24/8): «وكَانَ هُو نائما».

* وفي «إنجيل يُوحَنَّا» (6/4): «فَإِذَا كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبِئرِ».

* وفي «إنْجِيل يُوحَنَّا» (35/11): «بَكَى يَسُوعُ».

* وفي «إِنْجِيل مُرْقُص» (14/32-35) أَنَّه يُصَلِّي وَيَحْزَنُ ويُدْهَشُ ويَكتئب:

«وجَاءُوا إِلى ضَيْعَةٍ اسْمُها جثسيماني، فَقَالَ لِتَلَامِيذِه: اجْلِسُوا هـٰهنا حتَّى أُصَلي.

ثمَّ أَخَذَ مَعَهَ بُطْرس ويَعْقُوب ويُوحَنَّا، وابْتَدَأَ يُدْهَش ويكتئب.

فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينةٌ جدًّا حَتَّى الْمَوْت، امْكُثُوا هُنَا وَاسْهَرُوا.

ثمَّ تَقَدَّم قليلًا وخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وكَانَ يُصَلِّي لِكَي تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ».

مِنَ الْمُنَاسِب هُنَا أَنْ يَسْأَلَ القَارِئ نَفْسَه سُؤالًا مَنْطِقِيًّا جدًّا:

لِمَنْ كَانَ المسيح يُصَلِّي؟

هَلْ كَان يُصَلِّي لِنَفْسِهِ؟!

أَمْ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي لغيره وهو (الله)؟

* وفي «إنجيل لوقا» (14/22-15): «ولَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاثْنَا عَشَرَ رَسُولًا مَعَه.

وقَالَ لَهُمْ: شَهْوةً اشْتَهَيتُ أنْ آكُل هَذَا الفُصْح مَعَكُم قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ».

* لَيْسَ هَذَا فَحَسْب، بَلْ إِنَّ يَسُوعَ كَانَ يَخَافُ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَقْتُلُوهُ، كَمَا فِي «إنجيل يُوحَنَّا» (11/53-57):

«فَمِنْ ذَلِكَ الْيَومِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوه.

فَلَمْ يَكُنْ يَسوعُ - أَيْضًا - يَمْشِي بَينَ الْيَهُودِ عَلَانِيَةً، بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الكُورَةِ[1] الْقَرِيبة مِنَ الْبَرِّيَّة، إِلى مَدِينَةٍ يُقَال لها: أفرايم، ومَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلَامِيذِه. وكَانَ فُصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا. فَصَعَدَ كَثِيرُونَ مِن الكُورِ[2] إِلَى أُورُشَلِيم قَبْل الفُصْحِ لِيُطَهِّرُوا أَنْفَسَهِم.

فَكَانُوا يَطْلُبُونَ يَسوع ويَقُولُون فِيمَا بَيْنَهُم، وهُمْ وَاقِفُونَ فِي الْهَيْكَلِ: مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَل هُو لَا يَأْتِي إِلَى الْعِيد؟

وكَانَ - أَيْضًا - رؤساء الْكَهَنَة والفريسيون[3] قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُو فَلْيَدُلُّ عَلَيهِ، لِكَي يُمْسِكُوه».

والتَّعْلِيق عَلَى هَذَا كُلَّه:

---

[1]. الكُورة هي البقعة التي فيها قرى ومساكن. انظر «معجم المعاني».

[2]. الكُور جمع كورة، وقد تقدم شرحها.

[3]. تقدم بيان أن الفريسيين طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس، مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجسين، وقد آذوا المسيح عليه السلام.

نقلًا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ» (ص٥٩)، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

هَلْ يُمْكِن أَنْ يَكُون مَنْ هَذِهِ صِفَاتُه أَنْ يَكُون رَبًّا؟

هَل يُعْقَل أنْ يَكُون الْمَسِيح إلـها وربًّا مَعَ كَوْنِهِ يَعْطَشُ وَيَنَامُ ويَتْعبُ ويُدهش ويَكْتئبُ ويَبْكي ويتكئ ويَشْتَهِي الأَكْلَ ويَتَأَلَّم (ويَخَافُ)؟!

مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَشَرِ إِذَنْ؟!

إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ وقَويٌّ وكامل في صِفَاتِهِ، وَعَلَيهِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُول أَنْ يَكُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ لِيُسَاعِدَه عَلَى الْوُجُودِ، لأَنَّه إِذَا كَانَ مُحْتاجًا إلى غَيْرِه فَهُو لَيْسَ ربًّا فِي الْحَقِيقَة، قَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ واصفًا نَفْسَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُون (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين﴾[1].

بَيْنَمَا من صفات الْمَسِيحُ أنه يَأْكُلُ ويَشْرَبُ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ لا يمكن أن يَكُون إلـها ولا ربًّا.

* ثمَّ إِنَّ مُقْتَضَى تَحَلِّي المسيح بِهَذِه الصِّفَاتِ (كَوْنه يَأْكُل ويَشْرَب ويَنَامُ ويَتَنفّس ونَحوُ ذَلِك) أَنَّها إِذَا لَمْ تَتَوفَّرْ لَهُ فَإِنَّهُ سَيَمُوتُ، لأَنَّه مُحْتَاجٌ لِهَذِهِ الأُمُورِ كَضَرُورِيَّاتِ لِلْبَقَاء عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ، والْمَوْتُ لَا يَنْطَبِقُ عَليه لو كان ربا، لأَنَّ الرَّبَّ حَيٌّ لا يَموتُ، بَل يَنْطَبِقُ عَلَى الْجِنْسِ الْبَشَرِي الَّذِي تَولَّد مِنْهُ المسيح.

[1]. سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٨.

* كَذَلِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ الطَّعَامَ فَإِنَّه يَحْصُل مِنْهُ خُروجُ الْفَضَلَاتِ القَذِرَة الَّتِي يَسْتَحِيي الإِنْسَانُ العَادِي مِن ذِكْرِهَا، لِمَا فِيهَا مِن مُركَّبِ النَّقْصِ والقَذَارِة، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالمسيح أَنْ يَكُونَ ربًّا وفِيه هَذَا النَّقْصُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَسْتَحْيِي مِنْ ذِكْرِهِ الْبَشَرُ وَيَسْتَقْذِرُونه؟!

هذَا كُلُّه يَدلُّ قَطعًا عَلَى بُطْلانِ وَصْفِ المسيح بِالألوهية والربوبية.

* كذلك فقد تَقَلَّبَ المسيح جَنِينًا فِي أحْشَاء أُمِّهِ تِسْعَة أَشْهُرٍ، وَخَرَجَ مِنْ مَخْرَجِ الْبَولِ، ثمَّ لَفَّتْه أُمُّه فِي خِرْقةٍ، كسائر أطفال البشر، فلا يمكن أنَّ من كان كذلك أَنْ يَكُونَ إلـٰها وربًّا، هَذَا قَولٌ لَا يَصحُّ بِالْعَقْل إطلاقا.

* ومِنَ الأَدِلَّة عَلَى أَنَّ المسيح يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْبَشَرِ مَا جَاءَ فِي «إِنْجِيل مُرْقُص»، الإِصْحَاحِ الْحَادِي عَشَرَ (١١-١٤):

«فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورْشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الوقتُ قَدْ أَمْسَى خَرَجَ إِلى (بَيْت عَنْيا) مَعَ الاثْنَي عَشَرَ.

وفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنَ (بَيْتِ عَنْيا) جَاعَ.

فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِن بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرقٌ، وجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِد فِيهَا شَيئًا، فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيئًا إِلَّا ورقًا، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقتُ التِّينِ.

فَأَجَابَ يَسُوعُ وقَالَ لَهَا: (لا يَأْكُلُ أَحدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ)، وَكَانَ تَلَامِيذُه يَسْمَعُونْ».

التعليق

فِي هَذِهِ الْقِصَّة أَنَّ يَسُوعَ جَاعَ، وأنَّه ظَنَّ أَنَّ شَجَرَةَ التِّينِ قَدْ أَثْمَرَت، فَلَمَّا جَاءَهَا لَمْ يَجِدْ شَيئًا، أي أنَّه لمْ يَتَبَيَّنْ لَه قَبْلَ وصُولِه إِلَى الشَّجَرَةِ هَل كَانَتْ مُثْمِرَةٌ بالتين أم لا، وأنَّه لمْ يَكُن يَعْلَم أَنَّ الْمَوْسِم لمْ يَكُن مَوْسِمَ التِّينِ، فَذَهَبَ لِلشَّجَرَةِ والْمَوسمُ لَيْسَ مَوْسِمَ التِّينِ، فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَوْسِمِ لَوْ كَانَ رَبًّا فِعْلًا.

وفِيهَا أَنَّه غَضِبَ عَلَى الشَّجَرَةِ فَأَمَرَهَا بِأَلَّا تُثْمِرَ، فَحُرِمَ النَّاسُ مِنْ ثِمَارِهَا.

إنَّ كل هذه الصفات (جاع، ظن، لم يجد شيئا، لم يتبين له، لم يكن يعلم، دعا على شجرة التين، غضب على الشجرة) كلها تدل على أنه بشر وليس ربًّا، لأن هذه صفاتُ بشرٍ وليست صفاتُ الربِّ.

ثم لِمَاذَا لَمْ يَأْمُرِ الْمَسِيحُ الشَّجَرَةَ (لَوْ كَانَ رَبًّا فِعْلًا) أَنْ تُثْمِر فيأكل من ثمرها وتنتهي الْمُشْكِلة؟!

هَذَا هُو اللَّائِق به لَوْ كَانَ رَبًّا فِعلا.

أليس هذا أفضل من دعاءه عليها بألا تُثمر فيُحرم هو والناس من ثمرها إلى الأبد؟!

****

الدليل السادس

ومِنْ دَلائِل بُطلان مَقُولَةِ: (إنَّ المسيح رَبٌّ أو ابنُ الرَّبِّ) أَنَّ الْكِتَاب الْمُقَدَّس عِنْدَ الْمَسِيحِيينَ يَقُول كَمَا فِي «يُوحَنَّا» (١:١٨): «اللَّهُ لَمْ يَرَه أَحَدٌ قَطُّ».

قَالَ المسيح هذه العبارة وهُو وَاقِفٌ أَمَامَهُمْ، فَدَلَّ هَذَا بِوضُوحٍ عَلَى أَنَّ المسيح لَيْسَ هُو الله، ولَوْ كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ اللهُ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ- لَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ تَرَوْنَ اللَّهَ أَمَامَكُمْ، إِنَّهُ أَنَا، انْظُرُوا إِلَيَّ!

وهَذَا الدَّلِيلُ وَاضِحٌ جِدًّا.

وفي «تيموثاوس» (١: ١٧): «ومَلِكُ الدُّهُور الَّذِي لا يَفْنَى ولا يُرى، الإلـه الْحَكِيم وحْدَه، لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُور».

إِذَنْ فَالإلـه الْحَقِيقِيُّ الَّذِي لهُ الْمَجْد لا يُرى، وَلَيْسَ هُوَ المسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ بِالتَّأْكِيد، لأنَّ المسيح رَآهُ النَّاسُ وَلَمَسُوه بِأَيْدِيهِمْ.

****

الدليل السابع

الدَّلِيلُ السَّابِع عَلَى بُطْلانِ مَقُولَة: (إِنَّ المسيح إله وَرب) أَنَّه وَرَدَ فِي الْمَصَادِر الإِنْجِيلِيَّةِ عَنِ المسيح أَنَّه قال عن نفسه أنه رَسُولٌ، فَلَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ربًّا وَإِلـٰها لَمَا اسْتَقَام أنْ يَكُون رَسُولًا أَيْضًا، رَسُولًا مِنْ عِنْدِ مَنْ إِذَنْ؟!

كما كَانَ الْمَسِيحُ دَائِمًا يُذَكِّر تَلَامِيذَه أَنَّهُ مُعَلِّم، أرسله الله إليهم لِيُعَلِّمَهم أُمورَ دِينِهِمْ، وَسَنَذْكُرُ هُنَا عشرين دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الأناجيل الْمُعْتَبَرَة عِنْدَ الْمَسِيحيين:

1. جَاءَ فِي «إنجيل لوقا» (4/31-٣٢، 43-44) نَص وَاضِحٌ جِدًّا عَنِ اليَسُوع أَنَّه رَسُولٌ ومُعَلِّمٌ، وهُو:

«وانْحَدَرَ إِلَى كَفْر نَاحُوم، مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيل، وكَانَ يُعَلِّمُهم فِي السُّبُوتِ، (أي: أَيَّامِ السَّبْتِ)، فبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ، لِأَنَّ كَلَامَه كَانَ بِسُلْطَانٍ».

ثمَّ قَالَ للجُمُوع الَّذِين طَلَبُوا مِنْه الْبَقَاء مَعَهُم: «إِنَّه يَنْبَغِي لي أنْ أُبَشِّر الْمُدُنَ الأُخر بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرسِلت. فَكَانَ يُكَرِّزُ فِي مَجَامِعِ الْجَلِيل».

فَقَوْلُهُ: (أُرسلتُ) تَدلُّ عَلَى أَنَّه رَسُولٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: (أُبَشِّر)، وكَذَلِكَ قول: (يُكَرِّز)، كُلُّها تَدُلُّ عَلَى أَنَّه رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، يُعَلِّم النَّاسَ الْإِنْجِيلِ.

2. وهَذَا نَص صَرِيحٌ آخَرُ عَلَى أَنَّ المسيح رَسُول، فَفِي «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (3/17) أَنَّ المسيح دَعَا رَبَّه فَقَال:

«وهَذِهِ هِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّة أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإلـه الْحَقِيقِي وحْدَك، ويَسُوعُ المسيح الَّذِي أَرْسَلْتَه».

3. وقَالَ يَسُوعُ كَمَا فِي «يُوحَنَّا» (37:5): «والآبُ نَفْسُه الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوتَه قَطُّ، ولا أَبْصَرْتُم هَيْئَتَه».

فَهَذَا النَّصُّ صَرِيحٌ أيضا فِي أَنَّ المسيح رَسُولٌ، لِقَولِهِ: (أَرْسَلَنِي).

4. وفِي «إنجيل يُوحَنَّا» (31/8، 39-40، 42) قَالَ الْمَسِيحُ لِلْيَهُودِ الذين آمنوا به «إِنَّكُم إِنْ ثَبَتُّم فِي كلمتي فَبِالْحَقِيقَة تَكُونُون تَلَامِيذِي، وتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، والْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ».

ثمَّ قَالَ: «لَوْ كُنتُم أَوْلادَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنتُم تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّكُم الآن تَطْلُبُون أنْ تَقْتُلُونَني، وأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعه مِنَ اللَّهِ».

ثمَّ قَالَ لَهُمْ: «لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي».

فَفِي هَذَا النَّصِّ وحْدَهُ ثَلَاثَةُ أَدِلَّةٍ عَلَى أَنَّ المسيح رَسُولٌ بَشَرِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ولَيْسَ إلـها:

الأوَّلُ: قَوْلُهُ: (تَلَامِيذِي)، وهَذَا لَا يَنْطبقُ عَلَى المسيح إِلَّا إِذَا كَانَ مَعَلِّمًا رَسُولًا.

والثَّانِي: قَوْلُهُ: (أنا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهِ مِنَ اللَّهِ)، فَهَذَا نَص واضِحٌ فِي أَنَّ المسيح بَشَرٌ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

والثالث: قَوْله: (ذَاكَ أَرْسَلني) واضِح فِي أَنَّ الْمَسِيح رسول من عند الله.

فَهَذِه النُّصُوصُ الإِنْجِيلِيَّة وَاضِحةٌ وصَرِيحةٌ فِي أَنَّ المسيح لَيْسَ هُو اللَّهُ ولا ابنُ اللهِ، بَل هُو بَشَرٌ خَلَقَهُ اللهُ، وَرَسُولٌ مِن عِنْدِ اللَّهِ، هَذَا الَّذِي يُمْلِيهِ الْمَنْطِقُ والعقل والْفَهْمُ الصَّحِيحُ، ولا تَحْتَاج هَذِه النُّصُوصُ إِلَى عَالِمٍ أَوْ مُتَخَصِّص بِاللَّاهوت لِكَي يَشْرَحَهَا، بَلِ الطِّفْل والشَّخْص العَادِي يَسْتَطِيع فَهْمَهَا بِسُهُولة.

5. ومِنَ الأدِلَّة الإِنْجِيلِيَّة عَلَى أَنَّ المسيح رَسُولٌ مُعَلِّم مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ مَا جَاءَ فِي «يُوحَنَّا» (7/15-18) أَنَّ المسيح ذَهَبَ لِجُموعِ الْيَهُودِ يُرِيدُ أَنْ يُعَلِّمَهُم، فَحَصَلَ التَّالي:

«فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ، وَهُو لَمْ يَتَعَلَّمْ؟!

أَجَابَهُمْ يَسُوعُ، وَقَالَ: تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي، بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي.

إِنْ شَاء أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِف التَّعْلِيم، هَلْ هُو مِنَ اللَّهِ، أَمْ أَتَكَلَّم أَنَا مِنْ نَفْسِي.

مَنْ يَتَكَلَّم مِنْ نَفْسِه يَطْلُب مَجْدَ نَفْسِه، وأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَله فَهُو صَادِقٌ ولَيْسَ فِيهِ ظُلْم».

فَالْيَهُود انْبَهَرُوا مِنْ حُسْنِ التَّعَالِيمِ الَّتِي كَانَ الْمَسِيحُ يَبثُّهَا بَيْنَ النَّاسِ، وتَعَجَّبُوا مِنْهَا، فَبَيَّنَ لَهُم المسيح أَنَّهَا مِنَ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ، فَهُو تَلَقَّاهَا مِنْهُ عَنْ طَرِيقِ أَعْظَمِ الْمَلائِكَة وهُوَ جِبْرِيلُ، ثُمَّ بَثَّهَا فِي النَّاسِ، فَهَذِهِ وظِيفَتُهُ كَرَسُولٍ، ولَيْسَتْ تِلْكَ التَّعَالِيم مِنْ صُنْع نَفْسِه، ولَوْ كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ الرَّبُّ لَقَالَ: (هَذِهِ التَّعَالِيمُ مِنْ عِنْدِي) ولمْ يَقُل: (إِنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ)، وبِنَاءً عَلَيْهِ فَالْمَسِيحُ لَيْسَ هُو الرَّبُّ ولا ابنَ الرَّبِّ، ولكنه رسول من عند الله.

6. وفي «إنجيل يُوحَنَّا» (7/28-29):

«فَنَادَىٰ يَسُوعُ وهُو يُعَلِّم فِي الْهَيكل قَائِلًا: تَعْرِفُونَنِي وتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، ومِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُو حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُم لَسْتُمْ تَعْرِفُونَه. أَنَا أَعْرِفُهُ، لأَنِّي مِنْه، وهُو أَرْسَلَنِي».

7. كَمَا جَاءَ أَنَّ المسيح أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَمَا فِي «إِنْجِيلِ يُوحَنَّا» (7/32-35):

«سَمِعَ الْفَرِيسِيُّونَ الْجَمْعَ يَتَناجَونَ بِهَذَا مِنْ نَحْوِهِ، فَأَرْسَلَ الْفَرِيسِيونَ ورُؤَسَاء الْكَهَنَةِ خُدَّامًا لِيُمْسِكُوه.

فَقَالَ لَهُم يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُم زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، أَرْسَلَنِي، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا.

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مُزْمِعٌ[1] أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ لعله مُزْمِعٌ أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعلّم اليونانيين».

فقول اليهود (ويُعلّم اليونانيين) إشارة إلى ما معهود عندهم عن المسيح مِن أنه مُعلّم».

8. وفي «إنْجِيل يُوحَنَّا» (24/5):

««الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي ويُؤْمِن بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَه حياة أَبَدِيَّة».

[1] مُزمِعٌ أي عازمٌ.

9. ومن الأدلة على أن الله أرسل المسيح رسولا هو ما جاء في «إِنْجِيلِ مَتَّى» (١٥/ ٢٤) أَنَّ يَسُوع قَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَىٰ خِرافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّة».

فأي دليل أصرح من هذا؟!

10. وفي «إنجيل لوقا» (16/7) أَنَّ يَسُوعَ ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ اسْمها نايين، يُرَافِقُه كَثِيرون مِن تَلامِيذِه وجَمْعٌ عَظيمٌ، وفي نِهَايَة القِصَّة قَالَ أَهْلُ الْمَدِينَة: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ».

فَفِي هَذَا النَّصِّ دَلالةٌ صَرِيحةٌ عَلَى أَنَّ المسيح نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَلَيْسَ ربًّا ولا ابنَ الرَّبِّ.

11. جاء في إنجيل يوحنا (٤ / ١٩-٢١): (قالت المرأة (أي: السامرية) له (أي: للمسيح): «يا سيد، أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إنَّ في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه.

فقال لها يسوع: يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب».

فهذا النص صريح في أن اليسوع نبي كما قالت المرأة، ولو لم يكن نبيا لصحح اليسوع كلامها، لأنه لن يُقِرها على الخطأ.

12. ثم بعدما أقام المسيح يومين بين السامريين؛ مَضى من هُناكَ إِلى الجَليل، وهناك أعلن أنه نبي، ففي يوحنا (43-44):

وبَعدَ ٱنقِضاءِ اليَومَين وكانَ يسوعُ نَفسُه قَد أَعلَنَ أَن لا يُكرَّمُ نَبِيٌّ في وَطَنِه.

13. وقريب من هذا قوله لما ازدراه أهل الناصرة:

فقالَ لهم يسوع: «لا يُزدَرى نَبِيٌّ إِلَّا في وَطَنِه وأَقارِبِه وبَيتِه». (مرقس: 4/6).

14. وفي «إنجيل مَتَّى» (10/21-11) شَهَادَةٌ مِنْ جُموع بَنِي إِسْرَائِيل للمسيح بِأَنَّه نَبي:

«ولَمَّا دَخَلَ أُورْشَلِيم ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلهَا قَائِلَة: مَنْ هَذَا؟

فَقَالَتِ الْجُمُوع: هَذَا يَسُوعَ النَّبِيُّ الَّذِي مِن نَاصِرَة الْجَلِيل».

فأَيُّ دَليلٍ عَلَى نُبُوةِ المسيح أوضحُ مِنْ هَذَا؟!

15. وقَالَ يَسُوع لِتَلامِيذِه كَمَا جَاء في «إِنْجِيلِ مَتَّى» (5/11-12) وهُو يُسلِّيهِمْ ويُصَبِّرهُمْ عَلَى الْأَذَى الَّذِي جَاءَهُم مِنَ الْيَهُود:

«طوبى لَكُم إِذَا عَيَّرُوكُم وطَرَدُوكُمْ، وقَالُوا عَلَيْكُم كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ.

افْرَحُوا وتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ في السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُم هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِياءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ».

فَقُولُه: «افْرَحُوا وتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ في السَّمَاوَاتِ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُكَافِئ والْمُجَازِي هو الله، الذي في السماوات، ولَيْسَ الْمَسِيح، وَلَوْ كَانَ المسيح هو اللهَ لَقَالَ لَهُم: (لأن أجركم عظيم عندي).

وقَوْلُهُ: (فَإِنَّهُم هَكَذَا طَرَدوا الأنبياء قَبْلَكُم)، يَعْنِي بِهَذَا الْيَهُود، فَإِنَّهُم اضْطَهَدُوا الأَنْبِياءِ قَبْلَه.

وقَوْله: (الأنبياء) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه نَبِيٌّ مِنْ جُمْلَة هؤلاء الأَنْبِياءِ الَّذِينَ تَعَرَّضُوا للطرد والاضْطِهَادِ، ولو لم يكن المسيح نبيا لكان كَلامُه لَيْسَ لَهُ مَعْنًى، وَحَاشَاهُ مِن ذَلِكَ.

وفي هَذَا النص الإنجيلي دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ المسيح لَيْسَ هو الرب ولا ابن الرب، بَلْ نَبِي، لأنه تعرّض للابتلاء والتضييق من قِبَلِ اليهود، كما حصل لغيره من الأنبياء، ولو كان المسيح ربا أو ابن الرب فَلَنْ يَتَعَرَّض

لشيء من الابتلاء، لأن البشر لا يَقْوَوْن عَلَى ابتلاء الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وهُو أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

16. وفي إنجيل يوحنا (14/6): فلَمَّا رأَى النَّاسُ الآيةَ الَّتي أَتى بِها يسوع، قالوا: «حَقًّا، هٰذا هوَ النَّبِيُّ الآتي إِلى العالَم».

17. وقَالَ المسيح كَمَا فِي «إنْجِيل مَتَّى» (17/5-١٩):

«لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أو الأَنْبِيَاءِ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لأُكْمِل.

فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُم إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ: لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّىٰ يَكُونَ الكُلُّ.

فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِه الوصايا الصُّغْرَى وعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا؛ يُدْعَى أَصْغَرَ في ملكوتِ السَّمَاوات.

وأَمَّا مَنْ عَمِلَ وعَلَّم، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوت السَّمَاوات».

فَقَوْلُ المسيح: (لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَو الأَنْبِياء. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَل لأُكْمِلَ)؛ دَليلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّه رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسل، وأَنَّه وَاحِدٌ مِنْهُم، لأَنَّ مَنْ جَاءَ لِيُكْمِل ويُتَمِّم الشَّرِيعة الَّتِي سَبَقَتْه - وهي التَّوْرَاةِ، شَرِيعَة مُوسَى - ويُكْمِل مَا بَنَاه مُوسَى ومَنْ سَبَقَه مِنَ الأَنْبِياءِ قَبْلَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُون إِلَّا نَبِيًّا مِثْلَهم.

وقَدْ جَاءَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

فَالْمَسِيحُ لَمْ يَكُن إِلَّا نَبِيًّا رَسُولًا، أَرْسَلَه اللَّهُ لِلْعَمَلِ بِشَرِيعَةِ مُوسَى، وتَحْلِيلِ بَعْضِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل، ودَعْوةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وتَجْدِيدِ مَا انْدَثَرَ مِن دِينِهِمْ، وَلِيَبْعَثَ فِيهِمْ جَذْوةَ الإِيمَانِ الَّتِي انْطَفَأتْ بِظُلْمِهِم وعُتُوِّهم، وتَحْرِيفِهِم لِكَلامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَلا شَكَّ أَنَّه عليه السلام لَيْسَ إِلَّا حَلقةً فِي سلسلة الأنبياء والْمُرْسَلِينَ عليهم السلام، ولَيْسَ ربًّا وإلـٰها كما يَعْتَقِد المسيحيون.

قال «جوستاف لوبون»[2] في كتابه «حَيَاة الْحَقَائِق» (ص ٢٠):

كَانَ يَسُوعُ مُعْتَقِدًا أَنَّه نَبِيٌّ، خَلَفٌ لِمَن ظَهَرَ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِياء».

---

[1]. سورة آل عمران: ٥٠ - ٥١.

[2] تقدم التعريف به.

المسيح معلم

18. وقَدْ جَاءَ تَقْرِيرُ أنَّ اللهَ أَرْسَلَ المسيح مُعَلِّمًا فِي «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (٣/1-2):

كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الفَرِيسيينَ اسْمُه نيقوديموس، رئيسا لليهود.

هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيلا، وقَالَ لَهُ: يا مُعَلِّم، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَل إِنْ لَمْ يَكُن اللهُ مَعَه».

فَقَوْلُ رَئيس الْيَهُود للمَسِيح: (يَا مُعَلِّم، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا)؛ هَذَا تَقْرِيرُ أَنَّ المسيح أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى الْيَهُودِ مُعَلِّمًا، لأنَّ الرَّسُول يُعلِّم النَّاسَ مَا أَرْسَلَه اللهُ بِهِ مِنَ الْعِلم، ومِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ المسيح قَدْ عَلَّمَ النَّاسَ الإنجيل، ودَلَّهم عَلَى الْخَيرِ، وحَذَّرَهُم مِنَ الشَّر.

تنبيه هام

لِيلاحظ القارئ الكريم أن رَئيس الْيَهُود لم يقل للمَسِيح إِنَّهُ جَاءَ فَادِيًا، أَوْ مُخَلِّصًا، أَوْ إِنَّهُ ابنُ اللَّهِ، أَوْ إِنَّه هو الله، ولا غَير ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوالِ السَّائِدَة بَينَ جَمَاهِيرِ الْمَسِيحيين، بل قال له إنه جاء معلمًا، والْمَسِيحُ أَقَرَّ هَذَا الْيَهُودِي عَلَى كَلامِه، ولمْ يَقُل لَهُ: (إِنَّكَ مُخْطِىءٌ في كَلامِك)،

ولَوْ كَانَ هَذَا الْيَهُودِيُّ مُخْطِئًا فِي كلامه لما أقره المسيح، بل لاعْتَرَضَ عَلَيْهِ وصَحَّحَ كَلامَه، لأنَّ هَذِهِ وظِيفَتُه كَمُعَلِّم، وهِي أَنْ يُقِرَّه عَلَى الصَّواب، ويُصْلِحَ لَهُ الْخَطَأ، وإِلَّا لَمْ يَكُن مُعَلِّمًا عَلَى الْحَقِيقَةِ.

* وهُنَا فَائدةٌ لَطِيفةٌ فِي قَوْلِ رَئِيسِ الْيَهُودِ للمسيح: (لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيات الَّتِي أَنْتَ تَعْمَل إِنْ لَمْ يَكُن اللهُ مَعَه)، وهِي أَنَّ فِي هَذَا دَلِيلًا عَلى نبوة المسيح، لأنَّ الله لا يُؤيِّد بالآيات والمعجزات إلَّا الأنبياء، لتكون دليلا ماديًّا للناس على نبوتهم، فيصدقوهم، لأن البشر إذا رأوا الأنبياء يأتون بخوارق العادات التي لا يقدر عليها إلا الله علموا أن الله أجراها على أيديهم ليعلم الناس أنهم أنبياء، ومِنْ ذَلِكَ أن المسيح كَانَ يُحْيِي الْمَوتَى، ويَشْفِي الأَبْرَصَ، ويُبرئ الأَكْمَهَ (أَي الَّذِي وُلِدَ أَعْمَىٰ)، ويُنَبِّئُ النَّاسَ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ، وَكُلُّ هَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ، ولَيْسَ لِلْمَسِيحِ فِيهِ قُدْرَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ وعِلْمٌ مُسْتَقلٌّ، لأَنَّ المسيح بَشَرٌ، لا أَكْثَرَ ولا أَقَلَّ.

19. كما جَاءَ تَقْرِيرُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ المسيح مُعَلِّمًا في «إِنْجِيلِ مَتَّى» (23/4): «وكَانَ يَسُوعُ يَتَنَقَّل فِي مَنْطِقَةِ الْجَلِيل كُلِّهَا، يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ، ويُنَادِي بِبِشَارَة الْمَلَكُوت».

20. وفي «إنجيل يُوحَنَّا» (19/18-20) وَرَدَ نَصٌّ واضح كالشمس يُبَيِّن أَنَّ الْيَسُوعَ كَانَ معلما، هُو:

«فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا، وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ».

فدل ذلك على أن اليسوع كان معلمًا له تلاميذ، وهذه من صفات الرسل.

21. وجاء في «إنْجِيلِ مَتَّى» (17/4): «مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُكَرِّز ويَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّه قد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوات».

ومَعْنَى (يُكَرِّز) أي: يُبشِّر.

وقَوْلُ يَسُوع: (تُوبُوا)؛ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّه مُعلم، يَحُثُّ النَّاس عَلَى التَّوْبَةِ مِنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي.

22. وجَاءَ فِي «إنْجِيلِ مَتَّى» (8/6-10) أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لِتَلَامِيذِه:

«لأَنَّ أَبَاكُم يَعلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوه.

فَصَلُّوا أَنْتُم هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ

مَلَكُوتُك. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاء كَذِلك عَلَى الأَرْضِ».

فِي هَذَا النَّصِّ فَائَدةٌ: أَنَّ اليَسُوع عَلَّم تَلامِيذَه كَيْفِيَّة الصَّلَاةِ، فَهُو إِذَن نَبِيٌّ، لأَنَّ وَظِيفَةَ الأَنْبِياءِ هِي التَّعْلِيم، وهو الشَّاهِد.

وفِي هَذَا النَّصِّ فَائِدَةٌ: أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاء، لِقَوله: (أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاواتِ)، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللهَ لَه ذَات، وهي فِي السَّمَاء، والْمَسِيحُ لَه ذَاتُ أُخْرَىٰ فِي الْأَرْضِ، وأنهما غير ممتزجتين ولا مُتَّحِدتين.

وفِي هَذَا النَّصِّ فَائِدَةٌ: أَنَّ كلمة الأَبَ فِي هذا السياق بِمَعْنَى الْمُربِي والقَائِم عَلَى الشَّيء، ولَيْسَت بِمَعْنَى الأَبِ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ، لأَنَّه لَوْ كَانَتْ كَلِمَةُ الأَبِ تَعْنِي الأَبَ مِنْ جِهَةِ النَّسَب لَكَانَ اللهُ أَبَ النَّاسِ كُلِّهم، لأَنَّه قَالَ: (أَبَانَا) ولَمْ يَقُل: (أَبِي).

فالحاصل أن فِي هذا النص رَدًّا واضحا عَلَىٰ مَنْ قَالَ بِأَنَّ أُبُوَّةَ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ هِي أُبُوَّةُ نَسَبٍ، وأَنَّهَا تُقَابِل أُمُومَة مَرْيَم للْمَسِيحِ، فَهَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ الأُبُوة هُنَا تَعْنِي التّربية والْقِيام عَلى رِعَايَة الشَّخْص، وبنَاءً عَليهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُو أَبو النَّاسِ كُلِّهم بِهَذَا الْمَعْنى.

23. وجاء في «إنْجِيل مُرْقُص» (١/ ١٤، ١٥) نصٌّ وَاضِحٌ فِي أَنَّ يَسُوعَ نبيٌّ بَشَّر بالإِنْجِيلِ وعَلَّمَ النَّاسَ الْخَيْرَ وهُو:

«وبَعَدَمَا أُلقِي الْقَبْضُ عَلَى يُوحَنَّا، انْطَلَقَ يَسُوعُ إِلَى مَنْطِقة الْجَلِيل يُبَشِّر بِإِنْجِيلِ اللَّهِ قَائِلًا:

قَدِ اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، واقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وآمِنُوا بِالإِنْجِيل».

فَهَذَا النَّصُّ فِيهِ فَائِدةٌ: أَنَّ المسيح نَبِيٌّ معلم، لأَنَّهُ كَان يُبَشِّرُ بِإِنْجِيلِ اللَّهِ، وَيَأْمُر النَّاسَ بالتّوبَة إِلى اللهِ، ويَأْمُرُهُمْ بِالإِيمَان بِالإِنْجِيل الذي كان معه، وهَذه وظيفة الأنبياء.

وفي هَذَا النَّصِّ فَائِدَةٌ: أَنَّ ذَاتَ اللهِ لَيْسَتْ هِي ذَاتَ يَسُوعَ، لأَنَّه قَالَ: (واقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ)، ولَوْ كَانَ اللهُ هُوَ الْيَسُوعَ لَقَال: (وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتي).

وفي هَذَا النَّصِّ فَائِدَةٌ: أَنَّ يَسُوع أَمَرَ تَلاميذه بِالإِيمَانِ بِإِنْجِيلِ اللهِ، وَلَوْ أَنَّ الْيَسُوع هُوَ اللهُ لَقَال لَهُم: (فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِإِنْجِيلِي).

وفي هَذَا النَّصِّ فَائِدَةٌ: أَنَّ إِنْجِيل اللهِ لَيْس أَحَدَ الأَناجِيلِ الْأَرْبَعَةِ الْمَعْرُوفَة: (يوحنا، لوقا، مُرقُص، متى)، لأَنَّ يَسُوع سَمَّاه (إِنْجِيلَ اللَّهِ)،

بَيْنَمَا الأَنَاجِيل الأَرْبَعَةِ الْمَعْرُوفة تُسَمَّى بِأَسْمَاء مُؤَلِّفِيهَا الَّذِينَ كَتَبُوهَا بِأَيْدِيهِمْ (إنجيل مرقص، إنجيل يوحنا، إنجيل متى، إنجيل لوقا).

المسيح مرشد

24. في إنجيل متى (23/9-10)، أن يسوعُ كلم الجُموعَ وتلاميذَه قائلا:

«9. ولا تَدْعوا أَحدًا أَبًا لَكم في الأَرض، لِأَنَّ **لَكم أَبًا واحدًا هو الآبُ السَّماوي**.

10. ولا تَدَعوا أَحَدًا يَدْعُوكم مُرشِدًا، لِأَنَّ لَكم **مُرشِدًا واحِدًا وهو المسيح**».

***

وخُلاصَة الْكَلَامِ: أَنَّ المسيح نبيٌّ ورَسُولٌ ومُعَلِّمٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَذَا مُطابقٌ لقَوْلِ اللَّهِ تعالى في القرآن في وصف الْمَسِيح: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَعَام انظُر كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيات ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾[1].

وتَفْسِيرُ الآيَةِ: مَا الْمَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ كَمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الرُّسل، وأُمه صِدِّيقةٌ، أَيْ: صَدَّقتْ بكَلام رَبِّهَا تَصْدِيقًا جَازِمًا، وظَهَرَ تَحْقِيقُ ذَلِكَ فِي عِلْمِهَا وعَمَلِهَا الصَّالِح، وهُمَا - أي: الْمَسِيحُ وأُمُّهُ - كَغيرهما

[1]. سورة المائدة: ٧٥.

مِنَ الْبَشَرِ، يَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ، وَلَا يَكُونُ إلٰها مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ لِيَعِيش.

ثمَّ قَالَ اللهُ مُخَاطِبًا نَبِيَّه محمدًا: ﴿أنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيات﴾؛ أي: تَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ حَالَ هَؤلاءِ، كَيْفَ وضَّحْنا لَهُم أَدِلَّة بُطلَان مَا يَدَّعونه فِي الْمَسِيحِ مِنْ أَنَّه ابنُ اللهِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ ذَلِك يَضِلُّون عنِ الْحَقِّ الَّذِي نَهْدِيهِم إِلَيْهِ، ثُمَّ انْظُر كَيفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيانِ؟

تَمَّ الدَّلِيلُ السَّابع، وننتقل الآنَ إِلَى الدَّلِيلِ الثامِن مِنْ أَدِلَّة بُطْلَان مَقُولَة: (إِنَّ المسيح رَبٌّ).

****

الدليل الثامن

ومِنْ دَلائِل بُطْلان مَقُولَة: (إِنَّ المسيح رَبٌّ أَو ابنُ الرَّبِّ) مَا ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّه صَلَّى للَّهِ، (انظر متى (12/6)، وَكَانَ يَقُول لِتَلَامِيذِه: انْتَظِرُونِي حَتَّى أُصَلِّي، وَكَانَ يَذْهَب إِلَى الْمَعْبدِ ويُصلي ويسجد ، ومِنَ الْمَعْلوم أنَّ الصَّلاة لا تَكُون إِلَّا لِرَبٍّ مَعْبُودٍ يَعْتقدُ الْمُصلِّي أنَّه أَعْظمُ مِنْه، وأنَّ لهُ حقَّ العِبَادة والتّوجُّه إِليه، فَلَو أَنَّ المسيح هُوَ اللهُ لَمَا احْتَاجَ لأَنْ يُصلِّي للهِ، لأَنَّ هَذَا سَيَكُون مِنَ الْعَبَثِ، وَلَكَانَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يَقُولَ للنَّاسِ: (صَلُّوا لِي واعْبُدُونِي، أَنَا لَا أَحْتَاجَ أَنْ أُصَلِّي لِأَحَدٍ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ)، ولَكِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ، فِبنَاءً عَلَيه فَلا يُمْكِن أَنْ يَكُونَ الْمَسِيحُ هُوَ اللَّه.

****

الدليل التاسع

ومِنْ أدلَّةِ بُطْلَانِ مَقُولَةِ: (إِنَّ الْمَسِيح ابنُ اللَّهِ) أَنَّهَ وَرَدَ عَنِ الْمَسِيحِ نَفْسِهِ النَّهِيُ عَنْ هَذِهِ الْمَقُولة، ولوْ أَنَّ المسيح ابنُ اللهِ فِعْلاً لأَقرَّ القَائِلَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمَا زَجَرَه، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَتِ الشَّيَاطِينُ لِيَسُوعَ: (أَنْتَ المسيح ابنُ اللَّهِ) زَجَرَهُمْ وَنَهَاهُم، كَمَا فِي «إِنْجِيل لوقا» (41/4)، فَهَذَا دَليلٌ صَرِيحٌ جِدًّا عَلَى أَنَّ المسيح لَيْسَ ابنًا لِلَّهِ.

****

الدليل العاشر

ثمَّ إِنَّ المسيح رَحِيمٌ بِالنَّاسِ، شَفِيقٌ عَلَيهِمْ، فَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَة حَقًّا (عقيدة أنَّه الرَّبُّ أو ابنُ الرَّبِّ) لَكَرَّرهَا وَبَيَّنَهَا بِوضُوح لِتَثْبت فِي عَقُول النَّاسِ، وَلَوَرَدَ ذِكرُها بِشَكل واضح جدًّا في الأناجيل الأَرْبَعَةِ والرَّسَائِلِ الثَّلاثَةِ والعِشْرين الْمُلْحَقَة بِهَا، ولمْ يَكْتَفِ بِأُسلوبِ التَّلْمِيح فِي مِثْل هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْعَظِيمَة وَيَتْرُك أُسْلوبَ التَّصْرِيح الْواضِح، ثمَّ يَسْتَعْمِلُه -أي أُسْلوبَ التَّصْرِيح الْواضِح- في مَسَائِل أَقَلَّ أَهَمِّيَّةٍ، لأنَّ الْمَسْأَلَة مَصِيريَّة وعَقَائِدِيَّة، يَقُومُ عَلَيها الدِّينُ كله، ويَتَرَتَّب عَلَيْهَا مَصِيرُ الإِنْسَانِ فِي الآخِرة، إمَّا جَنَّةٌ وإِمَّا نَارٌ.

ومِنَ اللَّطِيف ذِكْرُه فِي هَذَا الْمَقَام أنَّه قَدْ وَرَدَ نَصٌّ فِي «إِنْجِيل يُوحَنَّا» (١٨: ١٩ - ٢٠) يُبَيِّن أنَّ الْيَسُوعَ كَانَ وَاضِحًا دَائِمًا، وَهُو:

«فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجمع وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا، وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ».

* وانْظُر أَيْضًا - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَاقِل وأَيَّتُها الْقَارِئَةُ الْعَاقِلَة - إِلَى الْوُضُوحِ فِي قَوْلِ المسيح كَمَا فِي «إِنْجِيل مُرْقُص» (29/12):

«اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إلـهنَا رَبٌّ وَاحِدٌ».

فَلَوْ كَانَ المسيح هُو الرَّبُّ لَقَالَ الْمَسِيحُ: (أَنَا رَبُّكُمْ)، بدلًا عَنْ قَوْلِهِ: (الرَّبُّ إلـهنَا رَبٌّ وَاحِدٌ).

فَهَذَا النَّصُّ وَاضِحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ هُو رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِم؛ الْمَسِيحِ وَغَيْرِه.

فَهَلْ مِنَ الْعَقْلِ أنْ نَتْرُكَ هَذَا النَّصَّ الصَّرِيحَ الْواضِحَ ثُمَّ نُلْغِي مَعْنَاهُ ونَقُول: إنَّ المسيح رَبٌّ أو ابنُ الرَّبِّ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَجَسَّدَ فِيهِ، أَوْ ... أَوْ؟!

* وانظر - أَيْضًا - إلى الوضوح في تَقْرِيرِ وِحْدَةِ ذَاتِ اللَّهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ كَمَا فِي «إشعيا» (٩:٤٦):

«اذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ، لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ، الإلـه وَلَيْسَ مِثْلِي».

فَلَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ابْنَ اللهِ أَوْ هُو اللهُ لَقَالَ اللهُ فِي النَّصِّ السَّابِق: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ وهُنَاكَ إلـهٌ آخَر وهُو يَسُوعُ)، لأَنَّ اللهَ واضِح في كَلَامِهِ، فَهُو يُرِيدُ الْخَيْرَ وَالإِرْشَادِ والهداية للنَّاسِ كُلّهم، ولا يريد التشويش والأغلوطات، لأن هذا من قلة البيان، وقلة البيان من صفات النقص، يتنزّه الرب عنها وعن غيرها من صفات النقص، ولَكِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ، فعُلِم أَنَّ الحقَّ هُو مَا تَقَرّر مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ بِذَاتِهِ، وَالْمَسِيحُ وَاحِدٌ بِذَاتِه، لَمْ يَحِلَّ أَحَدُهُما في الآخر.

****

الدليل الحادي عشر

الدَّلِيلُ الْحَادِي عَشَرَ عَلَى بُطْلَانِ عَقِيدَةِ التَّثْلِيث - والَّتِي تَعْتَمِدُ أَصْلًا عَلَى عَقِيدَةِ (أَنَّ المسيح رَبٌّ)- : أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَة لا تُعرفُ فِي أَيِّ دِينٍ سَمَاوِي سابقٍ ولا لاحقٍ، فَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ لَمْ يَعْرِفُها أَنْبِياءُ اللَّهِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ يَعْتَرِف بهم الْيَهُود والنَّصَارى (الْمَسِيحِيُّونَ)، مِثْل النَّبِي نُوح وَإِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، عليهم السلام.

بَلْ هذه العقيدة لمْ يَعْرِفْهَا ولَمْ يَذْكُرْهَا أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ الذين وَصَلت إلى النصارى أَخْبَارُهم؛ كَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَدَاودَ وَسُلِيمَانَ عليهم السلام.

نَعْمْ، لَيْسَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ الْمَسِيحِيُّونَ - وَالَّذِي سَاقَ أَخْبارَ هَؤلاء الأنبياءِ ودَعوتهم - أنَّ هَؤلاء الأنبياءَ دَعَوْا إِلَى عِبَادَة إله مُثَلَّثِ الأَقَانِيم، أَوْ تَلَفَّظُوا بِلَفْظِ التَّثْلِيثِ، وَمَا شَابَه ذَلِكَ، بَل الَّذِي وَرَدَ عَنْهُم هُو أَنَّهُم دَعَوْا بدَعوة كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ نُوحٍ إِلى مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حَيثُ دَعَوا إِلَى عِبَادَة إله وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وهَذَا مُدَوَّن فِي الْعَهْدِ الْقَدِيم.

ومِنْ ذَلِك:

* قَوْلُ اللهِ لإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) كَمَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيم «سِفْر التَّكوين» (٧/١٧): «وأُقيمُ عَهْدِي بَيني وَبَيْنَك وبَينَ نَسلِكَ مِن بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهم، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأكُون إلـها لَكَ وَلِنَسلِكَ مِنْ بَعْدُ».

* قَوْلُ اللهِ لِمُوسَى (عليه السلام) فِي طُورِ سَيْنَاءَ فِي كَلامِهِ له كَمَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ الْمَسِيحِيُّون فِي «سِفْرِ الْخُروج» (١٥/٣): «وقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: هَكَذَا تَقُول لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَه إله آبَائِكم، إله إِبْرَاهِيمَ وَإله إِسْحَاقَ وإله يَعْقُوبَ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُم».

* وفِي نَفْسِ السِّفْر (5/4) قَولُ اللهِ لِمُوسَى: «لِكَي يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَر لَكَ الرَّبُّ إله آبَائِهِم، إله إِبْرَاهِيمَ وَإله إِسْحَاقَ وَإله يَعْقُوبَ».

* وهَذَا الْخِطَاب لِمُوسَى جَاءَ مِثْلُه عَن المَسيح فِي «إِنْجِيل لوقا» (٢٠/ ٣٧).

* وجَاءَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيم فِي «سِفْر إشعيا» (٤٤ / ٦): «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وفَادِيه، رَبُّ الْجُنودِ: أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غَيْرِي».

* وهَذَا حزقيا أَحَدُ أَنْبِيائِهِمْ يُخَاطِب الرَّبَّ: «أَنْت هُو الإله وَحْدَكَ، لِكُلِّ مَمَالِك الأَرْضِ. أَنْت صَنَعَتَ السَّمَاواتِ والأَرْضِ». «سفر إشعيا» (16/37).

* كَذَلِكَ فَلَمْ يَعْتَرف الدينُ الَّذِي جَاء بَعْدَ دِينِ المسيح -وهُو دِينٌ وَاحِدٌ وهُو دِينُ الإِسْلام - بِهَذِهِ الْعَقِيدَة؛ أَيْ: عَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ، بَلْ أَنْكَرَهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي القرآن: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَه وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيم (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام انظر كيف نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾[1].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ المسيح ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[2].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَم وَقَالَ الْمَسِيحُ يا بني إسرائيل اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاه النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار﴾[3].

---

[1]. سورة المائدة: ٧٣ - ٧٥.
[2]. سورة المائدة: ١٧.
[3]. سورة المائدة: ٧٢

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتهوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إلـه وَاحِدٌ سبحانه أَن يَكُونَ لَهُ وَلَد له مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1].

فَقَولُه: ﴿سبحانه أَن يَكُونَ لَهُ وَلَد﴾، أَيْ: أَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُون لَهُ ولَدٌ، لأنَّ اتِّخَاذ الْوَلد صِفَة نَقْصٍ ولَيْستْ صِفَةَ كَمَالٍ، لَأَنَّ اتِّخَاذَ الْأَوْلَادِ يعني احْتِياج الرَّبِّ إِلى الناس، وهَذَا بَاطِلُ، لِأَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين.

فَهَذَا هُوَ الْقُرْآنُ دُسْتُور دِينِ الإِسْلامِ، وَكَلامُ اللهِ الْمَحْفُوظ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَة، يُبَيِّن أَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيث باطلةٌ، وأَنَّ عَقِيدةَ ربوبية الْمَسِيح وألوهيته باطلة، ويُبين - أَيْضًا - أَنَّ اعتقاد أَنَّ المسيح ابنُ اللهِ باطل، والصَّحِيحُ أَنَّ الْمَسِيحُ كَانَ عبدا للهِ، وَكَانَ يَأْمُر قَومَه بعبَادَةِ اللهِ.

فَالْحاصِلُ أَنَّ الْقَوْلِ بالتثليث يَلْزَم مِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِياءِ وَالرُّسل ضَلُّوا عَنْ مَعْرِفَة إلـهِهم وَمَعْبُودِهم وخَالِقِهم، واهْتَدَى إِليه القَسَاوِسَةُ الَّذِينَ وضَعُوا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِعِدَّة قُرونِ في القَرْن

[1]. سورة النساء: ١٧١.

الرَّابِعِ الْمِيلادِي فِي عَقِيدَةِ إِيمَانِهِم الَّتِي اتَّفَقُوا عَلَيْهَا فِي مَجْمَعِ القُسْطَنْطِينِيَّة الأَوَّل عام ٣٨١م!

وهَذَا قَولٌ وَاضِحُ البُطْلَان.

****

الأَدِلَّةُ الْعَقْلِيّة عَلَى بُطْلانِ مَقُولَة: (إِنَّ المسيح رَبٌّ) وعَددُ هَذِهِ الأَدِلَّةِ سِتَّةَ عَشَر

الدليل الثاني عشر

ومِنْ دَلائِلِ بُطْلانِ مَقُولة: (إِنَّ المسيح رَب): أَنَّهُ لَا يُمْكِن لِجِسْمٍ بَشَرِيٍّ أَنْ يَحْتَوِي ذَاتَ اللهِ، لأَنَّ اللهَ كَبِيرٌ، أَكْبَرُ مِن كُلِّ شَيءٍ، وعَالٍ فَوْقَ سَمَاواتِه، فَوْقَ كُلِّ شَيءٍ، ولَا شَيْءَ فَوْقَه، والْبَشَر عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ تَمَامًا، فَبِنَاءً عَلَيْهِ فَإِن عَقِيدَة أَنَّ الرَّبَّ تَجَسَّد في المسيح مَقُولَةٌ بَاطِلةٌ، وكَذِبٌ عَلَى اللَّهِ، وتقليلٌ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، فالْقَوْل بِها كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيم، ومُوجِبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.

والْوَاجِبُ هُو تَعْظِيمُ اللهِ وتَنْزِيهُهُ عَنِ اعتقاد أنه مُمتزج بِخَلْقِه، بل اللهُ عال على عرشه، فوق السماء السابعة، لم يرَهُ أحدٌ من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تنبيه

يَسْتَدلُّ القَسَاوِسَةُ عَلى عَقِيدَةِ التَّجَسُّد (حُلُولُ اللهِ فِي الْمَسِيحُ) بِمَا قَالَه بولس في رسالته الأُولَى لتيموثاوس (16/3): «عَظِيمٌ هُو سِرُّ التَّقْوى. اللَّهُ ظَهَرَ في الْجَسَدِ، تبرَّر في الرُّوح».

ومَا تَعَلَّق بِهِ الْمَسِيحِيُّونَ مِن كَلامِ بُولس يُعْتَبَرُ خَطأً عَظِيمًا، إِذْ لَوْ كَانَ بُولس مُحِقًّا لَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُبيَّنَ مُسْتَنَدَه لِمَا قَالَهُ مِنْ كَلامِ الْمَسِيحِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ مِنْ كَلامِه هُو، وإِلَّا يُعْتَبر مُدَّعِيًا مَا لَيْسَ لَهُ بِه عِلْمٌ، وَكَاذِبًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، إذ ليس من الممكن أن يكتم المسيح هذه العقيدة - عقيدة التجسد – لو كانت صحيحة، ويأتي بها بولس بعده، فالحق أنها من تحريفات بولس لدين المسيح التي أَضَلَّ بها الْمَسِيحيينَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ الصحيح.[1]

****

[1]. بتصرف من «موسوعة الأديان»، الباب الثالث: النصرانية وما تفرع عنها، الفصل السابع: عقيدة النصارى المبحث الثالث: الاتحاد (التجسد). الناشر: الدرر السنية. (www.dorar.net/enc/adyan/477) .

الدليل الثالث عشر

ثُمَّ كَيْفَ يُمكن أن يَكُون الْيَسُوع ربًّا في حين أَنَّ هُناك ملايين البشر خُلِقُوا وَوُجِدوا قَبْلَ ولادته؟

مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ مَوْجُودًا قَبْلَ وجُودِ النَّاسِ، وَلَيْسَ الْعَكْسِ.

هذا القول مناقض للعقل، لأنه لا يصح في العقل أن يكون المسيح ربَّ أُناسٍ لم يرهم، بل وُجِدوا قبله!

إِنَّ الْقَولَ الصَّحِيحَ هو أَنَّ اللهَ مَوجودٌ دَائِمًا، لَيْسَ لَهُ بِدَايَةٌ، أَمَّا الْمَسِيحُ فَإِنه بَشَرٌ، خَلَقَهُ اللهُ لَمَّا أَرَادَ خَلْقَه، وأَنَّ اللهَ لَهُ ذَاتٌ، وَالمسيح لَهُ ذَاتٌ أُخْرى.

****

الدليل الرابع عشر

علاوة على ذلك، فإن الله ليس له بداية، بينما اليسوع له بداية.

وهنا سؤال: لماذا خلق الله الآب يسوع الجسدي (لو كان هذا صحيحًا) فقط منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة؟ لماذا لم يخلقه قبل ذلك؟

ولماذا حدث اتحادهما منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ سنة فقط (لو كان هذا صحيحًا) ولم يحدث قبل ذلك؟

بمعنى آخر، لماذا أوجد الله المسيح في ذلك الوقت، ولم يوجده في فترة زمنية أخرى؟

ما هو السبب المنطقي وراء ذلك؟

****

الدليل الخامس عشر

وِلِمَاذَا لَمْ يُوجِدُهُ اللهُ - إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ ابْنَه فعلًا - قَبْلَ خَلْقِ النَّاسِ؟!

هو أولى بالإيجاد قبل وجود البشر - لو كان ابنه فعلا.

لِمَاذَا جَعَلَهُ مُتَأَخِّرًا مَعَ كَوْنِهِ رَبَّهُمْ - بِحَسَبِ زَعْمِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ -؟!

****

الدليل السادس عشر

كَيفَ يَكُونُ الْيَسُوعُ رَبًّا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ النَّاسَ الَّذِينَ عَاشُوا قَبْلَ وِلَادَتِهِ؟!

****

الدليل السابع عشر

ثمَّ كَيْفَ يَصِحُّ أنْ يُقَال: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ ابنًا واحدًا؟

لِمَاذَا لَمْ يَتَّخِذْ عِدَّة أَبْنَاءٍ كما هي عَادَة الْمُلوك والأَغْنِياء والعُظَمَاء؟

إنَّ التَّكثُّر مِنَ الأَبْنَاء مِنْ صِفَات الأَغْنِياءِ، وَاللَّهُ هُوَ أَغْنَى الْأَغْنِياء، فَلِمَاذَا لَمْ يَتَكَثّر مِنَ الأَبْنَاء لَوْ كَانتْ صِفَة اتِّخَاذ الابنِ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَهُ؟!

تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

****

الدليل الثامن عشر

لَوْ كَانَ الْمَسِيحُ ربًّا وَإلٰها حَقًّا فَلِمَاذَا لَمْ يَدْفَعِ الْمَوتَ عَنْ نَفْسِه، بحسب زعم من زعم أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الصَّلِيب؟!

لا يُمْكِن أنْ يَكُونَ الْمَسِيحُ ربًّا ثمَّ يَقْتُله الْبَشَرُ (مُجْمَوعَةٌ مِنَ الْيَهُود) لِسَبَبِينِ:

الأَوَّلِ: أَنَّ الرَّبَّ لَا يَعْتَرِيهِ الْمَوتُ، لَأَنَّ الْمَوتَ صِفَةُ نَقْصٍ، وَالرَّبُّ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَال، فالرَّب حَيٌّ لَا يموت.

****

الدليل التاسع عشر

والثَّانِي: أَنَّ الرَّبَّ أَقْوى مِنْ خَلْقِهِ، فَلا يُمْكِن أَنْ تَقْوىٰ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبَشَرِ (الْيَهُود) عَلَى تعريته من ملابسه، وقَتلِه، وتسمير يديه، والبَصْقِ عَليهِ، وَوَضْعِ الشَّوكِ عَلَى رَأْسِه، وتغطية وجهه، ولطمه، وصَلْبِهِ، ودَفْنِهِ في قبر![1]

إِنَّ هَذِهِ الْمَقُولةَ (مَقُولة: إِنَّ المسيح مَاتَ مَصْلُوبًا) تُنَاقِضِ مَقُولة: (إِنَّ الْمَسِيحِ ربٌّ) مِن كُلِّ وَجْه.[2]

ويُقَال أَيْضًا: لَوْ كَانَ المسيح ربًّا وإلـٰها حَقًّا فَلِمَاذَا لَمْ يَدْفعِ الْمَوتَ عَنْ أُمِّه مريم؟!

****

الدليل العشرون

لو كان المسيح ربا فعلا فكيف ولدته أمه مريم العذراء وأوجدته على هذه الحياة وهي بالأصل وُجِدت قبله؟!

وهل يُعقل أن المسيح (لو كان ربا) كان يتغذى على الحيض لما كان في بطن أمه كغيره من الأطفال؟!

وكيف للإنسان العاقل أن يؤمن أن مخلوقة ولدت ربها؟!

---

[1]. انظر: «مرقص (14 / 65)».

[2]. انظر لبيان خرافة هذه العقيدة الفصل الرابع والخامس من هذا الكتاب.

وهل يعقل أن يخرج الرب من مكان خروج الطفل من فرج أمه؟!

وكيف يُعقل أن المسيح (لو كان ربا) خرج من بطن أمه فاتحا فاه يبتغي ثديها؟!

وإن كانت مريم أم الرب كما يقولون فكيف يتقبل العقل أن تضع ابنها الرب في لفافة قماش وترضعه وتغير له ملابسه المتسخة؟!

هل يليق أن يكون الرب بحاجة لأم ترعاه وتبدل له ملابسه وتطعمه وتسقيه وتعتني به؟!

****

الدليل الحادي والعشرون

ثمَّ إِنَّ مَقُولة: (إِنَّ الْمَسِيح هُو الله) تتناقض مَعَ مَقُولَة: (إِنَّ المسيح مَاتَ لَمَّا صُلِبَ)، لأَنَّ المسيح إِذَا كَانَ هُو الله ثمَّ مَاتَ فَلَابُدَّ أَنْ يَمُوتَ الأَبُ أَيْضًا، لأن الاثنين متحدان بِزَعْمِهِمْ!

****

الدليل الثاني والعشرون

ثمَّ إِنَّ الْجَمِيعَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لمْ يُولَدْ، بَيْنَمَا الْمَسِيحُ وَلَدَتْه أُمُّه، فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّهُمَا ذَاتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ تَمامًا، غَيْرُ مُمْتَزِجَتَينِ فِي ذَاتٍ واحدةٍ، فَجَعْلُهُما ذَاتًا وَاحِدَةً مِنْ أَعْظَمِ الْمُعَانَدَةِ لِلْعَقْلِ الصَّرِيح.

ويمكن أن يُقال: لماذا يَحتاج الله لأن يتجسد في صورة إنسان لينزل إلى الأرض بصورة ابنٍ له؟

****

الدليل الثالث والعشرون

إِذَا كَانَ الْمَسِيحُ هو ابنُ اللَّهِ فِعْلًا، فَلِمَاذَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جُمْهُورُ الْمَسِيحيين أَكْثَر مِنْ تَعَلُّقِهِمْ بِاللَّهِ نَفْسِهِ، ويَدْعُونَه ويَرْجُونَه وَيُعَظِّمُونَه أَكْثَرَ مِمَّا يُعَظِّمُونَ الله الأب نَفْسَه؟!

إِنَّ التَّصَرُّف الطَّبيعي هو أنْ يَكُونَ التَّعَلُّق بِاللهِ الأب أكثر، لأنَّه هُو أبو المسيح في اعْتِقَادِهِم، وهُو الَّذِي خَلَقَه!

عَلَى مَاذَا يَدلُّ هَذا التَّناقُضِ؟

ألا يدل على تهافت هذه المقولة؟

****

الدليل الرابع والعشرون

كَذَلِكَ فَلَوْ كَان الْمَسِيحُ ربًّا فِعْلًا لَمَا اخْتَلَفَ جُمْهُورُ النَّصَارَى (الْمَسِيحِيُّون) عليه، واختَلَفُوا فِي فهم طبيعته وحقيقته، وصاروا طوائف.

بَلْ لكان الْقَوْل فِيه وَاحِدًا لا يَخْتلف ولا يَضْطرب.

فَحُصُول الاضْطِراب بَينَ هَذِهِ الأقوال يَدلُّ عَلى سُقُوطِها كُلِّها، وأنَّ الْحَقَّ في وادٍ وَهَذِهِ الْأَقْوال فِي وَادٍ آخَرَ.

****

الدليل الخامس والعشرون

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللهَ رَحِيمٌ بِالْبَشَرِ، لَيْس لهُ مَصْلحةٌ فِي تَعْقِيد الأُمُور وإِثَارَةِ الفَوْضَى الْعَقْلِيَّة فِي مُجْتَمَع بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا غيره، وقَدْ جَاءَ فِي (رِسَالَةِ كورنثوس الأُوْلَى: ١٤-٣٣): «اللَّهُ لَيْسَ إِلٰه تَشْوِيشٍ بَلْ إِلٰه سَلَامٍ».

إِذَا تَقَرَّر هَذَا فَلابدَّ أَنَّ الَّذِي جَعَلَ عَقِيدَة الْمَسِيحِيينَ مُعَقَّدَةً هُمُ الْبَشَرُ ولَيْسَ الله، وهَذَا هُوَ الْوَاقِع لَمَّا أَدْخَل بولس فِي عَقِيدَةِ المسيح الْأَصْلِيَّة مَا لَيْسَ مِنْهَا، فَحَرَّفَهَا بِقَوْلِهِ: (إِنَّ المسيح ابْنُ اللَّهِ).

ولو أنك استوقفتَ طِفْلًا وَطَلَبتَ مِنْه أَنْ يَشْرَح لَكَ عَقِيدَةَ التَثليث لَمَا اسْتَطَاع، فِي حين أَنَّ الْعَقِيدَة الْمُتَعَلِّقَة بِاللهِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَفهُومَةً لِكُلِّ إِنْسَانٍ، سَواءٌ كَانَ طِفْلًا أَوْ كَهلا، أَوْ أُمِّيًّا - لا يَقْرأُ ولا يَكتبُ - أَوْ عَالِمًا فِي الذَّرَّة.

ولَوْ أَنَّكَ عَرَضْتَ عَلَى هَذَا الطِّفْلِ عَقِيدَةَ الإِسْلامِ وَقُلتَ لهُ: (إِنَّ الَّذِي خَلَقَكَ وخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي هَذَا الْكَونِ هُوَ اللهُ وَحْدَه، فَاعْبُدْه ولا تَعْبد غَيْرَه، وَاللَّهُ غَني، لمْ يَتَّخِذ ابنا)؛ لَفَهِم مِنْكَ هَذِهِ الْعِبَارَة فورا، وَاقْتَنَعَ بِهَا، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَكْثَرِ مِن ذَلِك.

****

الدليل السادس والعشرون

التثليثُ غَرِيبٌ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ عليه السلام، فَلَمْ يَأْمُرِ الْمَسِيحُ بِعِبَادَةِ إلٰه مُثَلَّثِ الأقانيم، ولم تَرِدْ عَنْهُ لَفْظَةُ (التَّثْلِيثِ) و (الأَقَانِيمِ) فِي أَيٍّ مِنَ الأَنَاجِيلِ الأَرْبَعَةِ ولَا فِي الرَّسَائل الثَّلاثَةِ والعِشْرِينَ الْمُلْحَقَة بِهَا، مَعَ أَنَّ التَّثْلِيثَ هُو صُلب عَقِيدَة الْمَسِيحيينَ الآن.

وقَدْ جَاءَ فِي «دَائِرَة الْمَعَارِف الأوروبية باللُّغَةِ الفرنسية» مَا يُؤَكِّد هَذَا، فَقَدْ جَاء فِيهَا عَنْ عَقِيدَة التَّثْلِيثِ: (أَنَّهَا لَيْسَتْ مُوجُودةً فِي كُتُب الْعَهْدِ الْجَدِيد ولا فِي أَعْمَالِ الْآبَاءِ الرَّسُوليين ولا عِنْدَ تَلاميذهم الأَقْرَبِينَ، إِلَّا أَنَّ الْكَنِيسَة الكاثوليكية والْمَذْهَبَ البروتِسْتَانْتِي التَّقْلِيدي يَدَّعيانِ أَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ كَانْت مَقْبولةً عِنْد الْمَسِيحِيين فِي كُلِّ زَمَانٍ).

وجَاءَ فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ لِبُطْرُس البُسْتَاني -وهُو مَسِيحِي-: (لَفْظَةُ ثالوث لا تُوجَد فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّس).

وجاء في «دَائِرَة الْمَعَارِف الكاثوليكية» في المجلد 14 ط 1967م:

(إن نظرية التثليث التي صاغها المسيحيون بعد أكثر من 400 سنة من مولد المسيح؛ خلقت لدينا أزمة بعيدة الأثر، وإن المدافعين عن التثليث يقدمون صورة مهزوزة).

وتقول أيضا: لم تستقر نظرية التثليث (إلٰه واحد في ثاثة أشخاص) استقرارا قويا في حياة المسيحية وفي العقيدة قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، ولم يعرف الآباء الرسل قبل ذلك شيئا يشبه من قريب أو بعيد هذه الفكرة أو هذه النظرية.

(من هنا نرى أن نظرية التثليث لم تكن في عهد النبي عيسى، ولا قام بالدعوة إليها، ولا لها أثر في العهدين القديم والجديد، وهي غريبة عن تصور المسيحيين الأوائل، بل أقحمت على العقيدة المسيحية بعد القرن الرابع الميلادي.

لذلك نجد أن فكرة التثليث ضعيفة للغاية، ولا يقبلها العقل، ولا تتفق مع المنطق، ويلفظها أي إنسان عاقل، ولا تتمشى مع عقيدة التوحيد التي دعا إليها جميع الرسل، والاعتراف بها فضيحة عقلية)[1].

فَالْحَاصِلُ أَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ لَوْ كَانَتْ حقًّا لذُكِرت في الأَنَاجِيل والرَّسَائِلِ الْمُلْحَقَةِ بها، لأَنَّهَا تُعْتَبرُ صُلْبَ وصَمِيمَ عَقِيدَةِ المسيح - بِحَسَبِ اعْتِقَادِ جَمَاهِير الْمَسِيحيين، ولكن الْوَاقِع خِلاف ذَلِكَ تَمامًا، فَهَذِهِ اللَّفْظَة (التَّثْلِيثَ، أَوْ مُثلَّث الأقانيم) لمْ تَرِدْ وَلَا مَرةً واحدةً فِي العَهْدين القديم والجديد، فعُلِم أَنَّ هَذِهِ الْعَقِيدَة دَخِيلَةٌ عَلَى دِينِ المسيح وَلَيْسَتْ أَصِيلةٌ.

[1] بتصرف يسير من: (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 25 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

وهُنَا هَمْسَةٌ فِي آذَانِ القَسَاوِسَة: إِذَا تَبَيَّن لَكُم أَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ بَاطِلَةٌ فَلَا تَفْرِضُوهَا عَلَى النَّاسِ بِالإِكْرَاهِ، لأَنَّ هَذَا خِلافُ الأَمَانَةِ العِلْمِيَّة، وضِدُّ الْحُرِّيَّات الشَّخصيَّة.

كَذلِكَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُوم أَنَّ الزِّيَادَة فِي الدِّينِ مَمْنوعةٌ، لأَنَّ هَذَا يُعْتَبَر تَدَخُّلًا فِي خُصُوصيَّة الرَّبِّ (الله)، فَاللهُ هُو الَّذِي يُشَرِّع مِنْ عِنْدِهِ، وَالْبَشَرُ لَيْسَ لَهُم الْحَقُّ فِي أَنْ يَزِيدُوا أَوْ يُنْقِصُوا فِي الدِّينِ، بَل الْواجِب عَلَيْهِم تَطْبِيقُ الشَّرْعِ كَمَا هُوَ، وَلَا يَزِيدُونَ فِيه ولَا يُنْقِصُون ولا يُحرِّفُون، وبِهَذَا تَحْصُل الْعُبُودِيَّةُ للهِ عَزَ وَجَلَّ، وَإِلَّا صَارَ هَذَا المُحَرِّف مُشَارِكًا للرَّبِّ فِي خُصُوصِيَّة التَّشْرِيع، وَهَذَا نَوعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشرك بالله، الموجب للخلود في النار.

ومع الأسف، فإن (البابا) عند المسيحيين يغير في الدين كما يشاء!

****

الدليل السابع والعشرون

لوْ كَانَ الْمَسِيحُ رَبًّا لَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ بِكُلِّ وَضُوحٍ، وَلَكِنَّ الْوَاقِعِ أَنَّهُ نَهَىٰ عَنْ عِبَادَتِهِ بِكُلِّ صَراحةٍ ووضُوحٍ، فَقَدْ قَالَ كَمَا جَاءَ عَنْهُ فِي «إِنْجِيل مَتَّى ١٥: ٩» وكَذَلِكَ فِي «مُرقُص ٧:٧»:

«وبَاطلًا يَعْبُدُونَني، وهُمْ يُعلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِي وَصَايَا النَّاسِ».

يَقْصِدُ بقوله: (وبَاطِلًا يَعْبُدُونَني) أَنَّ النَّاسَ سَيَعْبُدُونَه، ولكنه بيَّن بوضوح أن عِبَادَتَهُم لهُ باطلةٌ، وأَنَّهَا لنْ تَنْفَعَهُم يَوْمَ الْقِيامَةِ، وبناء عَلَيهِ فَسَيأتي من كان يعبد المسيح يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيَجِدُ أَنَّ عِبَادَته له بَاطِلَةٌ غَيْر مَقْبُولةٍ عِنْد اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَة المُتمثلة في الخلود في النار أبد الآباد، لأنَّه تَرَكَ عِبَادَةَ اللهِ الْمُسْتَحِقُّ للْعِبَادَة وعَبَدَ غَيْرَه، بَلْ وسيتفاجأ بأنَّ المسيح يَتَبرأُ مِن عِبَادَتِهِ لَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي القُرْآن:

﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ علاّم الْغُيُوب (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

[1]. سورة المائدة: ١١٦ - ١٢٠.

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَاتِ بَعْضًا مِمَّا سَيَكُون يَوْم الْقِيَامَة، ومِنْهَا أَنَّه سَيَسأَلُ المسيح عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وهُو أَعْلَمُ بِالإِجَابَة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّه﴾.

فَعِنْدَها سَيُجِيبُ الْمَسِيحُ مُنَزِّهَا اللَّهَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ قائلًا: مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ للنَّاسِ غَيْرَ الْحَقِّ، لم يقع مني إطلاقًا أن أمرتُ الناس بعبادتي أو عبادة أمي، إنْ كُنْتُ أمرتُهم بعبادتي وعبادة أُمِّي فَقَد عَلِمتَه يَا الله، لأنَّه لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ شَيْءٌ، أنت تَعْلَمُ مَا تُضْمِرُه نَفْسِي، ولا أَعْلَم أَنَا مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا ظَهَر أَوْ خَفِي.

ثمَّ سَيَقُول الْمَسِيحُ عليه السلام: يَا رَبِّ، مَا قُلتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَوْحَيْتَهُ إِلَيَّ وَأَمَرْتَنِي بتبليغه للناس، وهو إِفْرَادُكَ بِالْعِبَادَة، وكُنتُ أَنَا شَاهِدًا عَلَيهِم وَعَلَى أَفْعَالِهِم وأقوالِهم لَمَّا كُنْتُ بَيْنَهُم، فَلَمَّا تَوفَّيْتَنِي إِلَيْكَ؛ أي: قَبَضْتَنِي وَاسْتَرْجَعْتَنِي إِلَيْكَ بِرَفْعِي إِلى السَّمَاء، كُنْتَ أَنْتَ الْمُطَّلِعَ عَلَى سَرَائِرِهِمْ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْكَ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

إِنَّ تُعَذِّبْهُم يَا اللَّهُ فَإِنَّهُم عِبَادُك، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِأَحْوالِهِمْ، تَفْعَل بِهِم مَا تَشَاء، إن شئت عذبتهم بِعَدْلِك، وإن شئت غفرت لهم بِرَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيز الَّذِي لَا يُغلب، الْحَكِيم فِي تَدْبِيرِهِ وَأَمْرِه.

عِنْدَ ذَلِكَ سَيَقُولُ اللهُ لِلْمَسِيح عليه السلام: هَذَا يَوْمُ الْجَزَاء الَّذِي ينتفعُ فِيه المُوَحِّدون[1] بتوحيدهم لربهم، وانْقِيادِهم لِشَرْعِه، وصدقهم في نِيَّاتِهِم وأَقْوالِهِمْ وأَعْمَالِهم، فيكون جزاؤهم أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْت قُصُورِها الأَنْهَارِ، مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَبِل الله حَسَناتِهِم، ورَضُوا هم عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُم مِن جَزِيل ثَوابِه، ذَلِكَ الْجَزَاء والرِّضَا مِنْه عَلَيْهِم هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيم.

وفي ذلك اليوم سَيَعْلَمُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ المسيح أَنَّهُ كَانَ مَخْدُوعًا، خَدَعَهُ الشَّيْطَانُ، وخَدَعَه بَشَرٌ مِثْلُهُ كَانُوا يَمْنَعُونَه مِنْ سَمَاعِ القُرْآنِ أَوْ مُجَرَّدِ الاحْتِكَاكَ بِالْمُسْلِمِين لِسَمَاعِ الْحَقِّ، فَذَهَبَ عَمَلُهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَسَيَنْدَم حَين لا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ المسيح لَا يَرْضَى بِعِبَادَتِهِ، بَلْ يَأْمُرُ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَه، وعَدَم الإِشْرَاك به.

وقَوْلُ المسيح كَمَا فِي النَّصِّ السَّابِق: (وهُمْ يُعلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِي مِنْ وَصَايَا النَّاسِ)؛ يَقْصِد بِهَذَا مَا سَيَحْصُل فِي الْمُسْتَقْبِل مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ

[1]. مُوَحّدون: جمع مُوَحِّد، وهو الرجل الذي يعتقد أن الله واحد في ذاته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وضدُّه المُشرك، وهو الذي يجعل مع الله شريكا في ذاته أو في عبادته، فيعبد مع الله غيره.

لَهُ بِنَاءً عَلَى تَعَالِيمٍ مِنْ عِنْد الْبَشَرِ (النَّاسِ) ولَيْسَت مِن عِنْدِ اللهِ، وقَدْ حَصَل هَذَا بِالْفِعْل، وذَلِك لَمَّا انْعَقَد مُؤتمر نيقية عام ٣٢٥م، واتَّفَقُوا عَلَى عَقِيدَة تأليه الْمَسِيح، وبَعْدَه انْعَقَد مُؤتَمَر القُسْطَنْطِينيَّة عَامَ ٣٨١م، واتَّفَقُوا عَلَىٰ عَقِيدَة التَّثْلِيثِ، فَقَرَّر القَسَاوِسَة (الَّذِين هُم مِن جُمْلَة النَّاسِ) وصَايَا لَا تَمُتُّ إِلَى تَعَالِيم المسيح بِصِلَةٍ، بَلْ هِي مِنْ عِنْد أَنْفُسِهم، ودَعَمَهُم فِي فَرْضِها قُسْطَنطين، أَحدُ أباطرة الرومان في ذَاكَ الزَّمَانِ، وفَرَضَها عَلَى النَّاسِ بِالْحَدِيدِ والنَّارِ، فَتَبِعَهُم النَّاسُ بِدَافِعِ الْخَوْفِ أو التَّقْلِيد، بِدُونِ تَمْحِيصٍ أَوْ مُنَاقَشَةٍ، لأن الْمُنَاقَشَة الْعَقْلِيَّة مَمْنوعة!

***

ومن الأدلة الواردة عن المسيح في النهي عَنْ عِبَادَتِهِ بِكُلِّ صَراحةٍ ووضُوحٍ ما جاء في إنجيل متى (10-9/23)، أن يسوعُ كلم الجُموعَ وتلاميذَه قائلا:

«**ولا تَدْعوا أَحدًا أَبًا لَكم في الأَرض**، لِأَنَّ لَكم أَبًا واحدًا هو الآبُ السَّماوي.

ولا تَدَعوا أَحَدًا يَدْعُوكم مُرشِدًا، لِأَنَّ لَكم **مُرشِدًا واحِدًا وهو المسيح**».

****

خلاصة في عقيدة الثالوث

عودا على الدليل السادس والعشرين، فعقيدة الثالوث جاءت بعد رفع المسيح بثلاث قرون، فهي إذن عقيدة مبتدعة مخترعة محدثة، ليس لها وجود في دين المسيح الأصلي، بل بذر بذرتها بولس، ثم ثبتها الإمبراطور ثيودوسيوس الأوّل سنة 381م، وذلك لما حَصَلَتْ خِلافَاتٌ عَقَائِدِيَّةٌ حَوْلَ مَاهِيَّةِ الروح القدس، وعلاقته بالآب والابْنِ، وقَدْ كَانَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ يَعْتَقِدُونَ بإلٰهين اثْنَيْنِ، وهُمَا: الآب والابنُ (الله والمسيح بحسب اعتقادهم)، فَلَمَّا حَصَلت الخلافات الْمُشَارِ إِلَيْهَا حَوْلَ الرُّوحِ القُدُس ومَاهِيَّته قَامَ الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بِجَمْع مِائَةٍ وَخَمْسِين رَجُلًا مِنْ كِبَار رِجَالاتِ الدِّينِ الْمَسِيحِي، مَا بَينَ كَارْدِينال وبطريرك وأُسْقُف، وجَمَعَهم في مَجْمَعِ الْقُسْطَنطِينِيَّةِ الأَوَّلِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَة ٣٨١م، وهُو الْمَجْمَعُ الثَّانِي بَعْد مَجْمَع نيقية، وأَمَرَهُم بِالتَّشَاوُرِ لِحَلِّ الْخِلَافَات الْجَدِيدَةِ، فَخَرَجُوا بِعَقِيدَةٍ جَدِيدةٍ وهِي عَقِيدَة التَّثليث، وهي اعْتِقَادُ أَنَّ الآلهة عِبَارَةٌ عَنْ ثَلاثَةِ أَقَانِيمَ، وهِي أُقْنومِ الآبِ، وأُقْنُوم الابنِ، وأُقْنُوم الرُّوح القدس.

***

وللعلم فإن بولس هو باذر هذه العقيدة الجديدة، فقد أدخل بولس الروح القدس في رسائله ما ختم به رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (14/13) فقال: نعمة الرب يسوع المسيح، ومحبة الله، وشِركة الروح القدس، مع جميعكم.

وقال في كورنثوس الأولى (10/2): لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.

فبولس لم يقرر التثليث صراحة، ولكن المسيحيين فهموها ضمنيا بعد ذلك، واستنبطوها في مُؤتَمَر القُسْطَنْطِينيَّة عَام 381م، واتَّفَقُوا عَلَى إقرارها، ولم تكن موجودة قبل ذلك.

فَالْحَاصِلُ أنَّ عَقِيدَةَ التَّثْليثِ لوْ كَانَتْ حقًّا لذُكِرت في الأَنَاجِيل والرَّسَائِل الْمُلْحَقَة بِها، لأنَّهَا تُعْتَبر صُلْبَ وصَمِيمَ عَقِيدَةِ الْمَسِيح - بِحَسَبِ اعْتِقَاد جَمَاهِير الْمَسِيحيين-، ولَكِن الْوَاقِع خِلافُ ذَلِك تَمامًا، فَهَذِه اللَّفْظَة (التَّثْليث، أوْ مُثَلَّث الأَقَانِيم) لمْ تَرِدْ ولَا مَرةً وَاحدةً فِي العَهْدين القَديم والجَديد، فعُلِم أنَّ هَذِه الْعَقِيدَة دَخِيلةٌ عَلَى دِينِ الْمَسِيح ولَيْسَتْ أَصِيلةً.

***

فائدة: تعريف (الروح القُدُس) عند النصارى هو روح الله، وسُمِّي روحا لأنه مبدع الحياة، ويُدعى روح الله وروح المسيح، وهو إله مثلهما، وهو يقوم بأعمال إلٰهية، ويستحق أن يعبد.[1]

وكلمة الأقانيم الثلاثة أي الثلاث شخصيات متحدات مع بعضها، الأب والابن والروح القدس.

فائدة: العهد القديم ينكر الثالوث

في سفر التثنية (٦: ٤):

«اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إلٰهنَا رَبٌّ وَاحِدٌ».

فائدة: العهد الجديد ينكر الثالوث (المسيح ينكر الثالوث)

في «إنْجِيل مُرْقُص» (29/12): «فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيل: الرَّبُّ إلٰهنَا رَبٌّ واحد».

***

وختاما فَقَد تَحوَّل دِينُ المسيح الصَّافِي الدَّاعِي إلى **التَّوحِيد** (تَوْحِيدُ الْعِبادَة للهِ) إلى التَّثْلِيث، وهو اعْتِقَادُ أَنَّ الآلِهَة ثَلَاثَةُ أَقَانِيم، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هٰذين الاعْتقَادَين.

---

[1] المرجع: (قاموس الكتاب المقدس)، ص 414 . (صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، آذار سنة 1971 م)

الدليل الثامن والعشرون والتاسع والعشرون:

نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة التاريخ

(تقدم ذكرهما في خبر بولس والمجامع الكنائسية في الفصل الثاني)

الدليل الثلاثون

الأدلة القرآنية عَلَى بُطْلَان مَقُولة: إِنَّ المسيح رَبٌّ

خُلاصَةٌ مُفِيدَة فِي بَيانِ حَقِيقَة المسيح عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ من الْكِتَاب الْمُقَدَّس (القرآن)

لَمَّا اشْتَدت غُربةُ الدِّينِ، وتَلاشَت آثار الأنبياء فِي النَّاسِ، وتَرَك النَّاس عِبَادَة الله وحده، وعَبدُوا غَيْرَه ، مِنَ الأَنْبِياءِ والأَحْجَارِ والصُّوَر وغيرها، وفِي سَنَةِ ٥٧٠ م تقريبًا، بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحمَّدَ بنَ عَبدِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلنَّاسِ كَافَة، لِيدُلهم عَلَى الدِّين الصَّحِيح الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِه جَميعَ أَنْبيائِهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلى الناس كافة، بَني إِسْرَائِيل وغَير بَني إسرائيل، العرب وغَيْر الْعَربِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْمَحْفُوظَ مِنَ التبديل والتغيير وهو القُرآنُ، وَبيَّن فيه للنَّاس حَقِيقةَ المسيح الَّتِي انْقَسَم النَّاس فِيهَا إِلَى فِرَقٍ وأَحْزَابٍ وطوائف، وَقَال فِيهِ قَوْل الْحَقِّ، وهُو أَنَّه بَشَرٌ ، ونَبِيٌّ عَظِيمٌ من أَنْبِياءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَرْفَعْه إِلى مَنْزِلة الربوبية كَمَا فَعَلَ النَّصَارى، ولمْ يَخْفِضه ويَقُول إِنَّه قُتِل وصُلب وبُصِق في وجهه، كَما قَالَتِ الْيَهُود والنصارى، بَل بَيَّن الله في القرآن أنه عَصَمَه مِن كَيدِ الْيَهُودِ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ، فَرَفَعَهُ إِليهِ فِي السَّمَاء في مُعْجِزَةٍ إلـهيَّةٍ، وهُو باقٍ فِيهَا ينتَظِرُ نُزوله في آخر الزمان إلى الأرض، لِيَبْقَى فِيهَا حَكَمًا عَدلًا أَرْبَعينَ سَنَةً، ثمَّ يَمُوتُ كَمَا مَاتَ غَيْرُه مِنَ الأَنْبِياء، ثُمَّ يُدْفَن في

الأَرْضِ، ثمَّ يَبْعَثه اللهُ يَوْمَ الْقِيامَة كَمَا يَبْعَث غَيْرَه مِنَ الأَنبياء والبَشَر. قَالَ اللهُ فِي القُرآنِ ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَعَام انظُرْ كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيات ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾[1].

فَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَه اللهُ فِي القُرْآنِ عَنِ المسيح هُوَ الْقَوْلُ الْفَصْل، لأَنَّه رَبُّ الْبَشَرِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوالِهم، وهُوَ الْقَوْلُ الْمُوَافِقُ لِلْعَقْلِ وَالْواقِعِ، فَعِصْمتُه مِنَ الْقَتْل والإهانة مُتوافِقَةٌ مَعَ كَونِهِ نَبيًّا، ورَفْعُه إِلى السَّمَاءِ مُتوافِقٌ مَعَ عُلُو قَدْرِهِ ومَنْزلَتِه، والْقَولُ بِأَنَّه بَشَرٌ ولَيْسَ إلـٰها ولا ابنًا للهِ مُتَوافِقٌ مَعَ الْعَقل، لأَنَّ كُلَّ الأَنْبِياءِ بَشَرٌ كَذلكَ، ولأنَّ اللهَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إلى ابنٍ، فَهُوَ الْغَنِي عَنِ العَالَمِينَ، لا يَلِيقُ بِهِ أَن يَخْلُقَ الْخَلْقَ ثُمَّ يَحْتاج إِلَيهِمْ، وهَذَا وَاضِحٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لِكُلِّ مَن أَرَادَ الْحَقَّ وتَجَرَّد له، وصَدَقَ مَعَ اللهِ فِي الْبَحْث عَنِ الدِّينِ الْحَقِيقي الصَّحِيح.

*** استطراد**

وقد اهتم القُرآنُ الْكَرِيمُ اهتماما بالغا بِشَأنِ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَابْتَدَأَ قِصَّتَه بذكر ولادَةِ أُمِّه مَرْيَمَ، ونَشْأَتِهَا نَشْأَةَ الطُّهْرِ والعَفَافِ والعِبَادَةِ والتَّبَتُّلِ، ثُمَّ ذَكَرَ إِكْرَام اللَّهِ تَعَالَى لَهَا بَأَنْ رَزَقَهَا غُلَامًا بِلا أَبٍ،

[1]. سورة المائدة: ٧٥.

حَيثُ أَرْسَلَ لَهَا أَعْظَمَ الْمَلائِكَة - وهو جبريل - لِيُبَشِّرَها بِهِ، ولِيَنْفُخَ فِيهَا فَتَحْمِلَ بِعِيسَى، ثمَّ ذَكَر رِعَايَةَ اللهِ لَهَا أَثْنَاء حَمْلِها، ورعايته لَهَا أَثْنَاء وَلَادَتِهَا لَهُ، ثُمَّ حَدِيثَهَا مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اسْتَنْكَرُوا إِنْجَابَهَا للولَدِ وهِي لَيْسَت ذَاتَ زَوج، وَكَلامَ عِيسَى فِي الْمَهْدِ بِأَنَّه عَبدُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ مِن عِندِ اللَّهِ.

* ثمَّ بيَّن القُرآن خَبرَهُ بَعدَمَا كَبِرَ لَمَّا بَعَثَهُ اللهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا مؤيَّدًا بِمُعْجِزاتٍ كَثِيرَةٍ تَدلُّ عَلَى نُبُوَّتِه، وأَنَّه رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَأْتِي بتلكَ الْمُعْجزات إِلَّا رَسُولٌ أَيَّده اللهُ بِهَا، حالُهُ فِي هَذَا كَحَالَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِياء.

* ثُمَّ خَتَمَ القُرآنُ أَخْبارَ عِيسَى ابْن مَرْيَم بِذِكْرِ مُحَاولةِ الْيَهُودِ قَتْلَهُ، وَكَيفَ أَنَّ اللَّهَ نَجَّاه مِنْهُم بِمُعْجِزة إلهيَّة لمْ تَحْصُل لنبيٍّ قَبْلَه، وهِي رفعُهُ إِلَى السَّمَاء مُعَزّزًا مُكَرَّمًا، خِلافًا لِمَا يَعْتَقِده النَّصارى والْيَهُود فيه أن الْيَهُود عَرَّوهُ من ملابسه، ووضعُوا الشَّوك عَلى رأسِه، وصلبوه، وقتلوه على خشبة الصليب، حَاشَاه مِن ذَلِك.

* وكَمَا تَقَدَّم، فَقَدْ سَلَكَ الإِسْلامُ فِي الاعْتِقَادِ بِالمسيح مَسْلَكًا وَسَطًا بَينَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى، فَالنَّصارى عَظَّمُوه وأَخْرَجُوه مِنْ حَيِّزِ الْبَشَرِيَّة إلى حَيِّزِ الألوهية والربوبية، فجميعهم تقريبًا يقولون إنه هو الله، وإنه

ابن الله، ومع ذلك فهو واحد من ثلاثة! وبهذا الاعتقاد ناقضوا اعتقادهم الآخر فيه، وهُو أَنَّ الْيَهُود قتلوه وبَصَقُوا على وجهه وصَلَبُوه عَلى خَشَبةِ الصَّليب، إِذْ كَيْفَ يَجْتَمع كَوْنُهُ رَبًّا لِهَذَا الْكَوْن أو ابنًا للهِ مَعَ وقوع هذه الإهانات العظيمة عليه؟!

أَفَلا دَافَعَ اللَّهُ عَنِ ابْنِهِ لَوْ كَانَ ابْنَهُ حَقًّا؟!

أفلا دفع المسيح عن نفسه هذه الاعتداءات لو كان ربا حقا؟!

* والْيَهُودُ - عَلَى الْجَانِبِ الآخَر - اعْتَقدُوا فِي المسيح عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اعْتِقَادًا يُنَاقِضُ اعْتِقَاد النَّصَارَى تَمامًا، فَقَالُوا: إِنَّه ابنُ زِنَا (حَاشَاه مِن ذَلِكَ)، حَسَدًا لهُ أَنْ جَعَلَهُ اللهُ نَبِيًّا، وهُم مَعَ هَذَا لَا يُؤْمِنُونَ بِنُبُوتِهِ.

* ولَكِنَّ طَائفة قليلةً مِنْ أَتْباع عِيسَى ابْنِ مَرِيمَ بَقِيت عَلَى إِيمَانِهَا الصَّحِيح به، وهم الحواريون، فَبَقُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدينه حتَّى بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاء، وهُم بريئون مِن غُلُوِّ[1] النَّصارى فيه، وازْدِرَاء الْيَهُود له.

* وكما تقدم، فقد جاء الإِسْلامُ فَجَلَّى حَقِيقَة الْأَمْرِ، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ ولادة المسيح بِنَحْو سِتَّة قُرون، وذَلِك أَنَّ اللهَ رَحيمٌ بِعِبَادِهِ، لَمْ يَتْرُك

[1]. الغُلُو هو الزيادة في التعظيم.

بَنِي إِسْرَائِيل يَسيرون مُضْطَربينَ بِلا هِدَايَةٍ ولا إرْشَادٍ، بل أرسلَ نَبِيَّه مُحَمَّدًا إِلَىٰ جَميعِ النَّاسِ، بَني إِسْرَائِيلَ وغَير بَنِي إِسْرَائِيل، وأَنْزَلَ عَليه القُرآنَ، وَتَكَفَّل بِحِفْظِهِ مِنَ التَّحْرِيفِ والتبديل الَّذِي طَرَأَ عَلَى التَّوراة والإنْجِيل، والَّذِي تَسَبَّبَ فِي اضْطِراب عَقِيدَة الْمَسِيحيينَ فِي المسيح نَفْسِه، واخْتِلافِهم في فَهم طبيعته، فَبَيَّن القُرآنُ حقيقته، فَلَمْ يَدَعْ شُبْهَةً إِلَّا أَزَالها، ولا حَقِيقَةً إلا أَبَانَهَا، وبَيَّن أنّه بشر كَغَيره مِن البَشر، ونَبِيٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَنْبِياءِ بَني إِسْرَائِيلَ، أَرْسَله اللهُ لَيَأْمُرَهم بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَه وتَرْكِ عِبَادَة مَا سِواه، وأَنْزَل مَعَه الإنْجِيل فِيهِ هُدًى ونُور، وبَيَّن القُرْآنُ أَنَّ اللهَ نَسَخَ شَرِيعَةَ المسيح ومَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاء بِشَرِيعَةِ الإِسْلامِ، وجَعَلَها مُهَيمِنَةً عَلَى مَا قَبْلها مِنَ الشَّرَائِع، وحَفِظَ دُسْتُورَها وَهُوَ الْقُرْآن مِنَ التَّحْرِيفِ والضَّياع.

* وقدْ أَنْكَرَ اللهُ سُبْحَانه فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ على من قال أنه اتخذ وَلَدًا فِي قَوْلِهِ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمـٰن وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجَبَالُ هَدًّا (90) أَن دَعَوْا للرحمـٰن وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي للرحمـٰن أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[1].

[1]. سورة مريم: ٨٨ – ٩٢.

* وقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ اسْمِ عِيسَى فِي القُرآنِ (٢٥) مرةً، وَوَرَدَ ذِكْرُه بِوصْفِه (المسيح) (٩) مراتٍ، كَمَا وَرَدَ ذِكْرُ اسْم أُمِّه مريمَ (٣١) مرةً، كُلُّها في مَقَام الاحترام والتَّعْظِيم والتبجيل اللَّائِقِ بِأَمْثَالِهما مِن الْبَشَرِ، دُونَ اعْتِقَادِ أَنَّ لَهُما شَيْئًا مِنْ صِفَات الربوبية أو الألوهية، بل همَا بَشَرٌ مِثلنا، يَعْبُدَانِ اللَّهَ كَمَا نَعْبُدُه نَحْنُ، ويَرْجُوانِهِ الْجَنَّة والنَّجَاةَ مِن النَّارِ كَمَا نَرْجُوه نَحنُ.

* ليسَ هَذَا فَحَسْب، بَل قَدْ جَاءَ وصْفُ عِيسَى بَأَنه مِن أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرسل، والْعَزْمُ هو الصَّبرُ والْحَزمُ.

وأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسل هُم أَعْظَم الرُّسُل، وهُم خَمْسَةٌ: (نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ ومُوسَى وَعِيسَى ومُحمَّدٌ)، صَلَواتُ اللهِ وسلامه عَليهِمْ جَمِيعًا.

وَصْفُ الله للمسيح بأنه (كلمة الله) وأنه (روحٌ منه)، وبيان معنى ذلك

* وَصَفَ الله المسيح في عدة آيات من القرآن الكريم بأنه كلمة الله ورُوحٌ منه، وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتهوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ

إله وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ له مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفخنا فِيهِ مِن روحنا﴾[3].

* كما جاء وصفُ المسيح عيسى ابن مريم بأنه كلمة الله وروح منه في كلام النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فعَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ محمد (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[4].

وفي رواية: «... أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»[5].

---

[1]. سورة النساء: ١٧١.
[2]. سورة آل عمران: ٤٥.
[3]. سورة التحريم: ١٢.
[4]. رواه البخاري (٣٤٣٥).
[5]. رواه مسلم (٢٨).

* ومعنى كون المسيح كلمة الله هو أن المسيح عيسى ابن مريم خلقه الله بكلمةٍ تَكلم الله بها فكان بها عيسى في بطن أمه من غير أب، وهي كلمة (كُن)، فكان عيسى في بطن أمه، فهذه هي الكلمة التِي خُلِقَ بها عيسى وَوُجِدَ.

* وهذا الإعجاز الرباني في الخلق مماثل لخلق أبينا آدم، فقد خلق الله أبانا آدم بكلمة (كن)، فكان آدم، ولم يكن له أم ولا أب، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[1].

* وأما معنى وصفُ الله للمسيح بأنه (رُوحٌ منه)؛ أي أن روح المسيح مبتدؤها من عند الله لأنه خالقها، فهي من الأرواح التي خلقها الله تعالى، كروح غيره من الناس.

ومن كانت روحه مخلوقة فلا يمكن أن يكون ربا، لأن الرب لا يكون مخلوقا بل خالقا.

* وفي إضافة الكلمة إلى الله في وصف المسيح بأنه (كلمة الله)، وكذلك في إضافة الروح إلى الله في وصف المسيح بأنه (روح منه)؛

[1]. سورة آل عمران: ٥٩.

تنويه إلى شرف المسيح، حيث أضاف الله الكلمة والروح إلى ذاته المقدسة.

* وهَذَا الْحَمْلُ حَصَلَ فِي رَحِمِ مَرْيَمَ مِنْ أُمٍّ بِلا أَبٍ كما تقدم، وهُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، والْحِكْمَة مِنْ خَلْقِهِ بِهَذِه الصُّورة أنْ يَكُون فِي هَذَا دَلالَةٌ وعَلامةٌ للنَّاس على أمرين:

الأول: كمالُ قُدْرَةِ اللهِ الَّذِي نَوَّع فِي خَلْقِهم، فَخَلَقَ أَبَاهُم آدَمَ مِن غَيْرِ ذَكَرٍ ولا أُنْثَى، وخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلا أُنْثَى، وخَلَقَ بَقيَّة الذريَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، إِلَّا الْمَسِيح فإنَّ الله خلقه مِنْ أنْثَى بِلا ذَكَرٍ، فدل ذلك عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، ولَيْسَ هَذَا عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ، فَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أكبر مِن خَلْقِ النَّاسِ ولَكِن أَكْثَرَ النَّاس لا يعلمون.

فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ بَشَرًا مِنْ ذَكَر وأنْثَى كَمَا هُو حَال سَائِرِ الْبَشَرِ ، وقَدْ يَخْلُقُ مِن غَيْرِ ذَكرٍ وأُنْثَى كَحَالَ أَبينا آدَمَ، وقَدْ يَخْلُقُ مِنْ ذَكَرٍ بِلا أُنْثَى، كَحَالِ أُمِّنَا حَوَّاء الَّتي خَلَقَها اللهُ مِن ضِلَع آدم، وقَدْ يَخْلُقُ مِن أُنْثَى بِلا ذَكَرٍ، كَحَالِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وقَدْ يَخْلق مِنَ الرَّجُلِ الْكَبيرِ وَمِنَ الْأُمِّ العَاقِرِ، كَحَالَ الْأَنْبياءِ إبْرَاهِيم وزَكَرِيَّا، وقَدْ لا يخلق مِنَ الذَّكَر والأُنْثَى شَيئًا، لا ذَكَرًا ولا أُنْثَى، كَحَالِ مَنْ بِهِ عُقْم، وقَد يَخْلُقُ مِن الزَّوجِين ذُكورًا بِلا إِنَاتٍ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْهُمَا إِنَاثًا بِلَا ذكور، وقَدْ يَخْلُق مِنْهُما ذُكورًا وإناثًا، فَاللهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُول له: (كُنْ) فَيَكُون ذلك الشيء، كَمَا قَالَ اللهُ فِي القُرآنِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[1].

وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سبحانه بَل لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُل لَهُ قانتون (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾[2].

فالمشيئة الإلٰهية المطلقة هي الحكمة الثابتة في الآيات التي بشر الله بها مريم بولادة عيسى، كما قال الله تعالى عن مريم أنها قالت: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، ومع المشيئة يكون تقديره للخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال بعدها ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُول له كن فيكون﴾[3].

* ومن المعلوم أن كُلَّ مخلوق خلقه الله في الكون سواء كان هذا المخلوقُ تابعًا للنظام الطبيعي في الخلق أو مختلف عنه (مِثل آدم وحواء وعيسى) فإنه يدل على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي أوجده من العدم، وقد أمر الله بالتفكر في هذه الحقيقة الهامة فقال ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون﴾[4]، ومعنى الآية الكريمة: وفي خلق أنفسكم

---

[1]. سورة النحل: ٤٠.
[2]. سورة البقرة: ١١٦ - ١١٧.
[3]. سورة آل عمران: ٤٧.
[4]. سورة الذاريات: ٢١.

دلائلٌ على قدرة الله تعالى، وعِبـَرٌ تدل على وَحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العبادة سواه.

ثم وجه سؤالا فقال ﴿أفلا تبصرون﴾، أي: أغفلتم عن هذا، فصِرتم لا تبصرون حكمة الرب وغايته من الخلق؟!

الثاني: أن خَلْقَ المسيح عيسى ابن مريم بهذه الطريقة -من أم بلا أب- دليل على نبوته، فقد أيَّده الله بمعجزات كثيرة دلت على نبوته، أولها خلقُه بهذه الطريقة، ثم إيتاؤه الإنجيل، ومعجزات أخرى.

*** فائدة**

ذكر الله في القرآن أن أبانا آدم خلقه الله من روحه، وذلك في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى عن آدم:

﴿ثم سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُون﴾[1].

وفي الآية الأخرى جاء ذكر ذلك أيضًا في قصة أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تحية له وتكريما، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين﴾[1].

---

[1]. سورة السجدة: ٩.

فائدة أخرى

جاء في القرآن وصفُ النبي يحيى بن زكريا بأنه صدَّق بالمسيح عيسى ابن مريم، وعبَّر في ذلك السياق عن المسيح بوصفه (كلمة من الله)، وذلك في قوله تعالى عن النبي زكريا:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

ومعنى الآية أن يحيى صدَّق بكلمة من الله وهو المسيح، فهو أوَّلُ من آمن بالمسيح (عليه السلام) وصدقه.

وختامًا، فإن الإيمان بالمسيح على هذا النحو هو الإيمان المقبول، فمن لم يحصل منه ذلك فقد خالف أمر الرب، وعصاه، وكفر به، واستحق دخول النار، لأنه رَدَّ خبر القرآن العظيم.

****

---

[1]. سورة الحجر: ٢٩.

[2]. سورة آل عمران: ٣٩.

المكانة العظيمة للمسيح وأمه في القرآن – دستور دين الإسلام

عند التأمل في القرآن الكريم نجد أنه لا يوجد ذكر لقبيلة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهي قبيلة قريش، ولا توجد سورة تحمل اسم (بني هاشم) وهي الأسرة (الفخذ) الذي ينتمي إليه، أو (بني عبد المطلب)، وهو جده الأقرب.

كما لا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدته، ولم يذكر القرآن اسم أحد من بناته ولا أحد من أصحابه الأقربين، وإنما الأسماء التي تكررت هي أسماء الأنبياء إبراهيم وموسى **وعيسى** وغيرهم كثير.

قال أحد المهتدين إلى الإسلام واسمه جوزيف: (فكم أثر على نفسي هذا الأمر، فعرفت أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند محمد نبي الإسلام كما يقال، وإلا لوضع سور لعائلته ولمحبيه).

بينما على الجانب الاخر نجد أسماء **آل المسيح** مذكورة في القرآن، قال جوزيف: (وذُهلت حين وجدت أن في القرآن الكريم سورة باسم **آل عمران**، وهي اسم عائلة المسيح عليه السلام، ثم تبين لي أن

لفظة (آل) كلمة تخاطَب بها العائلات الكريمة الطيبة، كما تبين لي أن هذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم).

كما يجد القارىء الكريم أن اسم غيره من الأنبياء ذُكر أضعاف ما ذكر اسم (محمد)، فقد ذُكر اسم محمد أربع مرات، بينما ذكر اسم نوح (عليه السلام) 43 مرة، وذُكر اسم إبراهيم (عليه السلام) 69 مرة، وذُكر اسم موسى (عليه السلام) 136 مرة، كما ذُكر اسم النبي **(عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن خمسا وعشرين مرة، كما ورد ذكره باسم (المسيح) تسع مرات، بينما لم يُذكر اسم النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) في القرآن إلا أربع مرات.**

وقد ورد ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن بعدة ألقاب ومسميات وهي:

عيسى ابن مريم، ابن مريم، المسيح، عبد الله، رسول الله.

كما ورد ذكر اسم أمه (مريم) إحدى وثلاثين مرة في القرآن، بينما لم يُذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد (صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أو زوجاته.

كما يجدر التنبيه إلى أن (مريم) قد سُمِّيت باسمها إحدى سور القرآن، بينما لم تُسَمَّ سورة واحدة باسم إحدى بنات النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أو زوجاته.

وقد وردت كل تلك التسميات للمسيح وأمه في القرآن في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بهما، دون اعتقاد أن لهما شيئًا من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يعبدان الله كما يعبده غيرهم، ويرجُوَانه الجنة والنجاة من النار كما يرجوه غيرهم.[1]

وقد بين الإسلام أن المسيح كان على دراية كبيرة بالدين الذي نزل عليه، رغم أنه لم يدرس على علماء اليهود، وما ذاك إلا لأن الله علمه بالوحي، ثم علَّم المسيح تلاميذه، ثم أرسلهم للناس ليُعَلِّموهم ما تعلموه منه.

****

[1]. انظر للاستفادة كتاب «ستون دليلا على تكريم الإسلام لمريم العذراء وابنها المسيح ابن مريم»، وهو منشور في شبكة المعلومات بهذا الاسم.

أسئلة امتحان الفصل الثالث

1. ما هي محاور بناء العقيدة النصرانية؟

2. ما هي محاور هدم المحور الأول من محاور العقيدة النصرانية؟

3. في كتاب (دليل الدعاة) تم نقل عدد من الأدلة من العهدين القديم والجديد على بطلان مقولة (إن المسيح رب)، كم عدد تلك الأدلة؟

4. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد القديم تقرر أن الله واحد في ذاته.

5. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن الله واحد في ذاته.

6. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن المسيح إنسان.

7. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن المسيح يتحلى بصفات البشر.

8. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن المسيح رسول.

9. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن المسيح نبي.

10. اذكر ثلاثة نصوص صريحة من العهد الجديد تقرر أن المسيح معلم.

11. اذكر نص صريح من العهد الجديد يقرر أن المسيح صلى لله.

12. اذكر نصا صريحا من العهد الجديد يقرر أن المسيح نهى عن مقولة (إن المسيح هو الله).

13. اذكر نصا صريحا من العهد الجديد يقرر أن المسيح كان واضحا في كلامه وبيانه للعقيدة.

14. ما معنى كلمة الأب في الإنجيل؟

15. هل تقرر التوحيد في الأديان السابقة لدين المسيح؟ اذكر دليلين على ذلك.

16. كم عدد الأدلة العقلية (المذكورة في دليل الدعاة) على بطلان مقولة إن المسيح رب؟

17. أذكر أقوى عشرة أدلة عقلية في نظرك تدل على أن المسيح لا يمكن أن يكون ربا؟

18. هل نهى المسيح صراحة عن عبادته؟ اذكر الدليل من العهد الجديد.

19. هل ورد في المراجع الثقافية عند النصارى ما يدل على أن كلمة التثليث وكلمة الأقنوم جديدة وغريبة في دين النصارى وليست أصيلة من عهد المسيح؟ اذكر النقل من المرجع نفسه.

20. أذكر خمسة أدلة من القرآن في إنكار أن يكون لله ولد، وفي إنكار أن يكون المسيح ابن الله، وتكفير من اعتقد ذلك.

فهرس الفصل الرابع

محاور نقض المحور الثاني – توارث خطيئة آدم

- قصة أبينا آدم الصحيحة
- عشرون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة
  - نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العقل (المنطق)
  - نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد القديم
  - نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد الجديد
  - نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة التاريخ

(تقدم ذكره في الفصل الثاني في قصة بولس والمجامع الكنائسية)

  - نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة القرآن

أسئلة الفصل الرابع

الفصل الرابع

قصة آدم لما أكل من الشجرة التي حرَّم الله عليه الأكل منها

نهى الله جل ثناؤه أبانا آدم وزوجته أُمُّنا حواء عن أكل ثمار شجرةٍ بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فأغواهما الشيطان بالأكل منها، فأخطآ فأكلا منها، والبشر بطبيعتهم غير معصومين من الوقوع في الخطأ، ثم تابا وطلبا من الله المغفرة فغفر الله لهما ذنبهما، لأن الله رحيم بعباده، يقبل توبة من أخطأ منهم ثم تاب، فإنه يعلم منهم طبيعة الخطأ، فمحا الله عنهما ذنبهما، وانتهى الأمر بحمد الله.

وقد جاء ذكر قصة أكلهما من الشجرة في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى ﴿وَقُلْنَا يا آدم اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين (35) فَأَزَلَّهُمَا الشيطان عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين (36) فَتَلَقى آدم مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُون (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآياتنا أُولَئكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[1].

كما جاء ذكر قصة أكل آدم وحواء من الشجرة في موضع آخر من القرآن في سورة الأعراف، قال تعالى:

﴿وَيَا آدم اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِي عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا ربكما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِين (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُور فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشيطان لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِين (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِين (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُون﴾[2].

كما جاء ذكر قصة آدم وأكلِه من الشجرة في موضعٍ ثالث من القرآن في سورة طٰه، قال تعالى:

---

[1]. سورة البقرة: ٣٥ - ٣٩

[2]. سورة الأعراف: ١٩ - ٢٥.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدم مِن قَبْلُ فَنَسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمَا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشيطان قَالَ يَا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدم رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[1].

شرح الآيات:

نهى الله جل ثناؤه أبانا آدم وزوجته حواء عن أكلِ ثمارِ شجرةٍ مُعَيَّنَةٍ من أشجار الجنة، الله أعلم ما هي تلك الشجرة، فإن الله لم يذكر اسمها، وقد قيل إنها شجرة البُرِّ، وقيل إنها شجرة العنب، وقيل إنها شجرة التين، وعلى كل حال فالعلم بنوع تلك الشجرة لا يترتب عليه عمل وفائدة، والجهل به لا يضر، ولو كان في العلم به خير لأخبر الله به.

وقد حذر الله عبده آدم من إغواء الشيطان، وبَيَّن له أن الشيطان حريص على إغوائه ليُوقعه في معصية الله ليَخرُج بذلك من الجنة، قال تعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، أي إنك إن استمعت إلى إغواء الشيطان فسيكون

[1]. سورة طه: ١١٥ - ١٢٢.

عقاب ذلك الخروج من الجنة، ثم تتعرض للشقاء، بالكدح والعمل في الأرض، بدلا من أن تكون مُنَعَّما في الجنة، قال الله لآدم ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾، أي لك إن بقيتَ في الجنة أن تخلد فيها، لا تجوع، ولا تعرى من اللباس، بل تلبس لباس أهل الجنة من الحرير والديباج، وأنك لا يُصيبك العطش، ولا تضحى، أي لا يُصيبك الحر الشديد.

ولكن الشيطان حسد آدم على هذه النعمة، فأغواه وزوجته، ووسوس لهما، وزيَّن لهما الأكل من الشجرة التي حرَّم الله عليهما الأكل منها، وأقسم لهما أنه ناصح لهما في مشورته عليهما، وهو كاذب في ذلك، ومما قاله لهما ليَمكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمار هذه الشجرة من أجل ألا تكونا ملَكين، ومن أجل ألا تكونا خالدَين في الحياة، فانطلت عليهما خدعة إبليس لعنه الله، فأكلا منها، فغضب الله عليهما، وقال لهما ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، أي ظاهر العداوة؟

فنزع الله عنهما لباسهما، لباس أهل الجنة، عقوبة لهما على تلك الخطيئة، فراحا يغطيان عوراتهما بأوراق الجنة كما قال تعالى ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، أي: فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه على أنفسهما ليسترا ما انكشف من عورتاهما.

فلما علم آدم وحواء بأنهما أخطآ؛ ندما ندما عظيمًا، وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أي مِمَّن أضاعوا حظهم في دنياهم وأُخراهم.

فاستغفرا اللهَ، أي طلبا منه المغفرة وقبول التوبة، فألهمهما الله أن يقولا كلمات فيها دعاء وتذلل واستغفار، فقالاها، قال الله تعالى ﴿فتلقى آدم مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، والكلمات هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين﴾[2]، فلما قالاها تاب الله عليهما وغفر ذنبهما، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ اجتباه رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[3]، لأن الله تعالى رحيم بعباده، يقبل توبة من أقبل عليه طالبًا المغفرةَ والعفوَ كما قال تعالى عن نفسه ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون﴾[4].

ثم بعد ذلك أهبط الله آدم وحواء من الجنة إلى هذه الأرض التي نعيش عليها، ليستقر عليها هو وذريته إلى آخر الدنيا، ثم يبعثهم الله يوم القيامة ويحاسبهم، فمن اختار طريق الإيمان كان مصيره إلى

---

[1]. سورة البقرة: ٣٧.
[2]. سورة الأعراف: ٢٣.
[3]. سورة طه: ١٢٢.
[4]. سورة الشورى: ٢٥.

الجنة، ومن أعرض عن الإيمان كان من أهل النار عياذاً بالله، قال الله تعالى ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ومتاع إِلَى حِين * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُون﴾[1].

[1]. سورة الأعراف: ٢٤، ٢٥.

عشرون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة

الأدلة المنطقية

1. إنه من المتفق عليه بين جميع العقلاء أنه ليس للناس ذنب أصلا في أكل أبيهم آدم من الشجرة، فإنهم لم يَأمروا أباهم بذلك، ولم يُشاركوه في الأكل، وبناء عليه فلو أن الله سيؤاخذ البشر بذنب أبيهم لكان ظالمًا -حاشاه من ذلك-، لأنهم لم يتسببوا في ذلك الخطأ أصلا، فبأي حق يتحملون ذنبًا لم يفعلوه؟

ومن المعلوم أن الله له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العليا، ومن ذلك أن الله نَزَّه نفسه عن الظلم كما قال الله تعالى:

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحَرَّمًا فلا تظالموا.[1]

2. وبناء عليه فإن تحميل الإنسان ذنب غيره يعتبر من القبائح التي يترفَّع عنها البشر، فكيف يليقُ وصفُ رب البشر (وهو الله) بذلك؟ فلو أن أحدًا من الناس حَمَّل شخصًا آخر تبِعاتِ خطأٍ ارتكبه جَدُّهُ

[1]. رواه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

لاعتُبِر ذلك ظلما، لأن الأول لم يكن متسببًا في خطأِ جَدِّهِ، فبأي حقٌّ يُحمَّل تبعاته؟

كيف وهو لم يكن موجودًا على سطح الأرض لما ارتكب جده ذلك الخطأ، فبأي حق يتحمل ذنبه؟!

فإذا كانت مؤاخذةُ الإنسان بذنب غيره تعتبر من السفه والظلم، فكيف يليق وصفُ الله بذلك، الذي هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وهو العليم الخبير سبحانه وتعالى؟!

أم أننا نُحسِن وصفَ الله بأوصاف النقص، ووصفَ أنفسنا بصفات الكمال؟

مقتضى هذا الكلام أن البشر أعدلُ من الله، وهذا لا يقوله عاقل عنده ذرة من علم.

3. يقال أيضًا: طالما أن الذي فَعَل الخطيئة هو آدم، فلماذا لم يُحمِّله الله مهمة تكفير الخطيئة، ويُحمِّلها المسيح عِوضًا عنه؟

أين المنطق والعدل في هذا؟

لِمَ لَم يُصلب آدم بدل المسيح في حينه وانتهى الموضوع؟

هذا هو مقتضى العقل والعدل والإنصاف.

والجواب: لا يمكن أن يفعل الله هذا أصلا، لأنه عادل رحيم حكيم، يضع الأمور في مواضعها.

4. كذلك فإن من مقتضى المنطق والعدل والإنصاف أن تكون كفارة الذنب متكافئة مع الذنب، أيا كان ذلك الذنب، وهذا مبدأ متفق عليه بين العقلاء، فلو أن إنسانًا قطع إشارة مرور - مثلاً - لكانت الكفارة دفع مبلغ مالي معين، أو حبسًا لمدة وجيزة.

أما أن تكون عقوبة المخطئ دفع كل ما يملك، أو حبسه مدى الحياة؛ فهذا لا يُقره قانون إلهي ولا بشري.

إذا تقرر هذا فهل من العدل والرحمة والتكافؤ بين الذنب وبين الكفارة أن تكون كفارة أكل آدم من الشجرة أن يُصلب المسيح ويتعذب ويُهان ويُبصق في وجهه ويوضع الشوك على رأسه؟!

هذا القدر من العقوبة يترفع عنه أقسى البشر، فكيف يصح نسبته إلى رب البشر؟

هذا مع اعتقادنا نحن المسلمين أن المسيح لم يصلب ولم يقتل أصلا، بل رَفَعَه الله إليه في السماء لمَّا هَمَّ اليهود بقتله، وإنما ذكرنا ذلك تَنَزُّلًا لأجل التوضيح.

5. يقال كذلك: هل من العدل والرحمة والتكافؤ بين الذنب وكفارته أن يتحمل بلايين البشر ذنب أبيهم الأبعد (آدم) منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة؟

هذا المبدأ ليس من الرحمة في شيء، وليس من العدل في شيء أبدا، وحاشى الله أن يوقِعَهُ على البشر.

6. كذلك فإن إيقاع الذنوب على الأطفال الرُّضّع يعتبر من الغلظة والقساوة التي لا تليق بالبشر، وتعتبر من الجرائم البشرية في قانون البشر، فكيف يليق نسبة هذا إلى شريعة المسيح، التي تلقاها من رب البشر وهو الله؟

أم أن البشر خير من الله وأرحم منه؟! تعالى الله عن ذلك.

7. الذنب بطبيعته شيء اكتسبه الإنسان بما عملت يداه، لأنه فَعَل شيئًا كان منهيًا عن فعله، أو تَرَك شيئًا كان مأمورًا بفعله، وليس اكتساب الذنب يحصل بالوراثة!

8. لو كان اكتساب الذنوب ينتقل بالوراثة، فلماذا لم تتوارث البشرية إلا هذا الذنب؟!

فآباؤنا وأجدادنا على مر العصور والقرون إلى يومنا هذا يفعلون الذنوب، فلماذا هذا الذنب بالذات هو الذي توارثته البشرية كلهم دون غيره من الذنوب؟!

9. لو كانت عقيدة الخطيئة حقيقة فعلا لكان يكفي المسيح أن يدعو الله أن يُكَفِّر عن البشر هذه الخطيئة وينتهي الأمر.

فلماذا لم يحصل ذلك، لاسيما والنصارى يعتقدون أن المسيح ابن الرب؟

لو كانت عقيدة توارث الخطيئة تنص على أن عيسى سيطلب من الله سبحانه وتعالى ويدعوه لأن يغفر للناس ذنبهم الذي توارثوه (على افتراض حصول توارث الخطيئة)؛ لكان هذا التصرف مقبولًا، فإن دعاء الناس لبعضهم أمر مطلوب، فهذا يدعو الله أن يسامح هذا ويغفر له ذنوبه، وهذا يدعو الله أن يُوَفِّق هذا في الامتحان، وهذا يدعو الله أن يُدخِل ذاك الجنة، وهكذا، أمَّا أن يَقتل الإنسان نفسه ليغفر الله للناس فهذا تصرف لا علاقة له بالمغفرة، وما الذي يحبه الله في هذا التصرف ويجعله سببا للمغفرة؟!

10. يقال أيضًا: لماذا لم يغفر المسيح هذه الخطيئة بنفسه ليُنهي الموضوع؟ لاسيما والمسيحيون يعتقدون بأنه هو الرب.

لماذا تطلبت مغفرة الخطيئة إذلال المسيح لنفسه هذا الإذلال البشع الذي لا تتقبله البهائم؟ (قتلٌ، وبصقٌ على الوجه، وصلبٌ على الخشبة، ووضعٌ للشوكِ على رأسه).

حاشى المسيح أن يحصل له ذلك.

إن كون المسيح لم يَغفر الخطيئة يلزم منه أنه ليس هو الرب، أو أن الخطيئة خرافة وليست حقيقة، أو أن كليهما صحيح، لا المسيح رب،

ولا الخطيئة حقيقية، وهذا هو الحق؛ فالمسيح بشر رسول، والخطيئة غفرها الله لآدم في حينها لما طلب من ربه المغفرة.

11. النصارى يؤمنون بأن الله له صفتان عظيمتان وهما الرحمة والعدل، وهذا اعتقاد صحيح لا غبار عليه، لأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولكنهم يطبقون صفة العدل تطبيقًا غير صحيح، فهم يعتقدون أن تحقيق العدل الإلـٰهي يحصُل بأن تُعاقب جميع ذرية آدم على خطيئته الأولى التي ارتكبها آدم نفسه وأُخرِج بسببها من الجنة، وهي الأكل من الشجرة، هذا هو اعتقادهم وفهمهم لمقتضى العدالة الربانية.

وهذا الاعتقاد غير صحيح، فإن العدل بمفهومه اللغوي لا يحصل بتوريث البشر ذنبًا لم يعملوه إطلاقًا، أين العدل في هذا؟

ثم إن هذا الفعل لا تصح نسبته لأحد من البشر لما فيه من مغالطات، فكيف تصح نسبته لرب البشر؟!

ليس هذا فحسب، بل النصارى يعتقدون أيضًا أن صلب المسيح تتحقق به العدالة الإلـٰهية في العقاب!

أما الرحمة الإلـٰهية فيعتقدون أنها لا تتحقق إلا عن طريق تكفير ذنوب البشر بفضل المسيح لما صلب نفسه وعرَّضها للموت والإهانة الفظيعة – بزعمهم.

أين الرحمة في هذا بالله عليكم؟!

إن التطبيق الصحيح لمبدأ الرحمة يكون برحمة الجميع، المسيح وغيره من البشر، وليس بأن يُغفر للبشر على حساب كرامة المسيح!

هذا الاعتقاد يتناقض قلبا وقالبا مع اعتقاد أن الله رحيم عادل حكيم، يقدر على العفو، ويحب العفو، ويرحم عباده، ويحب نجاتهم.

12. لو افترضنا أن عقيدة توارث الخطيئة صواب؛ فأي طائفة من النصارى هي المستحقة لتكفير هذه الخطيئة؟ هل هي طائفة الكاثوليك أم الأرثوذكس أم البروتستانت أم المَوارِنة أم ماذا؟!

من المعلوم قطعا أن كل طائفة تنظر إلى الأخرى على أنها طائفة ضالة، وربما تعتبرها كافرة خارجة عن دين المسيح أصلا، فإذا كان هذا حقا فمَن الأولى مِن أتباع هذه الفرق بتكفير الخطيئة عنه؟

13. إننا لو افترضنا -مجرد افتراض- أن خطيئة أبينا آدم لم يغفرها الله، وأنها انتقلت عبر الأجيال وتوارثها الناس، وأن على كل إنسان أن يُطهر نفسه منها؛ فإن عدل الله يقتضي أن يقوم كل فرد بمهمة التخلص من ذلك الذَّنب بنفسه، ولا يعتمد على غيره، سواء كان ذلك الغير هو المسيح عيسى ابن مريم أو غيره، فإن الله شرع الأديان لكي يعمل الناس بأنفسهم ويقوموا بالعلاقة المباشرة بينهم وبين خالقهم ورازقهم وهو الله، أما أن يعمل غيرهم بالنيابة عنهم فإن الله لم يشرع ذلك، لأنهم إن فعلوا ذلك فلن تحصل العبودية منهم لله، خالقهم ورازقهم.

14. وهنا يأتي سؤال حَيَّرَ القساوسة المخدوعين بهذه العقيدة كثيرًا وهو: ما هو وضع الناس الذين عاشوا قبل المسيح على مدى قرون كثيرة؟

هم ما آمنوا بالمسيح بأنه مُخلّصهم من الخطيئة لأنهم كانوا قبله، فكيف سيتطهرون إذن من الخطيئة المزعومة؟

أم أن كلَّ من جاء قبل المسيح سيذهبون للجحيم، أم ما هو مصيرهم بالضبط؟

15. كذلك، فلو كانت الخطيئة الأولى مُتَوارَثة فعلا عبر القرون، فلماذا تأخر الرب في إرسال المسيح مخلصًا كل تلك المدة؟!

لو كانت عقيدة الخطيئة حقيقية لأرسل الله المسيح فورًا بعد آدم، أو خلال وقت آدم، ليتحرر الناس منها، ولا يتوارثوها، هذا هو مقتضى صفة الرحمة التي يتصف بها الرب، فلمَّا لم يكن ذلك؛ تبين أن هذه العقيدة وهمية، ليس لها أصل أبدًا.

16. مما ينبغي التفطن إليه في هذا المقام هو حرص يسوع الشديد على تجنب الموت، فلو كان فاديًا أو مخلصًا، لكان قد سلّم نفسه لليهود تحقيقًا لعقيدة الكفارة والصلب التي يؤمن بها المسيحيون

المعاصرون. ولما حاول الفرار منهم والاختباء مع أمه في الجليل أو غيرها.

****

الأدلة النقلية من العهدين القديم والجديد المُثبِتَة لبطلان عقيدة توارث الخطيئة

17. إنك لو قرأت الأناجيل الأربعة والرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها من أولها إلى آخرها لوجدت أنها خالية تمامًا من نَصٍّ واضح وصريح لا يحتمل التأويل أن الناس توارثوا خطيئة أبيهم آدم.

18. بل على العكس من ذلك، فقد نص العهد القديم على أن الله غفر لأبينا آدم زلته، ففي سفر الحكمة، الإصحاح العاشر، أن النبي سليمان قال عن الحكمة:

1 هي التي حفظت أول من جُبِل أبًا للعالم لما خُلِق وحده (أي أبانا آدم)

2 وأنقذته من زلته (أي خطيئته) ...

19. أضف إلى ذلك، فإن المراجع الإنجيلية المتوافرة بيد النصارى بعهديها القديم والجديد تدل على أن الإنسان يحاسب على ذنبه فحسب، ولا يتعدى الذنب صاحبه إلى غيره، لا أبنائه ولا غيرهم، فبناءً على ذلك فذنب أبينا آدم لم ينتقل لأبنائه، فبطلت بذلك عقيدة توارث الخطيئة.

ففي سفر حزقيال (18/19-20):

«وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب؟ أما الابن فقد فعل حقا وعدلا. حَفِظَ جميع فرائضي وعمِل بها فحياةٌ يحيا.

النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بِرُّ البار عليه يكون، وشَرُّ الشرير عليه يكون».

وفي سفر التثنية (٢٤/ ١٦):

«لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل».

20. ومن أدلة بطلان عقيدة توارث الخطيئة أن هذه العقيدة لو كانت حقيقية لدل على ذلك الأنبياء الذين جاءوا قبل المسيح، مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل، ولقالوا لأقوامهم (آمِنوا بالمسيح أنه هو الفادي والمُخَلِّص لتتخلصوا من الخطيئة ولا تذهبوا إلى الجحيم)، بينما الواقع أن هذا غير مذكور عنهم إطلاقا، ولو كانت هذه العقيدة حقيقية لبيَّنوها للناس، لأنه من المعلوم أن وظيفة الأنبياء هي إرشاد أقوامهم لما فيه خير لهم، فإن الأنبياء مرسلون من عند الله، ووظيفتهم هي بيان طريق النجاة من النار لأقوامهم ليجتنبوه، وبيان طريق الوصول

للجنة ليسلكوه، ولا يجوز لهم إخفاء عقيدة الخطيئة -لو كانت حقيقية- إطلاقًا، لاسيما والجهل بها سبب للهلاك الأبدي السرمدي في نار جهنم، وإلا فما الهدف من إرسالهم؟

21. لقد جاء في المصادر الإنجيلية تقرير أن الله أرسل المسيح رسولًا ومُعَلِّمًا، وليس فاديًا ومخلصًا، وهذا دليل كافٍ لنقض هذه العقيدة وإثبات أنها خرافة، وذلك في إنجيل يوحنا (٣/ ١-٢):

«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيسًا لليهود.

هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّمًا، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه».

فقول رئيس اليهود للمسيح: (يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّمًا)، فهنا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود رسولا ومعلما، لأن الرسول يُعلّم الناس الذين أُرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير.

ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديًا، أو مُخَلِّصًا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أقر هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئًا في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّم، وهي أن يُقرَّه على الصواب، ويصلح له الخطأ، وإلا لم يكن معلمًا على الحقيقة.

****

22. عقيدة الكفارة في نظر مفكري الغرب المنصفين

قال Arthur Weigall في كتابه (الوثنية في مسيحيتنا): (إن نظرية الكفارة بالدم التي ننادي بها **لا نستطيع أن نتقبلها بعد الآن**؛ لأنها نظرية بغيضة، فليس من المعقول أن المسيح استرضاءً لله اضطر إلى أن يُضحي بنفسه، وما يتبع ذلك من أسباب روحانية مفتعلة، وهذه الحُجَّة تثير غضبنا، كما تجعلنا نجفل من الاعتقاد في الله كقوة عظمى، أو الاعتقاد في المسيح بأنه كان مُحبًّا للبشرية رحيما بها).[1]

ويوافقه في ذات الرأي البروفيسور Gruden حيث يقول: (إنَّ الحُجَّة القائلة بأن المسيح من أجل تضحيته بنفسه تعذَّب عذابًا شديدًا على يدي الله؛ نظرية بشعة تجعلنا نشعر بغثيان عند التفكير فيها تفكيرًا علميا حديثاً؛ وبالتالي تكون نظرية الكفّارة تميل نحو الشر، **كما أنها**

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 32 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

فكرة وثنية، ولعلها أظهر ما تركته الوثنية من بصمات في العقيدة المسيحية).[1]

***

خلاصة

وبناء على ما حصل في هذه المجامع على يدي القساوسة؛ تبين أنها تشرع ما تريد، وكأنها إنجيل مفتوح، يضيف إليه القساوسة ما يريدون، ويحذفون ما لا يريدون، ويحرفون ما يريدون، ويكتمون ما لا يريدون.
ومن هنا يتبين فضل الإسلام، الثابت في تشريعاته كما هو، المكتمل في تعاليمه، لأنه ثابت في نصه القرآني كما هو، لا يتبدل ولا يتغير، كما قال الله تعالى ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾، وقال ﴿لا مبدل لكلمات الله﴾، وقال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

***

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 32 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة التاريخ

23. (تقدم ذكره في الفصل الثاني في قصة بولس والمجامع الكنائسية)

نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة القرآن

24. أيها القارئ الكريم: قد بين الله في عدة مواضع من كتابه المقدس المحفوظ وهو (القرآن الكريم) أن كل إنسان يحمل حسناته وسيئاته، فإذا كان يوم القيامة تُجازى كل نفس بما كسبت.

قال الله تعالى ﴿كل نفس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة﴾[1]، أي أن كل إنسان مُرتَهنٌ بعمله يوم القيامة، إن فعل خيرًا جازاه الله خيرًا، وإن فعل شرا عاقبه الله على ما فعل، أو سامحه وعفا عنه، لأن الله غفور رحيم، وبكل حال فإن الله لا يؤاخذ أحدًا بذنب غيره، وهذا هو مقتضى العدل والإنصاف.

وقال الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2].

وقال الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[3].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي ربًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَرْجِعُكُم فَينبئكم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون﴾[1].

---

[1] سورة المدثر: 38 .

[2] سورة البقرة: 286 .

[3] سورة الزلزلة: 7 – 8 .

وقال تعالى ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

ومعنى قوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الوِزر هو الإثم، والمعنى: لا تتحمل نفسٌ إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل ما فعلته من إثم.

25. كذلك فقد علَّمَنا الله أن نطلب منه المغفرة إذا نحن أذنبنا، ووعدنا بالمغفرة إن كنا صادقين في ذلك، كل هذا لتحقيق العبودية له، وليكون الاتصال بيننا وبينه مباشرًا، ولم يطلب الله من نبيه عيسى إطلاقًا قتل نفسه لتكفير خطايا الناس، فهذا الاعتقاد يتنافى مع صفات الله سبحانه وتعالى (الرحيم، الغفور، التواب، الحكيم، العادل).

قال الله تعالى في القرآن في حث الناس على التوبة من الذنوب ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُون * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُون * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ

---

[1] سورة الأنعام: 164 .

[2] سورة الإسراء: 15 .

آياتي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِين * وَيَوْمَ القيامة تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسَوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنم مَثْوًى لِلْمُتَكَبرِين * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون﴾[1].

وقال الله تعالى في وصف المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُون * أُولَئكَ جَزَاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين﴾[2].

وبناء على ما تقدم من الآيات الكريمات؛ فما على الإنسان إذا ارتكب ذنبًا (سرقة، كذبًا، زنا، شُرْبَ خمر، أو غير ذلك)، وأحس بالذنب، ورغب في التوبة؛ فما عليه إلا أن يطلب من الله المغفرة ويكون صادقًا في ذلك، بأن يعزم على عدم العودة، ويكون نادما على ارتكاب الذنب، ويُقلع عن الذنب، فإذا تحققت هذه الشروط الثلاثة فإن الله سيفرح بتوبته، بل سيُبدِّل سيئاته إلى حسنات، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبالهم عليه، ويُحب أن يغفر لهم، ولو كانت ذنوبهم مثل الجبال، قال الله في القرآن ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[3]، وقال ﴿إِلَّا

---

[1] سورة الزمر: 53 - 61 .
[2] سورة آل عمران: 135 - 136 .
[3] سورة النساء: 28 .

مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

26. والحق الذي لا شك فيه أن أبانا آدم بشر مثلنا، وأمنا حواء بشر مثلنا، والبشر من طبيعته الخطأ، فلما أخطآ وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها؛ استغفرا ربهما وتابا إلى الله فغفر الله لهما وانتهى الموضوع، ولم تبق الخطيئة في ذمتهما، فضلا عن انتقالها إلى ذريتهما عبر الأجيال والقرون، ثم تكفيرها بموت المسيح على الصليب لتحصل المصالحة بين الله وبين خلقه كما يقولون، هذا كله من تحريف بولس في دين المسيح، وليس لله حاجة في هذا.

والذي تقرره شريعة الإسلام هو ما تقدم، مِن أن الله غفر لآدم وحواء وانتهى الموضوع في حينه، وليس هناك ذنب موروث، وليس هناك عداء بين الله وبين خلقه بسبب هذه الخطيئة.

****

[1] سورة الفرقان: 70 .

أسئلة امتحان الفصل الرابع

1. اذكر نبذة عن قصة أبينا آدم لما أكل من الشجرة بشكل موجز.

2. كم عدد الأدلة العقلية (المذكورة في دليل الدعاة) على بطلان عقيدة توارث الخطيئة؟

3. هل عقيدة توراث الخطيئة تنافي عدل الله ورحمته؟

4. اذكر خمسة من الأدلة الدالة على بطلان عقيدة توراث الخطيئة بدلالة العقل.

5. كم عدد الأدلة النقلية (المذكورة في دليل الدعاة) على بطلان عقيدة توارث الخطيئة؟

6. هل يدل العهد القديم على بطلان هذه العقيدة؟ وضح ذلك

7. هل عقيدة توراث الخطيئة باطلة بالنص القرآني؟ وضح ذلك.

فهرس الفصل الخامس

محاور نقض المحور الثالث – صلب المسيح

ثلاثون دليلا على بطلان عقيدة صلب المسيح

- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العقل (المنطق)
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد القديم
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد الجديد
- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة التاريخ

(تقدم ذكره في الفصل الثاني في قصة بولس والمجامع الكنائسية)

- نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة القرآن

أسئلة الفصل الخامس

الفصل الخامس

ثلاثون دليلا على بطلان عقيدة صلب المسيح

الأدلة العقلية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

1. فإنه بحسب اعتقاد النصارى (المسيحيين) فإن المسيح ابن الله، وهذا الاعتقاد فيه تناقض مع عقيدة الصلب، فإنه من المعلوم أنَّ كُلَّ أَبٍ يُحِب ابنه، ومن المعلوم أيضًا أن كل أب يرحم ابنه ويدافع عنه إذا أصابه ضُر، وبناء على هذا فلو كان المسيح ابن الله حقا فإن الله لن يقبل بأن تحصل مغفرة ذنوب الناس بصلب ابنه وقتله وتعريضه لأعظم الإهانة، كالبصق على وجهه ووضع الشوك على رأسه، هذا مستحيل، لأن إهانة الابن تعود على الأب أيضًا، هذا على افتراض صحة هذه العقيدة.

فتبين من هذا أن هذين الاعتقادين متناقضان، فلا يمكن أن يكون المسيح ابن الله ثم يجعل الله تكفير خطايا الناس مرهونًا بأذية ابنه

وإهانته، فإما أن يكون المسيح ليس ابنًا لله، وإما أن تكون عقيدة الصلب خرافية لم تحدث أصلا، وإما أن تكون العقيدتان كلاهما خرافيتين.

2. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أن الشخص العادي إذا تعرض ابنه لمثل هذه الإهانة الفظيعة فإنه ستقوم قائمته، وربما يُضحِّي بحياته لإنقاذ ابنه، فكيف لم يحصل هذا من الله وهو القوي، الذي خلق الكون كله، ويدبر الكون كله، فلم يأمر بسحق كل المتآمرين على المسيح؟

لِمَ لَم يأمر الله الملائكة أن تدفع عن المسيح هذا الشر؟ لاسيما والمسيحيون يعتقدون أن المسيح ابن الله؟

طبعا نحن نقول هذا على افتراض أن قصة الصلب وقعت فعلا، وأنها ليست خرافية!

3. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أنه لو افترضنا أن عقيدة الخطيئة وقعت فعلا، وأن الناس توارثوا فعلا خطية أبيهم آدم؛ ألم يجد الرب (الله) وسيلة لتكفيرها إلا هذه الطريقة القاسية والمهينة، بأن يُصلب المسيح (الذي يقول المسيحيون إنه ابنه) ويُقتل ويهان أمام الناس، ثم تنشرُ هذه الإهانة في كتب التاريخ على مر القرون؟

هذا على افتراض صحة هاتين العقيدتين، عقيدة الخطيئة الأولى، وعقيدة صلب المسيح.

4. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أن وسائل الإعلام لو حاولت نقل مثل هذه القصة في حق ابن رئيس دولة أو مَلِكٍ لما صدق الناس ذلك، فكيف يُصدقونها في حق شخص يدَّعون أنه ابن الله، خالق السماوات والأرض والكون كله؟!

5. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أنه لو كان المسيح ربًّا فمن الذي كان يدبر أمور الكون في الأيام الثلاثة التي حصل فيها صلبه ثم موته - على افتراض صحة قصة صلبه ثم موته؟!

6. ويا عجبا! أيُّ قبر اتَّسع لربِّ هذا الكون ليبقى فيه ثلاثة أيام بعد صلبه وقتله، محاطًا بالتراب من جميع الجوانب؟

كيف يتسع القبر الصغير الضيق الأرجاء لرب العالمين؟

من المعلوم أن الله أكبر من كل شيء، فكيف يسَعُهُ قبر ضَيِّق، ثم يُحيطه التراب من جميع الجهات؟! كيف؟

إن الذي يعتقد هذا الاعتقاد فإنه في الحقيقة يناقض نفسه!

7. إن القول بأن المسيح رب أو ابن الرب يتناقض مع القول بأنه مات مصلوبا، لأن الصلب والموت صِفَتي نقص عظيمة لا تليقا بمن كان ربا، بل تليقا بالبشر.

طبعا نحن نقول هذا مع اعتقادنا الجازم بأن المسيح بشر رسول، رفعه الله إليه مُعزّزًا مُكَرمًا، وحماه من الصلب والقتل والإهانة.

8. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أن رب العالمين (الله) غفور رحيم، يغفر للناس ذنوبهم إذا تابوا مهما عَظُمَت تلك الذنوب، بل إنه يغفر لأناس لم يتوبوا، وهو غني عن أن يُعَذِّب نبيًّا عظيمًا ويعرضه للقتل والإهانة والصلب (بحسب اعتقاد من يعتقد ذلك) لتحصل المغفرة لقوم آخرين لم يروا المسيح ولا آدم، وليس لهم ذنب أو مشاركة في ذنب أبيهم آدم أصلًا.

9. إن المنطق العقلي يؤكد أن عقيدة تحرير الناس من الخطيئة عن طريق صلب المسيح ليست صحيحة، لأنها تتضمن معاقبة شخص على خطأ شخص آخر، وهذا ليس من العدل ولا الرحمة في شيء، ولا يمكن أن يكون من تعاليم الرب الرحيم بخلقه.

ومن أقرب الأمثلة على هذه العقيدة أن يقوم رجل بخلع أحد أسنانه لكي يخفف ألم الأسنان الذي أصاب أحد أبنائه، فإذا كان هذا الفعل ليس من العقل في شيء، فكذلك عقيدة التحرر من الخطيئة ليست

من العقل في شيء، إذ لا يليق بالله تعالى أن يرسل المسيح ليموت مصلوبا مقتولاً، لأن هذا يتنافى مع صفتي العدل والرحمة، مما يدل على أن هذه العقيدة خرافية ومِن صنع البشر، ولم يُقرُّها الرب إطلاقا، يؤكد هذا أنها لم ترد في الأناجيل، بل هي من تعاليم اليهودي بولس الذي انقلب فجأة من عدو لَدُود للمسيح وتعاليمه وتلاميذه إلى رجل ادعى أنه نبي بعد رفع المسيح بسنوات.

10.كذلك فإن من مقتضى المنطق والعدل والإنصاف أن تكون كفارة الذنب متكافئة مع الذنب، أيا كان ذلك الذنب، وهذا مبدأ متفق عليه بين العقلاء، فلو أن إنسانا قطع إشارة مرور - مثلًا - لكانت الكفارة دفع مبلغ مالي معين، أو حبسًا لمدة وجيزة.

أما أن تكون عقوبة المخطئ دفع كل ما يملك أو حبسه مدى الحياة فهذا لا يُقره قانون إلهي ولا بشري.

إذا تقرر هذا فهل من العدل والرحمة والتكافؤ بين الذنب وبين الكفارة أن تكون كفارة أكل آدم من الشجرة أن يُصلبَ المسيح ويتعذب ويُهانَ ويُبصقَ في وجهه ويوضعَ الشوك على رأسه؟

هذا الفعل يترفع عنه أقسى البشر، فكيف يصح نسبته إلى رب البشر؟

هذا مع اعتقادنا كمسلمين أن المسيح لم يصلب ولم يقتل، بل رفعه الله إليه في السماء لمَّا هم اليهود بقتله، وإنما ذكرنا ذلك تَنَزُّلًا لأجل التوضيح.

11. يقال كذلك: هل من العدل والرحمة والتكافؤ بين الذنب وكفارته أن يتحمل بلايين البشر ذنب أبيهم الأبعد (آدم) منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة؟

هذا المبدأ ليس من الرحمة في شيء، وليس من العدل في شيء أبدا، وحاشى الله أن يوقِعَهُ على الناس.

فإذا كانت عقيدة توارث الخطيئة خرافة؛ فما يترتب عليها فهو خرافة أيضا، وهو عقيدة صلب المسيح وقتله.

12. ومن العجيب عند المسيحيين أنهم أبغضوا اليهود لأنهم قتلوا المسيح - بحسب اعتقادهم-، واستمر هذا البغض لقرون عديدة بعد رفع المسيح، مع أن المتوقَّعَ ألا يكون ذلك البغض، لأن قتل المسيح وصلبه ينبغي أن يكون مُحَبَّبًا إليهم لكونه كان سببًا لتخليصهم من الذنب الأصلي الذي يعتقدونه.

13. ومن دلائل بطلان عقيدة حصول الفداء بصلب المسيح وقتله أن هذا يلزم منه انفتاح باب ارتكاب الذنوب على مصراعيه، لأن المُعتقِد لهذه العقيدة سيظن أنه بمجرد الإيمان بالمسيح على هذا الوجه فإن ذنوبه ستُغفر، ولو قتل مليون نفس، بدون حاجة إلى التوبة من الذنوب والإقلاع عنها.

كما أنه سيعتقد أنه ليس بحاجة إلى الإتيان بالأعمال الصالحة الماحية للذنوب ليحصل التكفير، من صلاة وزكاة وصوم وحسن خلق وغيره من الأعمال الصالحة، فباب الإجرام سيكون إذن مفتوحا له على مصراعيه، وباب الاغتصاب سيكون مفتوحا على مصراعيه، وباب السرقة سيكون مفتوحا على مصراعيه، وهَلُمَّ جرًّا!

وهذا الاعتقاد باطل عقلا، ومناقض لحكمة رب العالمين في الشرائع السماوية في أن يكون الناس أبرارا مطيعين لربهم، كافِّين عن المعاصي والشرور.

14. ومن دلائل بطلان عقيدة حصول الفداء بصلب المسيح وقتله أن الكنيسة تمنح صكوك الغفران مقابل مبلغ مادي، من أجل أن يَخلُص دافع المال من عذاب الآخرة.

وهذا الفعل من الكنيسة يناقض عقيدة التحرر من الخطيئة، والتي تنص على أن المسيح افتدى البشرية من جميع الخطايا (خطيئة آدم وغيره) بمجرد صلبه وموته، فما الداعي للكنيسة إذن لأخذ المال من الناس؟!

****

الأدلة النقلية من العهدين القديم والجديد المثبِتة لبطلان عقيدة صلب المسيح

15. من دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أن المصادر الإنجيلية نفسها تقرر بطلان دفن الرب في قبر، (مع اعتقادنا القطعي أن المسيح ليس ربًّا، بل هو بشر مثلنا)، ففي «أعمال الرسل» (7/48-49):

«لكن العَلِيُّ (وهو الرب) لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيدي، كما يقول النبي.

السماء كرسي لي، والأرض موطئٌ لقدمي، أيُّ بيت تبنون لي؟».

16. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أن قصة الصلب تتناقض مع ما هو مقرر في المصادر المسيحية، فإن العهد القديم ينص على أن المصلوب ملعون، فهل يليق اللعن بنبي عظيم مثل المسيح؟

ثم كيف يصح بالعقول المستقيمة والضمائر الحية أن يكون المسيح ملعونا مع كونهم يعتقدون أنه رب؟!

جاء في التوراة في سفر التثنية (٢١: ٢٢-٢٣):

«وإذا كان على إنسان خطيئة حَقُّها الموت فقُتِل وعُلّق على خشبة، فلا تثبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المُعلَّق ملعونٌ من الله. فلا تُنَجِّس أرضك التي يعطيك الرب إلـهك نصيبا».

وبناء على هذا؛ فلو صح أن المصلوب ملعون لبطلت قطعا عقيدة أن المسيح قد تعرض للصلب، لأنه لا يستقيم أن يكون المسيح مصلوبا ملعونًا.

17. ومن العجيب أن المسيحيين يقرءون في التوراة أن المُعَلَّق ملعون من الله، ثم هم يجعلون الصليب شعار دينهم ويعظمونه تعظيمًا كبيرًا، ويحلفون به، ويعلقونه على صدورهم، في حين أن العقل والعاطفة تقتضيان أن يُحرقوا الصليب حيث وجدوه، ويُكَسروه ويُضَمِّخوه بالنجاسة، لأنه صُلِبَ عليه إلـههم ومعبودهم، وأُهينَ عليه وفُضِحَ وأُخْزِي، هذا بحسب اعتقادهم.

18. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح ما جاء في «إنجيل لوقا» (22/41-42) أن المسيح لم يكن راضيا عن أن يُقتل، وكان حريصًا على النجاة من القتل، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح أن يقال إنه نزل فاديًا ومُخَلِّصا؟

لو كان المسيح فاديًا ومخلصًا لَسَلَّمَ نفسه لليهود بكل رضًا ليُصلب، ولِتتحقق عقيدة تكفير الخطيئة والصلب التي تنص عليها المسيحية

المعاصرة، ولَمَا حاول الفرار منهم والاستخفاء مع أمه في الجليل وغيرها.

اقرأ معي أيها المثقف وأيتها المثقفة هذا النص من إنجيل لوقا (42-41/22) الذي يبين حرص المسيح على النجاة من القتل:

«وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلًا: يا أبتاه، إن شئت أن تُجيز عني هذه الكأس[1]. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك».

وللعلم، فيوجد مثل هذا النص في إنجيل مرقص (36-35/14) وكذلك متى (٢٦/ ٣٩).

19. ثم فكر معي أيها القارئ في النص السابق، أيهما أقرب لرحمة الله ولطفه، أن يستجيب الله دعاء المسيح فيتجاوز به كأس الموت، ويسلَم من شرهم، أم يُسْلِمه لأعدائه ليهينوه ويصلبوه ويقتلوه ويُريقوا دمه؟!

[1]. تُجيز الكأس، أي تتجاوز بكأس الموت عني، فلا أتعذب ولا أُقتل.

20. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح أنه قد جاء في سفر أشعياء (11/43) أن الله هو المُخَلِّص، وليس غيره مخلِّص، لا المسيح ولا غيره:

«أنا أنا الرب، وليس غيري مُخَلِّص».

فإذا لم يكن المسيح مخلصًا فقد بطلت هذه العقائد الثلاث جملة واحدة؛ عقيدة الخطيئة الأولى، وعقيدة التحرر منها، وعقيدة الصلب.

21. قاصمة الظهر – الإنجيل يُقرر أن الله رَفَعَ المسيح دون أن يَمسَّهُ أدنى أذى

لما اشتد اضطهاد اليهود للمسيح، وشعر بخطر القتل؛ أخبر قومه بأن الله سيرفعه إليه، يريد بهذا طمأنتهم بأن أعداءه من اليهود لن يخلُصوا إليه ويقتلوه أو يُلحقوا به أدنى أذى، وهذا الإخبار من المسيح للحواريين قد جاء ذكره في إنجيل متى (٩: ١٥) حين قال المسيح لتلاميذ يوحنا:

«فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العُرس أن ينُوحوا ما دام العريس معهم؟ ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون».

فتأمل أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة الكريمة قوله (حين يُرفع العريس)، ولم يقل (حين يُقتل) أو (حين يصلب)، ولا غير ذلك من العبارات التي اعتمَدت عليها المسيحية المعاصرة في عقيدة أن المسيح قُتِل وصُلِب.

***

ولمزيد من الفائدة، فهذا متوافق أيضًا مع ما جاء في يوحنا (14/3): «وكما رَفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان».

ليس هذا فحسب، بل هناك دليل ثالث على رفع المسيح في العهد الجديد، ففي إنجيل يوحنا أن المسيح أخبر قومه بطريق الإشارة أن الله سيرفعه، وأنه لن يقتل ولن يصلب، ففي إنجيل يوحنا (٧ / ٣٢ - ٣٦):

«سمِع الفريسيون[1] الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خُدَّامًا ليُمسكوه، فقال لهم يسوع:

أنا معكم زمانًا يسيرًا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا.

[1]. الفريسيون هم طائفة من غلاة اليهود المتعصبين والمتشددين بالمظاهر الخارجية للورع والتدين، ومنها التقيد بحرفية الشريعة أو الناموس مثل الامتناع عن أداء أي عمل يوم السبت، أو مخالطة غير اليهود، إذ يُعتبرون نجسين، وقد آذوا المسيح.
نقلا من «تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، ص ٥٩، المؤلف: عبد الوهاب بن صالح الشايع، ط ١.

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مُزْمِعٌ[1] أن يذهب حتى لا نجده نحن؟

لعله مُزْمِعٌ أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويُعَلِّم اليونانيين.

ما هذا القول الذي قال: ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟»

فقول المسيح (أمضي إلى الذي أرسلني) وقوله بعدها (ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) فيه دلالة صريحة على أن المسيح سيرفعه الله إلى السماء ولن يبقى على الأرض، لأن الله في السماء، وبناء عليه فإن الشخص الذي صلبوه وقتلوه ليس هو المسيح قطعا.[2]

كذلك فلو كان المسيح هو المقتول لكان موجودًا، ولكان مكانه معروفًا أمامهم قد وصلوا إليه، واليهود سيكونون قد طلبوه ووجدوه وصلبوه وقتلوه - على زعم من يقول ذلك - فكيف يستقيم هذا مع قول المسيح (ستطلبونني ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا).

---

[1]. مُزمِعُ أي عازم.

[2]. فائدة: في قول المسيح (أمضي إلى الذي أرسلني)؛ دليل صريح على أنه رسول من عند الله.

والمسيح صادق فيما يقول، لن يكذب على الناس، لأن الكذب صفة رديئة، حاشى الأنبياء أن يتصفوا بها.

وبعبارة أخرى فكلام المسيح لا يتحقق إلا بواحدة من اثنتين، إما أن يُخبر بخبر كاذب، وهو أنهم يطلبونه ولا يجدونه، ثم تتبين الحقيقة في أنهم طلبوه ووجدوه، وهذا مستحيل لأن المسيح لم ولن يكذب.

أو يكون المسيح صادقًا، فطلبوه ولم يجدوه، وهذا لا يتحقق إلا برفعه إلى السماء، وحلول شخص آخر مكانه يشبه المسيح، فقتله اليهود ظنًا منهم أنه هو المسيح.

فالحاصل من هذا كله أن المسيح ليس هو المقتول، بل المقتول شخص آخر، وأما المسيح فرفعه الله إليه في السماء، في معجزة عظيمة، وكرامة رفيعة، لم تحصل لنبي قبله، فأعزَّه الله وخذل أعداءه.

22. ومن الأدلة على رفع المسيح قول المسيح لليهود: «أَنا ذاهِب، سَتَطلُبوني ومعَ ذلك تَموتونَ في خَطيئَتِكم. **وحَيثُ أَنا ذاهِبٌ فأَنتُم لا تَستَطيعونَ أَن تَأتوا**».

فقالَ اليَهود: «أَتُراهُ يَقتُلُ نَفسَه؟ فقد قال: حَيثُ أَنا ذاهِبٌ فأَنتُم لا تَستَطيعونَ أَن تَأتوا».

قال لَهم: «أَنتُم مِن أَسفَل، وأَنا مِن عَلِ. أَنتُم مِن هٰذا العالَم وأَنا لَسْتُ مِنَ العالَمِ هٰذا».

وفي (16/ 32 – 33): ها هي ذي ساعَةٌ آتية، بل قد أَتَت. فيها تَتفرَّقون فيَذهَبُ كُلُّ واحِدٍ في سَبيلِه وتَترُكوني وَحْدي. ولَستُ وَحْدي، فإِنَّ الآبَ مَعي.

قُلتُ لَكم هٰذهِ الأَشياء لِيَكونَ لَكُم بِيَ السَّلام. تُعانونَ الشِّدَّةَ في العالَم، ولٰكِن ثِقوا إِنِّي قد **غَلَبتُ العالَم**».

والشاهد من هذا النص أن المسيح سيذهب لمكان لا يستطيع أعداؤه أن يدركوه ويقتلوه، وهو السماء قطعا، ولو كان المسيح في الأرض وقتلوه لما تحقق هذا النص، وهذا هو الواقع.

ثم من كان الله معه، وغلب العالم؛ فإن أعداؤه لن يصلبوه ويقتلوه قطعا، وإلا فإن المسيح سيكون كاذبا في كلامه، وحاشاه من ذلك.

23. كما أن هذه العقيدة باطلة بالنص الإنجيلي، فإن يَسُوعُ قَالَ لليهود: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ السقماء. ما جئت لأدعو أبرارا، بل خطاة.» (مرقس ٢: ١٧).

فهذا النص يفيد أنه لا بد من التوبة من الخطايا، ولو لم يكن هناك حاجة للتوبة من الذنوب لما قال المسيح ذلك، بل لقال يكفي الإيمان

بعقيدة الفداء والصلب لتغفر الذنوب تلقائيا، ولا حاجة لأن يقلع الخطاة من الذنوب.

وفي رسالة يعقوب، الإصحاح الثاني:

24 إنكم ترون أن الإنسان بالأعمال يتبرر، لا بالإيمان وحده.

26 فكما أن الجسد بلا روح ميت، كذلك الإيمان بلا أعمال ميت.

التعليق:

هذا دليل آخر على بطلان عقيدة حصول الغفران للذنوب تلقائيا بمجرد الإيمان بصلب المسيح، فهو يقرر أن المخطىء يجب أن يتوب ويطلب من الله مغفرة ذنوبه، وأن يعمل الأعمال الصالحة لينال المغفرة، وإلا كان كالجسد الميت.

24. ومن دلائل بطلان عقيدة صلب المسيح ما جاء في إنجيل يوحنا (١٦ :٣١) أن المسيح قال لأتباعه قبل رفعه أن الله معه، وأنه لن يُسْلِمَهُ لأعدائه الذين يريدون قتله، وأنه بهذا سيكون قد انتصر عليهم، وأنه سَيَغلب العالم، وهذا النص يثبت أن الله أوحى إليه عن طريق الملك جبريل أنه سينجيه منهم، كما أن هذا النص ينسف عقيدة الصلب من أساسها، ويثبت عقيدة الرفع إلى السماء دون أن يمسوه بأذى، وإلا فكيف يكون قد غلب العالم مع كونه مغلوبًا مصلوبا على خشبة؟ هذا لا يستقيم مع هذا!

وهذه هي العقيدة الصحيحة التي قررها القرآن لاحقا.

25. ومما يدل على بطلان تخصيص تكفير الخطيئة بالتكفير بالدم ما جاء في سفر اللاويين (11/5) من جواز التقرب بالدقيق لتكفير الخطيئة إن لم يجد المذنب ما يقرب، فلا داعي للدم إذن ليحصل التكفير.

كما جاء في سفر اللاويين (1/4-35) ما يدل على جواز تكفير الخطيئة بتقريب ثور أو ضأن.

فهذا كله يدل على بطلان تخصيص تكفير الخطيئة بالتكفير بالدم (أي دم المسيح).

****

دليل حفظ المسيح من القتل من العهد القديم

26. المسيحيون يقولون إن هذه الآية واردة في حق المسيح، وهي الواردة في المزمور (91/9-16)، وهي عند التأمل فيها عبارات تنقض عقيدة القتل والصلب، وهي:

(**أنجيه وأرفعه** ... لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق **أنقِذه** وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأُريه **خلاصي**)، وهذه الآية صريحة في سلامة المسيح من الصلب والقتل، لأن فيها وعد الرب بتنجيته ورفعه وإنقاذه وخلاصه، فماذا بقي؟!

***

تنبيه هام

27. الأناجيل الأقدم من الأناجيل الأربعة جميعها تنفي صلب المسيح وقتله، كإنجيل بطرس وتوما وبرنابا، ولهذا هي ممنوعة من قِبل الكنيسة، لأنها تنقض دين بولس الذي ثبته قسطنطين في مجمع نيقية الذي عُقِد سنة 325م، والذي يقرر زورا وبهتانا عقيدة الخطيئة والصلب والفداء وقتل المسيح.

والإشارة إلى بطلان صلب المسيح مذكورة في هذه الأناجيل الثلاثة، ويمكن الرجوع إليها من خلال شبكة المعلومات.

***

تنبيه آخر

28. أنكر القتل والصلب كثير من المفكرين المسيحيين وآباء الكنيسة، (فإلى هذا اليوم، هناك كثير من الفِرق والطوائف، وكثير من المفكّرين المسيحيين وآباء الكنيسة، يؤمنون بإنكار قتل عيسى أو صلبه، مثل البروفيسورGruden ، والمفكّر Arthur weigall في كتابه "الوثنيَّة في مسيحيّتنا"، والفيلسوف الألماني Goethe في "الديوان الشرقي"، وكذلك المستشرق والقِس البروتستانتي مونتجمري وات (1909 – 2002 م) الذي يقول: (ما جاء به القرآنُ حقّ لا شكَّ فيه، وأنَّ هذا الإنكار أهم من المزاعم التي تقول بصلب المسيح، فليس هناك شواهد تاريخيَّة موثوق بها عن صلب المسيح، والروايات التي وردت في الأناجيل عن قصة الصلب تتضارب تضاربًا شديدًا، حتى ليعجب الإنسانُ كيف تختلف الأناجيل في أصل هام من أصول الديانة، فلوْ كان أصلاً؛ لكان اهتمامها به متساويًا أوْ متقاربًا، فهناك أربعة وثلاثون وجهًا من التضارب بين نصوص الإنجيل).[1]

***

[1] قاله الباحث القدير (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 322-323، باختصار، الناشر دار المعراج – دمشق.

نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة التاريخ

29. (تقدم ذكره في الفصل الثاني في قصة بولس والمجامع الكنائسية)

الدليل القرآني المُثبِتُ أن المسيح لم يقتل ولم يصلب، بل رفعه الله إليه في السماء

30. الحق الذي لا شك فيه أن المسيح لم يُصلب ولم يقتل، بل رفعه الله إليه كما هو، وحماه من الإهانة، وهذا هو القول الذي قاله الله سبحانه وتعالى في القرآن، وهو خالق الخلق والعليم بشؤونهم. قال الله في القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّه لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لفي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلمٍ إِلَّا اتِّباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

****

أسئلة امتحان الفصل الخامس

1. كم عدد الأدلة العقلية (المذكورة في دليل الدعاة) على بطلان عقيدة صلب المسيح؟

2. هل عقيدة صلب المسيح تنافي عدل الله ورحمته؟ وضح ذلك.

3. اذكر خمسة من الأدلة الدالة على بطلان عقيدة صلب المسيح بدلالة العقل.

4. كم عدد الأدلة النقلية (المذكورة في دليل الدعاة) على بطلان عقيدة صلب المسيح؟

5. ما هو الدليل القاصم للظهر الدال على بطلان عقيدة صلب المسيح؟

6. هل عقيدة صلب المسيح باطل بالنص القرآني؟ وضح ذلك.

فهرس الفصل السادس

نقض المحور الرابع - اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله

الفصل الأول: أربعة وعشرون دليلا على أن الأناجيل الأربعة ليست كلام الله، وأنها من كلام البشر

- مكونات الإنجيل والرسائل الملحقة به
- الأدلة العقلية على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله
  - الحقائق المتعلقة بالتوثيق
  - الحقائق المتعلقة بالشخصيات
  - الحقائق المتعلقة بالتاريخ والمكان
  - الحقائق المتعلقة بنقد مضمون الأناجيل
  - دليل عقلي على أن الأناجيل الأربعة لم يعلم بها المسيح ولم يرها
- دليل تاريخي على أن الأناجيل الأربعة من صنع البشر
- نبذة عن إنجيل برنابا
- عشر فوائد منثورة تتعلق بموضوع تحريف الأناجيل الأربعة ونتائج ذلك التحريف

- خلاصة القول ثلاثة أمور

الفصل الثاني: أين التوراة الأصلية؟!

- الدليل التاريخي على أن العهد القديم ليس كلام الله
- الدليل المنطقي على أن العهد القديم ليس كلام الله
  - العهد القديم يدعو إلى الإرهاب
- الأدلة النقلية على أن العهد القديم ليس كلام الله
  - التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لرب العالمين
  - العهد القديم يتضمن المسبة لثمانية من أنبياء الله
  - التلمود ينص على أن اليهود شعب الله المختار، وأن غير اليهود مُسَخرون لهم، كما هو حال الحيوانات والدواب
- الأدلة القرآنية على ضياع التوراة والإنجيل وتحريفها
- خاتمة

أسئلة الفصل السادس

الفصل السادس

أين التوراة والإنجيل الأصليَّان؟

الفصل الأول: أربعة وعشرون دليلا على أن الأناجيل الأربعة ليست كلام الله، وأنها من كلام البشر[1]

مقدمة

مكونات الإنجيل والرسائل الملحقة به

الإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» هو كلام الله الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين، وهو لم يُحفظ، وليس له وجود بعد رفع المسيح، وقد حَلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص، وهم: (متّى، مُرقس، لوقا، يوحنا)، وملحَقٌ معها ثلاثة وعشرون

[1]. عامة ما في هذا البحث مستفاد من المبحث الخامس من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب بن صالح الشايع، حفظه الله.

رسالة، كلها قد أُلفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرًا.

وقد بدأ تدوين الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧م إلى سنة ١١٠م، وهؤلاء الأربعة أشخاص الذين دوّنوها لم يَثبت أنهم التقوا بالمسيح ولا للحظة واحدة، بل إنهم كتبوها بعد رفعه إلى السماء بزمن، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة والأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

يضاف إلى ذلك أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر من قِبَل أشخاص متخصصين في الأناجيل، ويكتشف هؤلاء المتخصصون -بحسب قولهم- أن هناك عباراتٍ مُقحمةً في النص الأصلي منها، فما يكون منهم إلا أن يُخرجوا نسخة جديدة من الأناجيل revision ويقولون: إنها منقحة من تلك العبارات التي اكتشفوا أنها مقحمة في النص.

فبناءً على هذا لا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلا عن أن يقول إنها - أو واحدا منها - تُمَثِّل النص الأصلي للإنجيل الذي كان بيد المسيح والحواريين، الذي هو في الحقيقة كلام الله.

إذا تقرر هذا؛ فإن اعتقاد المسيحيين بأن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحَقة بها هي الإنجيل الأصلي نفسه وأنه كلام الله؛ يعتبر خطأً فادحا، بل هي كلام بشر (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وإذا كان كلام بشر فمن الطبيعي أن يعتريه الصواب والخطأ، لأن البشر فيهم صفة النقص، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وليست كتاب الله المقدس «الإنجيل الأصلي» الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أنها فعلا الإنجيل الأصلي لما تعددت ولَمَا تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعًا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد.

****

دليل تاريخي على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على جميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فبعد دخول الشرطة الرومان على المسيح ومعهم اليهود ليقتلوه تفرق الحواريون، الجميع يريد النجاة بجلده، ولم يحفظوا الإنجيل ولم ينشروا رسالة المسيح، لأنهم صاروا في خوف شديد من أعداء المسيح، فضاع الإنجيل، ثم بعد عقود من الزمن جاء يوحنا ومتى ومرقص ولوقا، وكتبوا ما سمعوه من الناس، وسمى كلٌّ واحد منهم كتابه إنجيلا، وسماه باسمه (إنجيل يوحنا، إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا)، ويلاحظ هنا أنه لم يقل أحد منهم إطلاقًا إن الذي كتبه هو نفس الإنجيل الذي كان بيد المسيح.

وبهذا تبين بالدليل التاريخي أن كتاب الإنجيل الأصلي (كلام الله) الذي كان بيد المسيح لم يحفظه الحواريون، ولم تتناقله الأجيال، فبناء عليه فلا يصح أن توصف تلك الأناجيل بأنها كلام الله.

وقد اتفق العقلاء الباحثون في الدين المسيحي على أربع وعشرين حقيقة مهمة تتعلق بالعهد الجديد (الأناجيل الأربعة والرسائل الثلاثة والعشرين الملحقة بها)، وهي:

الأدلة العقلية على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله

الحقائق المتعلقة بالتوثيق

1. ضياع أصول العهد الجديد، فلا يوجد أي إنجيل من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم بلغته الأصلية التي أُلِّف بها، فالنسخ الأصلية لجميع الأناجيل الأربعة مفقودة، ومن المستحيل العثور عليها.

2. ضياع أصول الترجمات الأصلية عن اللغة الأصل لتلك الأناجيل، العبرية أو الآرامية، واستحالة العثور عليها.

وهذا مما زاد الطين بِلَّةً، فضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة يعتبر كارثة بحد ذاته في الدين المسيحي، فكيف إذا ضاعت بعد ذلك أصول ترجماتها؟

3. إن النسخ المتداولة من الأناجيل عبارة عن ترجمات لتلك الترجمات، كما أن هذه الترجمات أُعِدَّت بعد عدة قرون من تاريخ الترجمات الأصلية، فهي ترجمات عن ترجمات بعيدة عنها في التاريخ.

4. ثم إنه من المعلوم أن الترجمة ليست كالأصل، فمهما أوتي المترجم من فن وبراعة في اللغة التي يَنقل منها، واللغة التي يَنقل إليها – مع افتراض حسن النية لأقصى مدى - فإن كثيرًا من الكلمات والتعبيرات تفقد معانيها ورموزها الدقيقة، بالإضافة إلى فقد قوَّتها ورونقها عند نقلها من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى، ويزداد التأثير السلبي لهذا العامل في النص كلَّما تُرجمت الترجمة إلى لغة أخرى.

****

الحقائق المتعلقة بالشخصيات

5. إن الشخصيات الحقيقية لمؤلفي تلك الأناجيل غير مؤكدة على وجه اليقين، كما أن الأناجيل ليس فيها ذكر الأسماء الكاملة لأولئك المؤلفين.

6. جهالة شخصيات المترجمين الأوائل لتلك الأناجيل، واستحالة معرفتهم.

7. نظرا لما تعرضت له الديانة المسيحية والمسيحيون من بطش وقهر واجتثاث، ومصادرة وتحريم لأناجيلهم على يد الإمبراطورية الرومانية لمدة قرنين ونصف من الزمان، ومِن قبلها على يد اليهود قبل رفع المسيح وبعد رفعه؛ فإنه يستحيل على المسيحيين تقديم سند متصل لأناجيلهم الأربعة التي يعتقدون صحتها، وكذلك الرسائل الملحقة بها.

8. من المعلوم أن هذه الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي بيد المسيحيين اليوم، منسوبةٌ إلى مَن يُعتقد أنهم مؤلفوها المذكورة عليها أسماؤهم الأولى فقط، وهم: متَّى ومرقص ولوقا ويوحنا، فهي لم توح إلى المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الله سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى، كما أن السيد المسيح لم يكتبها، ولم يُملِها على كُتّابها، ولم يُكلّف أحدا منهم بكتابتها، بل هو لم يرها أو يطلع عليها، إذ إنها لم تكن موجودة أثناء وجوده على الأرض، وهي ليست منسوبة له، ولكنها منسوبة إلى مَن يُعتقد أنهم مؤلفوها المذكورة عليها أسماؤهم الأولى فقط، فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله؟

*** تنبيه مهم**

إنجيل «متّى» بوضعه الحالي لا يستطيع أحد أن يجزم بأنه من إعداد «متى» نفسه، وذلك أن فيه عبارة تُشعر بذلك، وهي:

«وفيما يسوع مجتازا من هناك، رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعني. فقام وتبعه». «إنجيل متى» (٩:٩).

والسؤال هنا: من كاتب هذه العبارة المذكورة في «إنجيل متى»؟

قطعا هو ليس «متى»، لأن العبارة من إنشاء شخص ما يتكلم عن «متى»، وليس المتكلم «متى» نفسه، وهذا واضح، فلو كان «متى» هو كاتب إنجيل «متى» لقال:

وبينما كان يسوع مجتازا من هناك، رآني جالسًا، فقال لي: اتبعني. فقمت وتبعته».

كذلك فإن المتكلم ليس يسوع، والسبب هو نفس السبب السابق، فالعبارة تتكلم عن اليسوع، وليس المتكلم هو اليسوع نفسه.

إذن فلم يبق إلا أن يُقال إن صاحب الكلام هو شخص مجهول الهوية، أدخل كلامه في هذا الإنجيل المنسوب إلى «متى»، ثم قال القساوسة إن إنجيل «متى» كلام الله!

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«وقد توصل العلماء الغربيون المسيحيون الذين درسوا المسيحية إلى أن كاتب «إنجيل متى» قد اعتمد على إنجيل مرقص إلى حد كبير وبتصرف.

فكيف يعتمد رجل يُعتبر أحد حواريي السيد المسيح مثل «متى» في النقل على إنجيل مرقص الذي لم يكن من حواريي السيد المسيح؟»[1]

9. يضاف إلى ذلك أن الثلاث وعشرين رسالة الملحقة بالأناجيل الأربعة كلها قد أُلِّفت أيضًا بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرًا، وهذه الأسفار تمت كتابتها من قِبَل أشخاص لم يثبت أنهم التقوا بالمسيح لحظة واحدة، بل الثابت أنهم كتبوها بعد رفعه

[1] .«تاريخ النصرانية»، ص ١٩٢، بتصرف.

إلى السماء، وهي في مضمونها غير متطابقة لا في النص ولا المضمون، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

فكيف يصح – والحالة هذه - أن توصف تلك الأناجيل بأنها كلام الله مع وجود هذا الاختلاف والاضطراب العظيم بينها؟!

أقول: ومن أوضح الأدلة على تناقض الأناجيل الأربعة المعترف بها في الكنائس أن كل واحد منها يصور المسيح بصورة مناقضة للإنجيل الآخر، فإنجيل متى يصور المسيح على أنه «إنسان البشرية».

وإنجيل مرقص يصور المسيح بصورة «الأسد»، وأصحاب هذا التصور هم طائفة «المَلَكية».

وإنجيل لوقا يصور المسيح بصورة «الثور»، يقولون إنه يذكرهم بوجه الذبيحة والصليب، فأي احترام للمسيح في هذا التصوير؟

وإنجيل يوحنا يصور المسيح بصورة «النسر »، عبارة عن «الألوهية» وأنه المعبود.

10. وإذا أضيفت أسفار العهد القديم الستة والأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة والعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل - والحالة هذه – بأنها كلام الله مع وجود هذا الاختلاف والاضطراب بينها؟!

****

الحقائق المتعلقة بالتاريخ والمكان

11. إن تاريخ تأليف كل إنجيل غير معروف على وجه الدقة، فإنه من المعلوم أن هذه الأناجيل الأربعة قد أُلِّفت جميعها بعد رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بسنوات طويلة، وللعلماء المسيحيين الغربيين آراء مختلفة في تحديد تواريخ تقريبية لتدوين هذه الأناجيل، فبعضهم يضعها ما بين سنة ٣٧ إلى سنة ١١٠م، وآخرون يضعونها ما بين عامي ٦٠ إلى ١٢٠م، فكيف يصح أن توصف – والحالة هذه – بأنها كلام الله؟

12. إن مكان تأليف كل إنجيل غير معروف.

13. لم يذكر أي واحد من مؤلفي الأناجيل أنه ألفه بوحي من الروح القدس، كما لم يقولوا إن ما ألفوه من أناجيل هي كلام الله، وإنما الذي قال ذلك وادَّعاه هم القساوسة أنفسهم.

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«من الواضح أن مؤلفي الأناجيل بصورتها الأصلية، وقبل أن تمتد إليها الأيدي بالتحريف على مر القرون – من حذف أو إضافة أو تغيير، بقصد أو من دون قصد- كانوا يكتبون ذكرياتهم مع السيد المسيح، أو عما سمعوه من الذين شاهدوا المسيح وآمنوا به، أي أنهم كانوا يكتبون ما يمكن أن يُطلق عليه تجاوزا: سيرة لحياة وأقوال وأفعال السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يكن يدور بخَلَدِ أيٍّ منهم أنه يكتب كتابًا سيكون مقدسًا ذات يوم، أو أنه كان يكتب بإلهام أو بوحي من السماء، فلم يدَّعِ أي منهم أنه قد تلقى وحيًا من السماء قبل أو أثناء كتابته لإنجيله.

ومن الأدلة المهمة في هذا الخصوص ما جاء في مقدمة إنجيل لوقا، فقد كان الكلام موجهًا من لوقا إلى صديق له اسمه ثاوفيلس، فهل يمكن أن يكون هذا كلام الله؟!

والشيء نفسه ينطبق على كَتَبةِ الرسائل الملحقة بالأناجيل، باستثناء بولس، الذي زعم أنه تلقى وحيا من المسيح، وأحيانًا يدَّعي أنه تلقى الوحي من الله».[1]

****

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٨٩.

الحقائق المتعلقة بنقد مضمون الأناجيل

14. عندما يتصفح الباحث المتجرِّد لمعرفة الحق أي إنجيل من الأناجيل الأربعة – من أوله إلى آخره - يتفاجأ بأنه لا تسوده وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة.

15. وكذلك الأمر عندما يقارن الأناجيل بعضها مع بعض، أو مع الرسائل الملحقة بها، فإنه يخرج بالانطباع نفسه، وهو أنه لا تسودها وجهة نظر واحدة أو عقيدة واحدة محددة، فهي تحتوي على خليط غير متجانس العقائد والقصص المتنافرة والمتضادة والمضطربة، **التي يهدم بعضها بعضا**، كما لو كان كلُّ إنجيل قد كتب بواسطة عدة أشخاص، ومن دون ترتيب أو تنسيق بينهم، مما يدل على كثرة التغيير والتبديل بالحذف والإضافة الذي تعرضت له تلك الأناجيل بقصد ودون قصد على مر القرون.

16. كما يُلاحَظ أنه لا توجد في الأناجيل الأربعة رواية متسلسلة ومترابطة عن الأحداث المتعلقة بحياة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل الموجود مقتطفات لا رابط بينها، كما أنها تختلف في سردها أو في تفاصيلها من إنجيل إلى آخر، وقد ينفرد بعضها بذكر أحداث تُغفِلها الأناجيل الأخرى أو بعضها، ومن تلك الأحداث المهمة التي أغفل مرقص ويوحنا ذكرها في إنجيليهما؛ موضوع مولد المسيح وطفولته،

هذا بالإضافة إلى أن النصوص المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل والرسائل الملحقة بها قليلة جدًّا.

يقول الشيخ (متولي يوسف شلبي) عن الأناجيل الأربعة: «إنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي».[1]

17. هذا بالإضافة إلى أن الأناجيل تحتوي على معلومات أو أحداث، إما أنها تختلف أو تتعارض مع بعضها، أو تحشد كَمًّا من المعجزات والحكم والوعظ والإرشاد التي تنسبها إلى المسيح من دون الالتزام بالظروف والأحداث التي جاءت تلك المعجزات والحكم والمواعظ في سياقها، مما يشير إلى أن مؤلفي تلك الأناجيل لم يهتموا بفرز وتنقيح الروايات الشفهية التي سمعوها قبل تدوينها، أو أنَّ ذلك كان بسبب الأيدي التي امتدت إليها فيما بعد بالتحريف والتبديل.

18. اعتماد الأناجيل على الرؤى والأحلام.[2]

---

[1]. «أضواء على المسيحية»، ص ٥١.

[2]. استفدتُ هذه النقطة من كتاب الأستاذ عبد الوهاب الشايع حفظه الله، «تاريخ النصرانية»، ص١٨٨، وهامشها، وزدت عليها ما يسر الله.

هناك تفاصيل كثيرة ومهمة في الديانة المسيحية الحالية وعقائدها وشرائعها، تعتمد على الرؤى والأحلام، وسيجد القارئ ذلك مثبتًا في أناجيلهم الأربعة والرسائل الملحقة بها في مواضع مثل:

«أعمال الرسل» (١٠/ ١-٥ و ٩-١٦).

وانظر أيضًا ما ادعاه بولس من أن الرب نادى تلميذًا للمسيح اسمه حنانيا في رؤيا منامية، وأمره بالذهاب إلى بولس ليخبره بأنه صار نبيًّا!

بل إن هناك رسالة كاملة ملحقة بالأناجيل هي «رؤيا يوحنا اللاهوتي»، يدعي صاحبها يوحنا أن المسيح أراه هذه الرؤيا عن طريق ملاك أرسله له، وهي كلها رؤيا منامية (أحلام)!

التعليق

فبناء على هذا فإن بناء المسيحية يعتبر بناءً هشا، ليس قائمًا على الوحي المنزل من السماء، بل قائمًا على الرؤى والأحلام، فهي أحد مصادره الأصلية، كيف لا ودعوى بولس للنبوة معتمدة على رؤيا يزعم أنه رآها، ومن المعلوم أن بولس هو المطَوِّر الرئيسي للمسيحية، وقد أدخل في شريعة المسيح من العقائد وألغى منها ما ترتب عليه من تغيير وتشويه جذري لدين المسيح، فماذا بعد هذا؟

19. كما يُلاحظ خُلُوُّ هذه الأناجيل من كيفية أداء العبادات، ومن التشريعات الاجتماعية، ومن التشريعات المتعلقة ببناء الدولة بمؤسساتها المختلفة، فكيف يصح أن توصف الأناجيل - والحالة هذه - بأنها كلام الله؟!

20. إن المعلومات التي في الأناجيل الأربعة المعتمدة والأخرى الثلاثة والعشرين غير المعتمدة لا تتحدث إلا عن ثلاث سنوات فقط من حياة هذا المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، أما بقية عمر المسيح فلا نعلم عنه كثير شيء، هذا بالإضافة إلى التناقض البَيِّن بين الأناجيل في تلك المعلومات القليلة عن حياة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولعل أشد مراحل سيرة المسيح عليه السلام غموضا هي تلك المرحلة التي مرت عليه قبل بلوغه الثلاثين، فإننا لا نعرف شيئًا ذا بال عن ولادته وطفولته وشبابه، ولعل من أسباب ذلك هو ضياع الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام.

فكيف يصح أن توصف تلك الأناجيل – والحالة هذه – بأنها كلام الله مع وجود هذا النقص العلمي فيها؟!

****

دليل عقلي على أن الأناجيل الأربعة لم يعلم بها المسيح ولم يرها

21. كان بين يدي المسيح إنجيل واحد يبشر به (وليس أربعة)، فقد جاء في إنجيل متى (13/26) على لسان السيد المسيح الحق أقول لكم: «حيثما يُكَرَّز بهذا الإنجيل».

كما جاء في إنجيل مرقص (١/ ١٤ و١٥): «وبعدما أُلقي القبض على يوحنا انطلق يسوع إلى منطقة الجليل، يبشر بإنجيل الله قائلًا: قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل».

فبناء على هذا فليس الإنجيل الذي كان بيد المسيح أيا من الأناجيل الأربعة المعروفة، لأن الإنجيل الذي كان يبشر به اسمه (إنجيل الله)، أما الأناجيل الأربعة فمنسوبة إلى أشخاص يقال إنهم تلاميذ المسيح ومن ينتمي إليهم، فقطعًا ليست هي إنجيل الله، وبالتالي لم تنزل على المسيح.

ثم إنهم ألَّفوها في الفترة ما بين ٣٧ إلى ١١٠م، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين، وآخرون قالوا إنها أُلِّفت ما بين عامي ٦٠ إلى ١٢٠م، وكلها تواريخ تقريبية.[1]

[1]. انظر «تاريخ النصرانية»، ص ١٧٨.

التعليق

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«من الواضح والمنطقي والبَدَهِي، أن الإنجيل المشار إليه في النصوص السابقة يدل بكل وضوح وجلاء على أنه كان للسيد المسيح **إنجيل واحد يبشر به**، وأن هذا الإنجيل ليس واحدًا من الأناجيل الأربعة التي بيد المسيحيين اليوم ولا ينطبق على أي منها.

فليس من بينها إنجيل يسمى «إنجيل الله» أو «إنجيل عيسى ابن مريم»، بالإضافة إلى أنه لا يُطلق على أي منها اسم الإنجيل فقط، بل يجب ربطه باسم مؤلفه، كقولهم: إنجيل متى، أو إنجيل مرقص، أو إنجيل لوقا، أو إنجيل يوحنّا.

وبفقد الإنجيل الذي أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ - بعد رفعه - ؛ فقد تم تجريد رسالته من كتابه السماوي، وفَقَدَ النصارى البوصلة السماوية، وانفتح الباب على مصراعيه لتحريف رسالته».[1]

****

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٧٦، بتصرف يسير.

دليل تاريخي على أن الأناجيل الأربعة من صنع البشر

22. الأناجيل كان عددها كثيرٌ في نهاية القرن الأول الميلادي، وليست محصورة بأربعة!

مما ينبغي أن يُعلم أن هذه الأناجيل الأربعة لم تكن الوحيدة التي أُلِّفت بعد رفع السيد المسيح، فقد كان هناك كثير من الأناجيل الرائجة عند المسيحيين، بلغ عددها ما يزيد على السبعين إنجيلا، ظهرت بين القرنين الأول والرابع للميلاد، واستمر الحال كذلك حتى تم اعتمادُ الأناجيل الأربعة الحالية في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وفرْضُها بالقوة، وحُرِّم تداول الأناجيل الأخرى.

فإن كانت الأناجيل الأربعة فعلا كلام الله، فما بال بقية السبعين لا يقال فيها إنها كلام الله وتُنشَر بين الناس، أم لأن في بعضها – كإنجيل برنابا – ما يناقض قواعد المسيحية المعاصرة التي أدخلها بولس ومن بعده في دين المسيح؟

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«بلغ عدد الأناجيل المتداولة بيد المسيحيين – بعد حوالي قرن من رفع السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلى ما يفوق سبعين إنجيلًا.

وفي مجمع نيقية، الذي انعقد في عام ٣٢٥م، اختار المَجمع أربعة أناجيل فقط، وحرَّم الأناجيل الأخرى، إذ اعتبرها مزيّفة وأمر بإحراقها، وأصدر عقوبات تصل إلى حد الإعدام لمن توجد في حَوزته.

ولا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع نيقية في عدم الاعتراف ببقية الأناجيل؟

وما سبب إصدار تلك العقوبة المغلظة بحق من يوجد بحوزته أحد تلك الأناجيل؟

كما حرَّم مَجمع نيقية أيضًا عددًا من رسائل الرسل ولم يعترف بها مثل:

أ. رسالة بولس إلى العبرانيين

ب. رسالة بطرس الثانية

ت. رسالة يوحنا الثانية

ث. رسالة يوحنا الثالثة

ج. رسالة يعقوب

ح. رسالة يهوذا

خ. رؤيا يوحنا اللاهوتي، التي تسمى «السفر النبوي»

ثم جاء مجمع لوديسيا في سنة ٣٦٤م، فأعاد الاعتراف بتلك الرسائل، علما أنه ليس لهذه الرسائل سند متصل، فهي لم تُعرف إلا على لسان أنيوس عام ٢٠٠م، وكليمنس عام ٢١٦م.

كما لا نعلم ما الأسس أو القواعد التي اعتمد عليها مجمع لوديسيا في تخطئة مجمع نيقية وإعادة الاعتراف بتلك الرسائل؟

إن المرء ليتساءل: ألا يوجد احتمال أن بعض الأناجيل التي حُرِّمت وأُحرِقت بأمر من مجمع نيقية قد حُرِّمت بغير وجه حق، وأنها لو كانت بين أيدي المجامع التالية لربما أعادوا الاعتبار لها أو لبعضها، مثلما أعادوا الاعتبار لبعض الرسائل في مجمع لوديسيا الذي عُقد في سنة ٣٦٤م، التي سبق لمجمع نيقية أن حرمها».[1]

تنبيه

وجود هذه الكثرة الكاثرة من الأناجيل يعني أنه لم يكن للمسيحيين بعد رفع المسيح - ولمدة ثلاثة قرون - إنجيل واحد أو مجموعة أناجيل معتَمَدة تشملهم جميعا.

****

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٢ – ١٩٣، باختصار.

نبذة عن إنجيل برنابا

إنجيل برنابا يعتبر من الأناجيل المحرَّم تداولها إلى الآن بين المسيحيين، قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«إنجيل برنابا هو أحد الأناجيل التي تم رفضها في مجمع نيقية، واعتُبرت مزيفة وغير قانونية، يجب إحراقها وعدم اطلاع المسيحيين عليها، وعقوبة من توجد بحوزته الإعدام.

ومؤلف هذا الإنجيل اسمه (برنابا) أحد تلاميذ السيد المسيح، وهو خال (مرقص) صاحب الإنجيل الذي يحمل اسمه. وهو رجل ثقة، فقد أرسله تلاميذ السيد المسيح إلى أنطاكية للتبشير هناك كما جاء في «أعمال الرسل» (١١/ ٢٢).

وجاء عنه في أعمال الرسل (24/11) أنه كان رجلا صالحًا مملوءًا من الروح القدُس والإيمان.

وقد أصدر البابا جلاسيوس الأول (٤٩٢ - ٤٩٦م) قرارًا يشمل قائمة بالأناجيل التي اعتبرها محرمة ولا يجوز اطلاع المسيحيين عليها، وكان من ضمنها إنجيل برنابا.

وقد اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر له أثر منذ ذلك الوقت حتى أواخر القرن السادس الميلادي، حيث يقال إن أحد الرهبان الكاثوليك في الفاتيكان، اسمه (فرامرينو) قرأ عن هذا الإنجيل، فأخذ يبحث عنه

حتى وجده في مكتبة بابا الفاتيكان سكتس الخامس (١٥٨٥ - ١٥٩٠م) فأخذه خفية وقرأه فأسلم.[1]

ثم اختفت آثار هذا الإنجيل مرة أخرى، إلى أن وُجِدت نسخة منه باللغة الإيطالية، عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك (بروسيا)[2] سنة ١٧٠٩م، ثم انتقلت هذه النسخة إلى البلاط الملكي في فيينا، ومن هذه النسخة تُرجمت إلى اللغات الأخرى».[3]

وقال أيضا حفظه الله:

تكرر ذكر اسم برنابا والأعمال التي قام بها في «أعمال الرسل»:

(36/4 و٣٧، ٩/ ٢٧، ١٣ / ١ و١٣ - ١٥ و٤٦ - ٥١، 1/15 – 23، 26 - ٣٥)[4].

فائدة

يُناقض إنجيل برنابا العقائد التي يؤمن بها المسيحيون اليوم فيما يلي:

1. ينفي ألوهية السيد المسيح ويُقر بأنه نبي مرسل من الله.

---

[1]. نقلا من مقدمة مترجم إنجيل برنابا إلى اللغة العربية، خليل سعادة، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، ص ١٨ وما بعدها.

[2]. بلد تقع شرق ألمانيا.

[3]. «تاريخ النصرانية»، ص 199.

[4]. «تاريخ النصرانية»، هامش ص ١٩٩.

2. ينفي صلب السيد المسيح ويُقرر أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد رفع السيد المسيح قبل أن يصل أعداؤه إليه، وأن الذي صُلِب هو أحد تلاميذه الذي خانه، واسمه (يهوذا الإسخريوطي)، حيث أصبح شبيها بالمسيح، بالوجه والصوت والشخصية، فصُلب مكانه.

3. يَذكر[1] أن الذي كان سيُذبح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وليس إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ كما يزعم اليهود والنصارى.[2]

4. يذكر أن السيد المسيح بشَّر برسول يأتي من بعده اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم).

5. يذكر أيضًا أن المسيح المنتظر ليس عيسى ابن مريم، إنما هو محمد (صلى الله عليه وسلم).

انتهى هنا كلام الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله.[3]

---

[1] .أي إنجيل برنابا يَذكر ...

[2] يشير هنا إلى قصة ذبح إبراهيم عليه السلام لابنه.

[3]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٩ – ٢٠٠.

ولما كان هذا الإنجيل - إنجيل برنابا - خاليًا من الخرافات العقائدية التي قررها بولس ومن بعده؛ فإن مجمع نيقية منع تداول هذا الإنجيل!

فانظر إلى أي حد وصلت الجُرأة على الله وعلى دينه بذاك المجمع والقائمين عليه وعلى رأسهم الطاغية قسطنطين!

وأما في العصر الحاضر فقد انتشر إنجيل برنابا، وهو مطبوع بتحقيق خليل سعادة، ويمكن الاطلاع عليه في شبكة المعلومات.

****

23. شهادات مفكرين وعلماء مسيحيين على ضياع الإنجيل الأصلي، وتحريف الأناجيل الأربعة، وأن أغلب العهد الجديد من تأليف بولس

* قال «اتيان دينيه»[1]، وهو الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان: «إن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن الذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر، أو أنه أُبِيد».[2]

وقال الباحث خالد أبو صالح بعدما نقل كلام «اتيان»:

«إن هذا التحريف - برأيي - هو الذي يجعل الغربيين لا يؤمنون بشيء مقدس، فيقولون: ليس هناك عندنا شيء مقدس، حتى أنهم يتهكمون

---

[1]. اتيان رسام مستشرق فرنسي، ولد في باريس في ١٨٦١م ، سافر إلى الجزائر وبقي فيها خمس سنوات، طرأ تحول كبير في حياة (اتيان) في بداية من العام ١٩١٣م حينما أعلن إسلامه وغير اسمه من «ألفونس اتيان دينيه» إلى «نصر الدين دينيه»، ليصبح الرسام الفرنسي المسلم، وقد أحدث إسلامه ضجة في أوساط المُعَمَّرين الفرنسيين وفي أوساط الطبقة الفنية في فرنسا فاتهموه بالخيانة، ولكن نصر الدين لم يعبأ بما اتُّهم به، ذلك أنه اتخذ الإسلام دينا بكل قناعة، وهو الأمر الذي أكسبه نوعًا من القوة. سافر نصر الدين إلى مكة المكرمة عام ١٩٢٩م لأداء فريضة الحج فأصبح الحاج نصر الدين.

توفي نصر الدين في باريس، ثم نقل جثمانه إلى مدينة بو سعادة في الجزائر ودفن هناك، وهي المدينة التي طالما عشقها. المصدر: Wikipedia.org

[2]. «من أسرار عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم»، خالد أبو صالح، ص٤٣، نقلًا عن «خرافات التوراة والإنجيل»، توماس دوان، ص ٣٢١، ٣٣٠.

على المسيح نفسه ويسيئون إليه في الأفلام والصور والرسوم وغير ذلك.

ولو أن هؤلاء يملكون ما يملكه المسلمون من معرفة بكافة أحوال وتفاصيل حياة نبيهم لما قالوا ذلك، ولَما تجرؤوا على الإساءة لنبيهم فضلًا عن الإساءة لنبي الإسلام».[1]

* وقال «مايكل هارت»[2]: «إن القديس بولس هو المُطوّر الحقيقي للنظرية المسيحية، وهو المُغَيّر لأصولها، وهو المؤلف لجزء كبير من العهد الجديد».

"St. Paul was the main developer of Christian theology, its principal proselytizer, and the author of a large portion of the New Testament".[3]

* وقال (وِل ديورانت)[1]: «وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين

[1] .«من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم)»، ص ٤٤ ، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

[2]. تقدم التعريف به.

[3]. *From: "The 100 ،a Ranking of the Most Influential Persons in History" ،by Michael H. Hart.*

عامي ٦٠م إلى ١٢٠م، ثم تعرّضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرّضت أيضًا لتحريفٍ مقصودٍ يُراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ».[2]

ويستطرد (وِل ديورانت) قائلًا: «ومَلاكُ القول إن ثمّة تناقضا كثيرًا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تاريخية مشكوكا في صحتها، وكثيرا من القصص الباعثة على الرّيبة، والشبيهة بما يُروى عن آلهة الوثنيين، وكثيرا من الحوادث التي يبدو أنها وُضِعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة، أو طقس متأخر من طقوسها».

إلى أن قال: «ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخُطب قد تعرّضت لما تتعرض له ذاكرة الأُمِّيِّين[3] من ضعف وعيوب، ولِما يرتكبه النساخ من أخطاء وتصحيح».[4]

---

[1]. تقدم التعريف به.

[2]. «قصة الحضارة» (207/11).

[3]. الأميين أي الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

[4]. «قصة الحضارة» (210/11).

وقال الدكتور (جورج بردفورد كيرد)[1] عن مخطوطات الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها:

«كان يُحفظ النص في مخطوطات نسَخَتها أيدٍ مُجهدة لِكَتَبةٍ كثيرين، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات أربعة آلاف وسبعمائة (٤٧٠٠)، ما بين قُصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش ...

ويستطرد قائلًا: إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافًا كبيرًا ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ. ومهما كان الناسخ حي الضمير فإنه ارتَكَب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نُقلت عن نسختها الأصلية، وإن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائمًا إعادة القراءة الصحيحة».[2]

وقال (جوستاف لوبون)[3]: «وعلى ما نراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان كحياة محمد مثلا، نرى حياة مؤسس

---

[1]. زميل الأكاديمية البريطانية، (١٩١٧ – ١٩٨٤ م)، كان قسيسا إنجليزيا، وعالما باللاهوت، ومن علماء الإنجيل. إلى وقت وفاته كان أستاذًا لتفسير الكتاب المقدس في جامعة أكسفورد. المصدر: Wikipedia.

[2]. «القديس لوقا» (ص ٣٢)، نقلا من كتاب: «المسيح في مصادر العقائد المسيحية»، للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ص ٤١، نقلاً من «تاريخ النصرانية»، ص 196-197.

[3]. تقدم التعريف به.

النصرانية -السيد المسيح- مجهولةً تقريبًا، ولا تبحث عن حياة مؤسس النصرانية في الأناجيل، كما صُنع ذلك زمنا طويلا، وكما عَدَلَ العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر، فهذه الأناجيل، وأقدمها إنجيل مرقص، الذي كُتب بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل[1]هي مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التي بسطها خيال مؤلفيها.

ورسائل القديس بولس هي كما يبدو أقل الوثائق عدمُ صحةٍ في تمثل أزمنة النصرانية الأولى، ولكن بولس إذ لم يعرف يسوع، لم يستطع أن يتكلم عنه إلا سيرًا مع العنعنات والخيال.

وعلى ما نراه في تلك المصادر من نقص فإننا نستشف منها على الأقل ما كان يدور في زمن يسوع من المبادئ، ونعلم منها أن هذا الإله المقبل - يسوع - لم يَعُدْ نفسه إلها قطُّ، ولا مؤسسا لدين جديد».[2]

---

[1]. قوله (وفاة يسوع) هو بحسب اعتقاده الذي نشأ عليه كرجل مسيحي، وإلا فالحق أنه لم يمت، بل هو حي في السماء، رفعه الله إليه لَمَّا همَّ اليهود بقتله، وسيرجع في آخر الزمان حكمًا عدلًا، ويحكم المسلمين أربعين سنة بشريعة الإسلام، لأنه مسلم مثلهم، صدَّق محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)، واتبعه كما أمر الله بذلك جميع الأنبياء وأخذ عليهم الميثاق في اتباعه، ولم يحصل هذا الشرف إلا للمسيح، لأنه هو الوحيد من الأنبياء الذي سيدرك زمن محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيًّا، وإلا فالأنبياء قبله قد ماتوا ولم يدركوا محمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. انظر للتوسع كتاب: «ستون دليلا على تكريم الإسلام لمريم العذراء وابنها المسيح عيسى ابن مريم»، تأليف: ماجد بن سليمان الرسي.

[2]. «حياة الحقائق» (ص ٦٢ - ٦٣) باختصار يسير، نقلاً من «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٧، باختصار يسير.

وقال المهندس أحمد عبد الوهاب: «لقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة، وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت الأناجيل نفسها بنصوص مخالفة لما عُرفت به من قبل، وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ».[1]

****

24. مناقضة الأناجيل للعقل

الإنجيل يناقض العقل ويعانده، ولهذا نفر الناس من قراءته ومن الذهاب للكنيسة في أماكن كثيرة من العالم، واعتنقوا العلمانية التي هي فصل الدين عن مناحي الحياة، بل اتجهت بعض المجتمعات إلى الإلحاد، كما هو حاصل في الدول الإسكندنافية مثلا.

والأمثلة على مناقضة الإنجيل للعقل (بقسميه العهد القديم والجديد) كثيرة جدا، **لاسيما العهد القديم، الذي** يتضمن سب الرب والأنبياء، وسنكتفي بضرب مثال واحد على مناقضة الإنجيل للعقل لنصل إلى قناعة وهي أن الإنجيل ليس كلام الله.

في إنجيل يوحنا (20/ 24-25): «وَلكِنَّ تُومَا، أَحَدَ التَّلامِيذِ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالتَّوْأَمِ، لَمْ يَكُنْ مَعَ التَّلامِيذِ حِينَ حَضَرَ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُ التَّلامِيذُ الآخَرُونَ: «إِنَّنَا رَأَيْنَا الرَّبَّ!»، فَأَجَابَ: «إِنْ كُنْتُ لَا

[1] «المسيح في مصادر العقائد المسيحية»، للأستاذ أحمد عبد الوهاب، ص ٣٩، نقلًا من «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٧.

أَرَى أَثَرَ الْمَسَامِيرِ فِي يَدَيْهِ، وَأَضَعُ إِصْبِعِي فِي مَكَانِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعُ يَدِي فِي جَنْبِهِ؛ فَلا أُومِنُ».

والسؤال المنطقي هنا هو: كيف يكون المسيح ربا مع كون اليهود استطاعوا ضرب المسامير في يديه وتعليقه على الصليب؟!

كيف يجتمع هذا وهذا؟

هل المخلوق أقوى من الرب أم العكس؟!

لا يمكن تصديق هذا النص الإنجيلي إلا بطريق واحد، وهو الاعتقاد الجازم أن **هذه القصة الإنجيلية خرافية وغير حقيقية، وأن الإنجيل ليس كلام الله الحقيقي!**

****

عشر فوائد منثورة تتعلق بموضوع تحريف الأناجيل الأربعة ونتائج ذلك التحريف

1. النتيجة المؤلمة لفقد الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ

بفقد الإنجيل الذي أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عبده ورسوله - عيسى ابن مريم- بعد رفعه؛ فقد تم تجريد رسالته من كتابها السماوي، وفقَد المسيحيون البوصلة والهداية السماوية، وانفتح الباب على مصراعيه لمن أراد أن يُحرِّف رسالته، وقد كان ذلك فعلا على يد بولس ومن تبعه.

****

2. أسلوب التغيير والتحريف التدريجي في الأناجيل الأربعة على مر العصور

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«لقد تعرضت الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها على مدى القرون المتعاقبة للأخطاء والتلاعب والتحريف والتغيير، بالحذف والإضافة، بقصد ومن دون قصد، بواسطة القساوسة والرهبان والنُّسَّاخ على مدى القرون المتعاقبة، فإذا ما تقررت عندهم عقيدة ما، رجعوا إلى الأناجيل فأضافوا إليها تلك العقيدة أو أخرجوا منها ما

يتعارض معها، أو بدلوا وغيروا الكلمات لكي تتوائم مع وجهات نظرهم أو اعتقاداتهم، والفِرَق التي ينتمون لها.

وفي كل الأحوال يستوي التحريف في كتبهم، إن كان تمَّ عن قصد أو من دون قصد، فالنتيجة واحدة، وهو أنَّ تحريفًا قد وقع في كتبهم المقدسة.

إن المرء ليتساءل باستغراب وأسى عما إذا كان ضياع الإنجيل الذي أوحاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم ضياع النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة التي يعترف بها المسيحيون اليوم، ثم ضياع ترجماتها الأصلية؛ هو مجرد صُدفة بَحتة؟!».[1]

****

3. مكابرة عجيبة

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

«مع كل تلك الشواهد والحقائق الدامغة، إلا أن القساوسة والمنصرين والمستشرقين ومن لَفَّ لفَّهم لا زالوا يكابرون ويزعمون أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بأيديهم اليوم قد وصلت إليهم من دون أي تغيير أو تحريف على الإطلاق كما كتبها مؤلفوها بإلهام من الروح القدس.

---

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٥، باختصار.

كما يزعمون أن روايات الأناجيل تُكَمِّل بعضها بعضا، على عكسِ الحقيقة والواقع، وذلك في محاولة يائسة منهم لإعطاء هذه الكتب درجة من الموثوقية والمصداقية، وقد يستشهدون بما جاء في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (16/3): «كل الكتاب هو موحى به من الله».

ولكن مزاعمهم تلك تذهب هباءً منثورًا، إذ يستحيل البرهنة على صدقها وموثوقيتها وعدم تحريفها أمام الحقائق المادية الدامغة المعاكسة لها».

إلى هنا انتهى كلام الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله.[1]

ثم إن استشهادهم بكلام بولس متناقض جِدًّا، فإن تأليف بولس لرسائله قد سبق تأليف الأناجيل والرسائل الملحَقة بها بما لا يقل عن ربع قرن، فإنه يُقدَّر أن بولس قد كتب أولى رسائله في سنة ٥٥ ميلادية، أي بعد رفع المسيح بحوالي ٢٢ إلى ٢٤ سنة، وهذا يعني قطعًا أن تأليف بولس لرسائله قد سبق تأليف جميع الرسائل والأناجيل الأربعة.

وبناء على هذا فهو لا يقصد في كلامه الأناجيل الأربعة، بل يقصد كتابًا آخر، وهو كتابه نفسه «رسائل بولس»، لأن تلك الأناجيل لم تؤلف

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٩٨.

بعد، ولأن الإنجيل الذي كان بيد المسيح لم يُحفظ، فلم يبق إلا أن يكون مقصودة في كلامه هو كتابه هو.

قال الدكتور المسيحي (أسد رستم) عن تاريخ تأليف بولس لرسائله: (جميعها دُوِّنَ ما بين سنة ٥٢ و٦٦ للميلاد).[1]

****

4. الشروط الواجب توافرها في أي كتاب مقدس[2]

1. أن يَذكر الكتاب نفسه أنه مُوحَى به من الله، وهذا الشرط ليس موجودا في أي من الأناجيل الأربعة، فليس في واحد منها عبارة أن هذا الإنجيل وحيٌ من الله.

2. أن يذكر الكتاب نفسه اسم الرسول الموحى إليه هذا الكتاب، وأن تثبت نسبة الكتاب إلى الرسول بطريقة قطعية لا لبْسَ فيها ولا شكّ بطريق التواتر.

---

[1] «الروم»، ص ٤١. وقد استفدت الكلام قبله من ص١٨٥ من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب الشايع.

[2] باختصار وتصرف يسير من كتاب «تاريخ النصرانية»، للأستاذ عبد الوهاب الشايع، حفظه الله، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

3. أن تتم كتابته في زمن الرسول الذي أُنزل عليه، وبموافقته على ما جاء فيه.

4. أن يوجد بلغته الأصلية التي نزل بها.

5. أن يثبت بالدليل القاطع أن محتوياته قد وصلت إلينا بالتواتر، وأنها هي نفسها بالنص التي كانت عليه أيام الرسول الموحى بها إليه.

6. أن يخلو من التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، أو أي خطأ مهما كان على الإطلاق.

7. ألا يكون متناقضًا مضطربًا يهدِم بعضه بعضًا، وأن يكون كل جزء منه متمما ومكملا للآخر، لأن ما يكون من الله لا يختلف ولا يتناقض.

8. ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الأساسية الثابتة في الكتب السماوية التي سبقته.

9. ألا تتناقض محتوياته مع الحقائق الثابتة للعلم والكون على مر الزمان.

10. أن تُثبِت محتوياته أمام الفحص والتدقيق أنها وحي من الله، وأن يزداد قوة وتألقا على مر الزمن أو الأزمان التي يقول الكتاب أنه جاء لها.[1]

11. أن تكون نصوصه كلامًا موجهًا من الله إلى الرسول وإلى القوم المُرسل إليهم.

تمت الشروط الواجب توفرها في أي كتاب مقدس.

****

5. **احتواء الأناجيل على نَبوءاتٍ وبشاراتٍ بمحمد (صلى الله عليه وسلم)**

قال الأستاذ الباحث عبد الوهاب الشايع حفظه الله:

"يُلاحَظ أن هذه الأناجيل الأربعة تحتوي على نبوءات أو بشارات على الرغم مما أصابها من تحريف، إلا أنها لا تنطبق إلا على سيد البشر محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مما يدلُّ على أن مؤلفي هذه الأناجيل

[1]. انتهى كلام الأستاذ: عبد الوهاب الشايع.

الأربعة والرسائل الملحقة بها قد نَهَلوا أو استعانوا بطريقة ما من الإنجيل الموحى إلى السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، والله أعلم".[1]

****

6. بناء على ما ثبت لدينا نحن المسلمين من فُقدانٍ لكتاب الإنجيل الأصلي الذي كان المسيح يبشر به؛ ينبغي علينا عندما نذكر كلمة الإنجيل أو تُذكر أمامنا أن يتبادر إلى أذهاننا الإنجيل الذي أوحاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَام، والذي ورد ذكره في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، وليس هو أيا من الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بيد المسيحيين اليوم، ولو أُطلق عليها لفظ الإنجيل بالمفرد.

****

7. كما يجب علينا كمثقفين الانتباه إلى هذا الموضوع لكيلا يَغُشَّنا القساوسة والمنصّرون[2] الماهرون بالتلاعب بالكلمات، بادِّعائهم أن الإنجيل الذي بيدهم هو الإنجيل المذكور في القرآن، إذ إن الذي بين أيديهم هو أربعة أناجيل وليس إنجيلا واحدًا، وكلها منسوبة إلى مؤلفيها، وكذلك الرسائل الملحقة بها، أما "الإنجيل الأصلي" الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم فهو مفقود تمامًا، لا وجود له

---

[1]. «تاريخ النصرانية»، ص ١٩١.

[2]. المنصرون أي المُبَشِّرون، سُمُّوا بذلك لأنهم يدعون الناس إلى الدخول إلى «النصرانية»، المعروفة بـ«المسيحية»

أصلا عند المسيحيين بعد رفع المسيح، ولم تَذكر كتب التاريخ ذلك في مصدر واحد.

****

8. فبناء على هذا فإن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأ فادح، وزيغ عن طريق الحق، لأنه رجوع إلى كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وليس رجوعا إلى كتاب الله المقدس "الإنجيل الأصلي" الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارى "المسيحيون" هي فِعلاً الإنجيل الأصلي لما تعدَّدت ولَما تناقضت فيما بينها، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة.

****

9. وهذا الشيء يعرفه القساوسة في داخل نفوسهم، ولكن مع الأسف فإنهم لا يقبلون أن يناقشهم فيه أحد من الناس «الرعية» مناقشةً عقلية لأنهم يعجزون عن إجابته، ولأنه إذا انكشف فإنه سيهدم كيانهم من الأساس، فلهذا يلجئون إلى التحايل على عقول الناس بالترغيب والترهيب، فتارة يقولون للرعية إنهم ليس لهم حق في السؤال، وإذا حصل إلحاح من السائل ورأوا فيه الجُرأة والشجاعة استعملوا معه أسلوب الإرهاب، هذا في الكنائس العربية، فيهددونه بالقتل، ويسجنونه في الكنيسة، ويضربونه ضربا مُبَرِّحًا من قِبَلِ أناس

مخصصين لهذه المهمة (الشريفة)، وإذا كان السائل امرأة أخذوها عندهم، واغتصبوها واستمتعوا بجسدها، وضربوها ضربًا عنيفا، وأعرف شخصيًّا ثلاث نساء تعرضن للاغتصاب عقوبة لهنَّ على طرحِهنَّ أسئلة محرجة لرجال الكنيسة!

فالخط الأحمر عند رجال الكنيسة العربية هو العلم والفهم والسؤال والاقتناع، والخط الأخضر عندهم هو الانقياد والتبعية والتقليد الأعمى، ومن خالف ذلك شبراً فسيعرف مصيره بين عصابات الكنيسة المخصصين لهذه المهمة.

ومع وجود هذا الإرهاب الفكري، فقد انتبه لهذا الكيد الكنائسي بعضُ من عنده أنفةٌ وثقافة ووفور عقل، فمَحَّصَ كلامهم بنفسه، وسأل عن الدين الحق، وقارن بين هذا وهذا، ووصل إلى النتيجة بنفسه، ثم تبين له الدين الصواب من الدين الخطأ، لأن الإنسان إذا كان صادقًا بينه وبين ربه (الله) فإن الله لن يتركه حائرًا، بل سَيَدُلُّهُ إلى الدين الحقيقي، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبال عبده إليه.

****

خلاصة القول ثلاثة أمور

الأول: من المستحيلِ إثبات الكلمات الأصلية التي تَفَوَّه بها المسيح عيسى ابن مريم في لغته الأصلية الآرامية أو العبرية.

الثاني: لا يصح أن يقال إن الأناجيل المنتشرة والرسائل الملحقة بها هي كلام الله الذي أوحاه إلى المسيح، وذلك لانقطاع السند بين الأصول وترجماتها، وجَهالة المترجمين.

الثالث: لو جَعَلت المطابع المسيحية وغير المسيحية في العالم كله تعمل ليلا ونهارًا في طباعة العهد الجديد، وبكل لغة معروفة، فلن يُغَير ذلك من الحقيقة المتقدمة شيئًا، وهي أن أصول الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها (العهد الجديد) مفقودة ويستحيل العثور عليها.[1]

****

[1]. استفدتُ هذه الفوائد الثلاث من ورقات أرسلها لي أستاذي الكريم عبد الوهاب الشايع، حفظه الله، وهو الباحث في المسيحية لما يزيد عن أربعة عقود من الزمن.

الفصل الثاني: أين التوراة الأصلية؟!

الدليل التاريخي على أن العهد القديم ليس كلام الله

قد يتساءل سائل فيقول:

إذا كان الضياع والفُقدان هو حال "الإنجيل الأصلي" الذي كان بيد المسيح، فما هو حال التوراة الأصلية التي كانت بيد النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

وهل العهد القديم الذي بأيدي اليهود والنصارى الآن هو فعلا التوراة التي كانت بيد النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟[1]

فالجواب:

إن العهد القديم الذي بأيدي اليهود والنصارى الآن عبارة عن نصوص متفرقة مجهولة الأصل، أما النصوص الأصلية فقد حُرِقت عندما قام

[1]. هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم»، ص ٢٤، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلتُ فيه وزدت عليه بما يسر الله.

الآشوريون[1] بهدم دولة إسرائيل، وقد أُعيدت كتابتها ثانيةً بعد عدة أجيال اعتمادًا على التراث الشفهي، فهي لا تُمَثِّل النصَّ الأصلي الذي أنزله الله على موسى، فهذا **دليل تاريخي** على أن العهد القديم ليس كلام الله.

الدليل المنطقي على أن العهد القديم ليس كلام الله
(العهد القديم يدعو إلى الإرهاب)

أما الدليل **العقلي المنطقي** على أن العهد القديم ليس كلام الله فهو أنه يتضمن أمورًا لا يمكن أن تكون وحيًا من الله تعالى، كالأمر بالإبادة الجماعية (الإرهاب) كما في سفر التثنية (٢٠/ ١٦ - 17) على لسان الرب إذ يقول:

---

[1]. الآشوريون القدماء أقوام عاشت في أعالي بلاد ما بين النهرين، ويعود تاريخ إنشاء أقدم مستوطنة في المنطقة إلى ٦٠٠٠ قبل الميلاد في تل حسونة مسافة ٣٥ كم جنوب الموصل. ويعود أقدم ذكر لملك آشوري إلى القرن ٢٣ قبل الميلاد. وقد حاول دبيكيا الحاكم اليهودي الانقلاب على حكم البابليين فهاجمه الملك البابلي الشهير نبوخذ نصر الذي اشتهر بـ (بُخْتُنَصَّرَ)، وهدم أسوار القدس ومنازل أورشليم، وأخذ من بقي من اليهود عبيدا إلى بابل، وكانوا قرابة ٤٠٠٠٠، وهو ما يعرف بالسبي البابلي، وهدَم القدس وما فيها من معابد، وسلب منهم التابوت مرة أخرى، وذلك في عام ٥٨٦ قبل الميلاد. وبسبب غزوات الآشوريين والكلدانيين اختفت دولة اليهود في فلسطين بعد أن عاشت أربعة قرون (١٠٠٠ - ٥٨٦ ق.م.) كانت مليئة بالخلافات والحروب والاضطرابات. المصدر: Wikipedia.org

«وأما مدن الشعوب التي يهَبُها الرب ميراثا، فلا تستبْقوا فيها نسمة حية[1]، بل دمِّروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين[2]، والأموريين[3]، والكنعانيين[4]، والفرزيين[5]، والحويين[6] واليبوسيين[1] كما أمركم الرب إلـهُكم».

---

[1]. أي لا تتركوا فيها نفسًا على قيد الحياة، بل اقتلوهم جميعًا!

[2]. الحيثيون كانوا شعبًا أناضوليًّا لعب دورًا مهمًّا في تأسيس إمبراطورية كان مركزها خاتوشا في شمال وسط الأناضول عام 1600 قبل الميلاد تقريبًا. بلغت الإمبراطورية أوج قوتها في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد تحت حكم سوبيلوليوما الأول، إذ ضمّت الأناضول كلّها وأجزاءً من شمال بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين. المصدر: org.Wikipedia

[3]. الأموريون مجموعة من الساميين تشير بعض المصادر التاريخية إلى أنهم بدءوا منذ نهاية الألف الثالث ق.م بالانتشار في حواضر بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام على شكل موجات من مناطق البادية العربية. المصدر: Wikipedia.org

[4]. كنعان منطقة تاريخية تشمل اليوم فلسطين ولبنان والأجزاء الغربية من الأردن وسورية. تم استبدال الاسم «كنعان» بـ«سورية» عقب سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة. أسس الكنعانيون من القرن 7 ق. م. إلى القرن ٤ ق. م. مستعمرات كنعانية جديدة، امتدت من غرب البحر الأبيض المتوسط إلى حدود السواحل الأطلسية. المصدر: Wikipedia.org

[5]. الفرزيون شعب ورد ذكره مع الشعوب التي كانت تستوطن أرض كنعان (فلسطين)، ومما ورد عنهم أن إبراهيم الخليل أقام بعد وصوله إلى فلسطين في أراض كان أصحابها من الكنعانيين والفرزيين (سفر التكوين ٣٤:٣٠).

المصدر: www.palestinapedia.net (الموسوعة الفلسطينية)

[6]. الحويون شعب لم يرد ذكره في غير التوراة من المصادر القديمة، ولذا أصبحت الروايات التي وردت في الكتب التوراتية المصدر الوحيد الذي استند إليه المؤرخون في محاولتهم تحديد هوية هذا الشعب واستنباط ملامح تاريخه. ولما كانت روايات التوراة في أغلب الأحيان مقتضبة وغير وافية، وفي أحيان أخرى غير واضحة، فإن

وفي سفر التثنية (19/25): «فإذا أراحَكُمُ الرّبُّ إلـهُكم مِنْ جميعِ أعدائِكُمُ الّذينَ حَوالَيكُم في الأرضِ الّتي يُعطيكُم مِيراثا لِتمتَلِكوها، فلا تَنسَوا أنْ تَمحوا ذِكْرَ بَني عَماليق[2] مِنْ تَحتِ السَّماءِ».

فهذا الأمر بالإبادة الجماعية لا يمكن أن يصدر عن الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لأن الرب رحيم بعباده.

الغموض ما زال يكتنف تاريخهم، وستبقى معرفة هذا التاريخ ناقصة إلى حين العثور على مصادر جديدة تلقي ضوءًا على ما خفي من جوانبه.

المصدر: www.palestinapedia.net (الموسوعة الفلسطينية)

[1] اليبوسيون شعب سامي نزح مع الكنعانيين من شبة الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في خلال الألف الثالث ق.م.، واستقر اليبوسيون في منطقة القدس فقط بينما ذهب الكنعانيون إلى الساحل، واليبوسيون هم عبارة عن قبيلة كنعانية، وقد بنى اليبوسيون بقيادة ملكهم «ملكي صادق» مدينة القدس وأسموها «شاليم» وهو اسم إله السلام عند الكنعانيين، ثم حُرِّفت لاحقًا إلى (أورشالم) والتي تعني مدينة السلام، وقد كانت تسمى أيضا بـ«يبوس» نسبة إلى اليبوسيين، وبعد ذلك استقروا في المنطقة لمدة طويلة حتى وصول بني إسرائيل في القرن الثاني عشر ق.م، وحينها استولى الإسرائيليون على المدينة بقيادة نبي الله داود وطردوا اليبوسيون وحصنوا المدينة وشيدوا فيها الهيكل المزعوم، وبعد ذلك تشتت اليبوسيون في بلاد الشام ولم يرِد لهم أيُّ ذكر في التاريخ بعد ذلك. لم يطرد اليهود اليبوسيين من مدينة القدس بل أبقوا عليهم فيها وعاشوا معهم فيها كما ورد في التوراة في سفر القضاة، الإصحاح الأول: ٢١. المصدر: Wikipedia.org

[2]. عماليق جمع عملاق، والعماليق هم الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد. انظر «النهاية».

بل حتى الأطفال فإنهم لم يسلموا من الذبح بأمر الرب تعالى كما في سفر إشعيا (16/13): «وتُحطَّمُ أطفالهم أمام عيونهم، وتُنهَب بيوتهم، وتُفضَح نساؤهم».

كما أن السفر المسمى «نشيد الإنشاد» يمثل نصا جنسيا إباحيا كاملا لا يمكن أن يصدر عن الربِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

هذا غيضٌ من فيضٍ مما يدل على أن التوراة التي بأيدي اليهود الآن ليست هي التوراة التي كانت بيد النبي موسى عليه السلام، بل هي مما كتبه اليهود بعد عصر موسى مما سمعوه عمَّن قبلهم وزادوا عليه من عند أنفسهم.

فهذا دليل عقلي على أن التوراة المعاصرة ليست كلام الرب الأصلي.

****

الأدلة النقلية على أن العهد القديم ليس كلام الله

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لرب العالمين، فهل يُعقل أن تكون هي كلام الله؟

التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم (العهد القديم) يوجد في بعضها ما يناقض تعظيم الرب، ومن المحال أن يذم الربُّ نفسه لو كانت هذه التوراة هي الأصلية التي كانت بيد موسى والمسيح فعلا، والتي هي كلام الله حقًا، مما يدل دلالة قاطعة أنها ليست كلام الله، بل كلام بشر.

وسنضرب لذلك أمثلة لبعض ما هو مذكور في التوراة من تنقُّص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في صفاته، ثم نقارنها بكلام الله الحقيقي المذكور في القرآن:

1. تقول التوراة كما في سفر المزامير (٦٥:٧٨): «فاستيقظ الرب كنائم، كجبار مُعَيَّطٍ من الخمر».

ومعنى مُعَيَّط أي مد صوته بالصراخ والبكاء.

والتعليق: هل من المعقول أن الرب ينام ويترك الكون وجميع مخلوقاته بلا تدبير؟ حاشى الله أن ينام، فالنوم صفة نقص.

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نوم﴾[1]، ومعنى سِنَةٌ أي غفوة.

وهل من المعقول أن يتنقص الله نفسه الكريمة ويشبه حاله بشارب خمر؟!

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم أعظم وصف فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعلى﴾[2].

****

2. تقول التوراة كما في سفر حبقوق (١:٢): «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخَلِّص».

التعليق: هل من المعقول أن يتصف الرب بالصمم؟!

وهل هذا النوع من الخطابِ لائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

---

[1]. سورة البقرة: 255 .

[2]. سورة النحل: 60 .

هذه الصفة عند المخلوقين صفة نقص، يأنف منها الناس، فكيف يليق وصف رب العالمين بها؟!

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عبادي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دعَانِ﴾[2].

****

3. تقول التوراة كما في سفر الخروج (31: 17): «لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس».

التعليق: هل من المعقول - لو كانت التوراة كلام الله فعلا - أن يصف الرب نفسه بالاستراحة؟

ألا يعني هذا الكلام تنقُّص الله بوصفه تعِبَ بعد خلق السماوات والأرض؟ حاشى الله من صفة التعب. ما الفرقُ إذن بين الخالق والمخلوق؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ﴾[1]، واللُّغوب هو التعب والإرهاق.

---

[1]. سورة إبراهيم: 39 .

[2]. سورة البقرة: 186 .

****

4. تقول التوراة كما في سفر المزامير (٨٩: ٣٨-٤٦):

٣٨ «لكنك رفضت ورَذَلت، غضِبت على مسيحك

٣٩ نقضتَ عهد عبدِك، نجَّست تاجه في التراب

٤٠ هدمتَ كل جدرانه، جعلت حصونه خرابا

٤١ أفسده كل عابري الطريق، صار عارًا عند جيرانه

٤٢ رفعت يمين مُضايِقيه، فرَّحتَ جميع أعدائه

٤٣ أيضًا رددت حدَّ سيفه، ولم تنصره في القتال

٤٤ أبطلتَ بهاءه، وألقيتَ كرسيه إلى الأرض

٤٥ قصَّرْتَ أيام شبابه، غطيته بالخزي. سِلاه

٤٦ حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟ حتى متى يَتَّقد كالنار غضبك».

التعليق: هل من المعقول أن الرب يصف نفسه بكل هذه الأوصاف الرديئة من نكثٍ للوعد، واختباء من خلقه عن نصرة أوليائه، وغير ذلك مما هو مذكور؟

---

[1]. سورة ق: 38 .

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون﴾[1].

وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين﴾[2].

كما وصف الله نفسه بأنه العزيز الجبار المتكبر، ومعنى العزيز أي الغالب، قال الله في القرآن الكريم ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلـه إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون﴾[3].

لو أن أميرًا أو رئيسًا أو ملِكًا كتب للناس كتابًا، وقال فيه إنه ينقض العهد ويخبئ، لو فعل ذلك لسقط من عيون الناس، ولقالوا هذا لا يستحق أن يكون ملِكا، فإذا كان هذا غير لائق بمَلِكٍ من ملوك الدنيا، فكيف يليق أن يصف مَلِكُ الملوك نفسه بذلك في كتابه لو كان هذا الكتاب من عنده حقا؟!

هذا كله يدل على أن العهد القديم الذي بأيدي اليهود والنصارى كلام البشر وليس كلام الله.

****

[1]. سورة الروم: 6 .

[2]. سورة الذاريات: 58 .

[3]. سورة الحشر: 23 .

5. تقول التوراة كما في سفر القضاة (١٩:١): «وكان الرب مع يهوذا فمَلَكَ الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات حديد».

التعليق: هل من المعقول أن يكون الله الذي خلق الحديد وخلق كل شيء عاجز عن طرد سكان الجبل لأن عندهم مركبات حديد؟

أليس هذا من التلاعب بالعقول والتلاعب بدين الله؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم فقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[1]، وقال الله ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون﴾[2]، وقال ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[3].

****

6. تقول التوراة على لسان داود كما في سفر المزامير (١:١٣): «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟»

التعليق: هل من المعقول أن يخاطب نبي كريم ربه بهذا الخطاب الذي ليس فيه توقير واحترام، ويصف الله فيه بأنه نَسِيَه، وأنه حَجَب وجهه عنه؟

---

[1] سورة البقرة: 284 .
[2] سورة يوسف: 21 .
[3] سورة آل عمران: 160 .

من المعلوم أن الله يحب أنبياءه ورسله، وينصرهم ويتولاهم، وإلا فمن يتولى إذا كان سينسى أنبياءه الذين هم خُلَّص خلقه؟

لقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه ينصر رسله فقال ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ والَّذِينَ هُم مُحْسِنُون﴾[2]، وأولى الناس بوصف التقوى والإحسان هم الأنبياء بالطبع.

****

أقول: وقد علق على هذه المقارنة أحد الإخوة اسمه بدرات، وقد كان رجل دِينٍ برتبة (قُمُص)، ثم هداه الله للإسلام فقال:

"كم أدهشني هذا الكلام ومدى الفرق الكبير والواضح بين ما في كتاب القرآن المقدس وبين ما في كتاب الإنجيل المحرف الذي كنت أعتبره كتاب الرب، والذي أرى الآن بأن الرب يُمتهَنُ به."

****

7. ومن التحريفات المذكورة في التوراة (العهد القديم)، والتي تتضمن التنقص لرب العالمين، والتي تدل على أن التوراة ليست كلام الله بل كلام البشر؛ ما هو مذكور في (سفر إرميا) من أن الله يبكي وتسيل عيناه بالدموع، وهذا لا شك أنه تنقص لله، لأن البكاء صفة نقص،

[1] سورة غافر: 51 .
[2] سورة النحل: 128 .

يتنزه الله عنها، فلا يمكن أن يكون هذا كلام الله، ففي (سفر إرميا) (17/13): (فإن كُنتُم لا تَسْمَعُونَ[1] تبكي نَفسي في الخِفْيَةِ على كبريائِكُم، وتجري العَبَراتُ مِنْ عَينَيَّ وتَسيلُ بالدُّموعِ، لأنَّ قطيعَ الرَّبِّ سِيقَ إِلَى السَّبْيِ).

وأيضًا زعموا في كتبهم أن الله قال لإرميا: (لِتَسِلْ عَيناي بالدموع ليلا ونهارًا بِغَيرِ انقطاع، لأنَّ العذراء بنتَ شعبي أُصيبت بِجُرْحٍ بَليغ، بضربة لا شفاء منها). (سفر إرميا) (17/14).

فهذا كله لا شك أنه من افتراءات اليهود على الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الله له الصفات العليا، وهو منزه عن صفات النقص، فوجود هذا الكلام في كتبهم دليل على أنه ليس من كلام الله، إذ لا يمكن أن يصف الله نفسه بصفات النقص، بل هو من كلام بشر لا يُوَقِّرون الله تعالى ولا يحترمونه ولا يحترمون كلامه، بل يحرفون فيه بحسب ما يتفق مع أمزجتهم وأهوائهم.

****

[1]. أي: لا تسمعوا كلامه وتطيعوه.

العهد القديم يتضمن المسبة لثمانية من أنبياء الله، فهل يُعقل أن يكون العهد القديم كلام الله؟

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لنبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

زعم اليهود في كتابهم «العهد القديم» أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ شرِبَ الخمر وتعرّى داخل خبائه (أي خيمته)، وفي هذا قالوا في (سفر التكوين) (9/20-21): (وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كرمًا، وشرِب من الخمر، وتعرى داخل خبائه).

هكذا وصفوا نبي الله نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أول أنبياء الله إلى المشركين، وهو الذي دعا قومه إلى دين الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، كما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ حيث قال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.[1]

[1] سورة العنكبوت: ١٤.

وقالوا بعد الكلام السابق في (سفر التكوين) (9/22-25):

(فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه (يقصدون نوحًا)، وأخبر أخويه خارجًا (أي أخبرهما وهو خارج)، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء فلم يُبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علِم ما فعل به ابنُه الصغير (أي كنعان)، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته).

والكذب في هذه القصة ظاهر، لأن فيها أنَّ حام هو الذي أبصر عورة أبيه، فلماذا إذن يلعن نوح ابنه كنعان؟

ولماذا خُصَّ كنعان باللعن من بين إخوته لو كانت هذه القصة صحيحة؟

الجواب: إن ذلك الافتراء على نوح كان لهدف خاص في نفوسهم، وهو لعن الكنعانيين الذين هم أعداؤهم، ولو تطلب ذلك الافتراء على الله عَزَّ وَجَلَّ بتحريف كتابه، والكذب على نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَام.[1]

إن هذا الطعن في نبي الله نوح لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليه، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.

---

[1]. استفدت هذه الفائدة من (موسوعة الدرر السنية) - موسوعة الأديان - الباب الثاني: اليهودية وما تفرع عنها: الفصل التاسع: وصْفُ اليهود للأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ في التوراة المحرفة - المبحث الأول: نوح عَلَيْهِ السَّلَام.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لنبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَام، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

مِن الأنبياء الذين افترى عليهم اليهود في كتبهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد افتروا عليه فريةً عظمى، ورموه بشنيعة كبرى يترفع عنها أعظم الناس فسادًا، حيث زعم اليهود أن لوطًا عَلَيْهِ السَّلَام لما أنجاه الله من القرية التي كانت تعمل الخبائث؛ تآمرتا عليه ابنتيه، فسقتا أباهما خمرا، فزنى بابنته الكبرى، ثم تآمرتا عليه في الغد فسقتاه خمرا، ثم زنى بالصغرى، وأن البنتين أنجبتا من ذلك الزنا، وهذا محضُ افتراء وبهتان لنبي كريم ولبناته وأهل بيته الصالحين.

ولو بحثنا عن سبب افتراء اليهود لهذه الفرية في كتابهم لوجدنا أنهم إنما قصدوا بذلك الطعن في أعدائهم المؤابيين والعمونيين، لأنهم زعموا أن البنت الكبرى حملت من ذلك الزنا فأنجبت مؤاب، وهو أبو المؤابيين، وأن الصغرى حملت أيضًا من ذلك الزنا وأنجبت بني عمي، وهو أبو بني عمون، فلهذا السبب كذَب اليهود على نبي الله ووصموه بهذه الفعلة الشنيعة.

وهذا الافتراء على نبي الله لوط مذكور في سفر التكوين «30/19-38»، وفي ذلك أوضحُ دليل على تحريف اليهود للتوراة.

ومن باب الفائدة؛ فقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ لنا صلاح لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وطهارتهم على لسان أعدائه، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون﴾[1].

فتبين من الآية الكريمة أن أعداء لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وصفوه وأهل بيته بالطهارة.

إن الطعن المتقدم في نبي الله لوط وابنتيه لهو بحد ذاته دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليه، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.[2]

****

[1]. سورة النمل: ٥٦.

[2]. استفدت هذه الفائدة من (موسوعة الدرر السنية) - موسوعة الأديان - الباب الثاني: اليهودية وما تفرع عنها: الفصل التاسع: وصْفُ اليهود للأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ في التوراة المحرفة - المبحث الثاني: لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لنبي الله هارون عَلَيْهِ السَّلَام، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

زعم اليهود أن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي صنع لهم العجل ودعاهم إلى عبادته، فقالوا في سفر الخروج (1/32):

(ولما رأى الشعبُ أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قُم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ... فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها .... فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يعقل أن نبيًّا كريمًا أرسله الله لدعوة قومه إلى عبادة الله وحده يصنع لقومه عجلًا، ويدعوهم إلى عبادته؟!

حاشى أنبياء الله عن ذلك.

وقد بيّن الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن أن الذي صنع لهم العجل هو السامري، فقال عَزَّ وَجَلَّ لموسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السامري﴾[1].

أما هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد قام بواجبه الشرعي الذي أمره الله به، فنهاهم عن عبادة العجل، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرحمـٰن فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾.[2]

إن الطعن المتقدم في نبي الله هارون عليه السلام لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليه، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.[3]

****

[1]. سورة طه: ٨٥.

[2]. سورة طه: ٩٠.

[3]. استفدت هذه الفائدة من موسوعة (الدرر السنية) - موسوعة الأديان – الباب الثاني: اليهودية وما تفرع عنها: الفصل التاسع: وصْفُ اليهود للأنبياء عَلَيْهِم السّلام في التوراة المحرفة - المبحث الرابع: هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لأنبياء الله يعقوب (إسرائيل) ووالده إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

يعتز اليهود ويفتخرون بإسرائيل، وهو النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبه سَمَّوا دولة فلسطين التي اغتصبوها من المسلمين، بينما التوراة التي بأيديهم تتضمن التنقص والسب لإسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما سيأتي، مما يدل على أن التوراة التي بأيديهم ليست هي التوراة الأصلية التي كانت بيد النبيَّين الكريمين موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فحاشى كلام الله أن يتضمن سب أنبيائه، بل هي كتب محرفة، وفيما يلي نقل من التوراة يدل على أنهم أدخلوا فيها كذبًا على النبي إسرائيل، ووصفوه بالكذب على والده إسحاق، وأنه احتال عليه لأخذ النبوة من أخيه الأكبر «عيسو».

وتفصيل ذلك أنهم زعموا في كتبهم أن «إسرائيل» احتال على أبيه إسحاق لأخذ النبوة والبركة من أخيه الأكبر «عيسو» بالتواطؤ مع أمهما «رفقة»، فذكروا أن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كَبِر وكُفَّ بصره دعا ابنه عيسو، وهو الأكبر، وطلب منه أن يصطاد له جديًا ويطبخه حتى يباركه، وحسب التقليد لديهم فإن البركة تكون للأكبر، فذهب عيسو للصيد كما أمره أبوه، إلا أن أمهما كانت تحب يعقوب -وهو الأصغر- أكثر من أخيه عيسو، وأرادت أن تكون البركة له وليست

لأخيه، فدعته وأمرته أن يُحضر جديًا فيطبخه، وأن يلبس ملابس أخيه عيسو، ويضع فوق يديه جلد جدي حتى يبدو جسمه بشعر مثل جسم أخيه عيسو، فيظن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه هو فيباركه، ففعل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك -بزعمهم - ثم دخل على أبيه، وكذب عليه وقال إنه عيسو، فصدقه أبوه في كذبه، لأنه كفيف البصر، ثم أكل مما صاده، وأحضر له خمرًا فشرب، ثم شم رائحته وباركه، ودعا له بأن يكون ذا مال وسؤدد، وأن يرزقه الله حنطة وخمرًا !

ثم بعد ذلك جاء عيسو من رحلة الصيد، وعلِم والدُه منه أنه هو عيسو، وأن يعقوب كذب عليه فيما قاله إنه هو عيسو، فطلب عيسو من والده أن يباركه فاعتذر إسحاق بأنَّ يعقوب أخذ البركة، ولم يُبقِ شيئًا له، بل قال له: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا، وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، فَمَاذَا أَصْنَعُ إِلَيْكَ يَا ابني؟

فَقَالَ عِيسُو لِأَبِيهِ: أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي، وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى، فَأَجَابَ إِسْحَاقُ وَقَالَ لَهُ: «هُوَ ذَا بِلَا دَسَم، الْأَرْضُ يَكُونُ مَسْكَنُكَ، وَبِلَا نَدَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ، وَبِسَيْفِكَ تَعِيشُ، وَلِأَخِيكَ تُسْتَعْبَدُ ... » انظر: «سفر التكوين» (٢٧/ 18-40).

ففاز يعقوب بالبركة بهذه الحيلة بزعمهم، والتي فيها عدة افتراءات وكذبات، وهي:

- زعمهم أن إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ شرب الخمر.

• زعمهم أن أباهم إسرائيل كذب على والده.

• زعمهم أن أباهم إسرائيل انتحل شخصية أخيه عيسو كيدًا.

• زعمهم أن أباهم إسرائيل أخذ ما ليس له فيه حق احتيالًا، وهو النبوة.

* يلزم من هذه القصة أن إسرائيل عقّ والده إسحاق، وظلم أخيه عيسو.

* وصْفُهم لأبيهم إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ بالغباوة، وحاشاه من ذلك، حيث لم يستطع أن يميز بين الشعر الذي على يد ولده عيسو وبين شعر الجدي، وهو أمر مستبعد جدا أن يقع لأقل الناس إدراكًا وأشدهم غفلة، فضلا عن أن يكون نبيا كريمًا، اختاره الله تعالى من سائر البشر لدعوة الناس إلى الخير، وهذا كله مما يدل على كذبهم على أنبيائهم، ووصفهم لهم بما لا يليق.

• زعمهم أن أم يعقوب وعيسو وهي (رِفقة) أنها أوعزت إلى يعقوب بخيانة أخيه الأكبر عيسو، والكذب على والدهما إسحاق، وهذا الخلق من الدناءة، وهو مما تترفع عنه الأمهات، لاسيما زوجات الأنبياء، فكيف إذا كانت في نفس الوقت أم أنبياء؟!

• ثم إن وصفهم لأبيهم إسحاق بأنه هو الذي يمنح البركة المتمثلة في النبوة باطل، فإن استحقاق النبوة ليس بيد إسحاق ولا غيره من

الأنبياء، بل هي محض تفضل واختيار من الله عَزَ وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾[1].

إن الطعن المتقدم في أنبياء الله إسحاق ويعقوب لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليهما، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.[2]

****

[1] سورة الأنعام: 128 .

[2]. استفدت هذه الفائدة من موسوعة (الدرر السنية) - موسوعة الأديان - الباب الثاني: اليهودية وما تفرع عنها: الفصل التاسع: وصف اليهود للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في التوراة المحرفة – المبحث الرابع: يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لنبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

زعم اليهود أن نبي الله داود زنى بامرأة أحد جنوده، وحبَلت من ذلك الزنا، ثم إنه تسبب في مقتل زوجها حيث أمر أن يُجعل في مقدمة الجيش حتى يُعرّضه للقتل، ثم بعد مقتل زوجها تزوّجها، ثم مات ذلك المولود، ثم حبلت مرة أخرى، فأنجبت النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقد جاء في (العهد القديم)، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر ما ملخصه أن داود أقام في أورشليم، ولما كان وقت المساء قام عن سريره وتمشى على سطح بيت المَلِك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقيل له: هذه (بَثشَبَعَ بنت أليعَام) امرأة (أوريا الحثي) أحد جنوده، فأرسل داود إليها فدخلت عليه فاضطجع معها وهي مُطهَّرة من طمثها (أي حيضها)، ثم رجعت إلى بيتها وقد حبلت المرأة منه، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حُبلى (أي حامل).

فدعا داود أوريا وقال له: «أقم هنا اليوم، وغَدًا أصرِفُكَ»، فبقي أوريَا ذلِكَ اليوم في أورشليم، وفي اليوم التَّالي دعاه داود، فأكل مَعَهُ وشربَ حتى سَكِرَ، ثُمَّ خرَجَ مساءً، فنامَ حيثُ ينامُ الحَرَسُ، ولم يَنزِلْ إِلَى بَيْتِهِ.

فكتب داود مكتوبًا إلى (يواب) (قائد الجيش)، وأرسله بيد أوريا (زوج المرأة)، وكتب في المكتوب: (اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وأرجعوا من وراءه، فيُضرب ويموت)، فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب، فسقط بعض الشعب من عبيد داود، ومات (أوريا الحثي) فيمن مات من الجنود، بحسب ما قالوه في كذبهم، إلى أن قالوا: فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رَجُلها (أي زوجها) ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة، وولدت له ابنا، وأما الأمر الذي فعله داود فَقَبُح في عيني الرب.

التعليق: هل يمكن أن يحصل هذا التصرف الدنيء من داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

إن هذا الطعن في نبي الله داود لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليه، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.

****

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص لنبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

زعم اليهود فيما افتروه في كتبهم على أنبياء الله أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام تزوّج بنساء مشركات يعبُدن الأصنام، **ثم هو عبَد الأصنام معهن**، وبنى للأصنام أيضًا معابد لعبادتها، وأنه انحرف بقلبه عن ربه، وأن الرب غضب عليه، وهذا من أظهر أدلة تحريف الكتب الإلهية والعبث فيها وفق أهوائهم ورغباتهم.

جاء في (سفر الملوك الأول) (إصحاح 11): «وَأَوْلَعَ سُلَيْمَانُ بِنِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ كَثِيرَاتٍ، فَضْلًا عَنِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَتَزَوَّجَ نِسَاءً مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، وَكُلُّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ الأُمَمِ الَّتِي نَهَى الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنِ الزَّوَاجِ مِنْهُمْ قَائِلًا لَهُمْ: «لَا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُغْرُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ».

وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ الْتَصَقَ بِهِنَّ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُنَّ. فَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مَحْظِيَّةٍ، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ. فَاسْتَطَعْنَ فِي زَمَنِ شَيْخُوخَتِهِ أَنْ يُغْوِينَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُسْتَقِيمًا مَعَ الرَّبِّ إِلٰهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ عَبَدَ[1]

[1] الكلام عائد على النبي سليمان، حاشاه من ذلك.

عَشْتَارُوثَ آلِهَةَ الصَّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ إِلٰه الْعَمُونِيِّينَ الْبَغِيضَ، وَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعْ سَبِيلَ الرَّبِّ بِكَمَالٍ كَمَا فَعَلَ أَبُوهُ دَاوُد.

وَأَقَامَ عَلَى تَلِّ شَرْقِيَّ أُورْشَلِيمَ مُرْتَفِعًا لِكَمُوش (إلٰه الموآبيين الْفَاسِقِ)، وَلِمُولَكَ (إلٰه بَنِي عَمُّونَ الْبَغِيض).

وَشَيَّدَ مُرْتَفَعَاتٍ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي رُحْنَ يُوْقِدْنَ الْبَخُورَ عَلَيْهَا، وَيُقَرِّبْنَ الْمُحْرَقَاتِ لِآلِهَتِهِنَّ.

فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ ضَلَّ عَنْهُ، مَعَ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ مَرَّتَيْن، وَنَهَاهُ عَن الْغِوَايَةِ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يُطِعْ وَصِيَّتَهُ، لِهَذَا قَالَ اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ: لأَنَّكَ انْحَرَفْتَ عَنِّي وَنَكَثْتَ عَهْدِي، وَلَمْ تُطِعْ فَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي حَتْمًا أُمَزِّقُ أَوْصَالَ مَمْلَكَتِكَ، وَأُعْطِيهَا لأَحَدِ عَبِيدِكَ. إِلَّا أَنَّنِي لَا أَفْعَلُ هَذَا فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. غَيْرَ أَنِّي أُبْقِي لَهُ سِبْطًا وَاحِدًا، يَمْلِكُ عَلَيْهِ إِكْرَامًا لِدَاوُدَ عَبْدِي، وَمِنْ أَجْلِ أُورْشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا».

ففي هذا النص المفترى في التوراة على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبين أن اليهود يتهمونه بخمس تهم، وهي:

١. أن النساء شغلنه عن الله، فلم يَعُدْ يَعبد الله.

٢. أنه صار يميل إلى عبادة آلهة نسائه وتَرَك عبادة الله.

٣. أن الله حذر سليمان ولم يتعظ ولم يرتدع.

٤. أن الرب غضِب على سليمان.

٥. أن الله توعده بتمزيق مملكته.

إن هذا الطعن في نبي الله سليمان لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى من اليهود في كتبهم عليه، ودليل قاطع على أن العهد القديم ليس كلام الله.[1]

****

[1]. استفدت هذه الفائدة من موسوعة الدرر السنية - موسوعة الأديان – الباب الثاني: اليهودية وما تفرع عنها: الفصل التاسع: وصْفُ اليهود للأنبياء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ في التوراة المحرفة - المبحث الرابع: سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التوراة المعاصرة تتضمن المسبة والتنقص للنبي هوشع[1] عَلَيْهِ السَّلَام، فهل يُعقل أن تكون التوراة كلام الله؟!

زعم اليهود فيما افتروه في كتبهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الله قال لنبيه هوشع عَلَيْهِ السَّلَام: تزوّجْ من عاهرة لتنجب لك أبناء زنى!

ففي سفر هوشع (1:2):

«وَأَوَّلُ مَا خَاطَبَ الرَّبُّ بِهِ هُوشَعَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: اذْهَبْ وَتَزَوَّجْ مِنْ عَاهِرَةٍ، تُنْجِبُ لَكَ أَبْنَاءَ زِنى، لأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زَنَتْ إِذْ تَرَكَتِ الرَّب».

وفي سفر هوشع (٣: ١):

ثُمَّ قَالَ لِي الرَّبُّ: «اذْهَبْ ثَانِيَةً وَأَحْبِب امْرَأَةً عَشِيقَةَ آخَرَ، زَانِيَةً، أَحْبِبْهَا كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِشَعْبِهِ إِسْرَائِيل، على الرَّغْمِ مِنْ ضَلَالِهِمْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَوَلَعِهِمْ بِتَقْدِيمِ قَرَابِينِ الزَّبيبِ لَهُمْ».

[1]. اسمه في العربية (يوشع)، وهو فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التعليق:

إن مجرد نسبة هذا الكلام إلى الله لهو دليل كافٍ على أنه كذب مفترى على الله، ودليل قاطع على أن العهد القديم محشو بالأكاذيب والافتراءات، وليس كلام الله، إذ كيف يليق بالله تعالى الذي اختار خيرة خلقه وهم الأنبياء ليهدوا الناس إلى أحسن الأخلاق أن يأمر نبيه هوشع برذائل الأخلاق، ويدله على الزانيات ولا يدله على العفيفات؟!

إن القارئ لمثل هذه الأكاذيب والافتراءات ليقشعر جلده ويصاب بالغثيان ويخشى وقوع عقوبة من السماء، بينما اليهود يعتبرون هذا أمرًا عاديًا وأن هذا الكلام كلامٌ مقدسٌ!

ووالله إنها لجرأة عظيمة على الله تعالى، وكفر ليس بعده كفر.

****

التلمود ينص على أن اليهود شعب الله المختار، وأن غير اليهود مُسَخرون لهم، كما هو حال الحيوانات والدواب.

كما ينص التلمود على أن عنصر خِلقة اليهود من عنصر الله، وأن حُرمتهم كحرمة الله.

كما يحثُ التلمود اليهود على العدوان (الإرهاب) على من ليسوا يهودًا، واغتصاب أموالهم!

فهل يصح أن يكون هذا التلمود تشريعا دينيا؟!

زعم اليهود فيما افتروه في كتبهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن عنصر اليهود من الله! وأنهم شعب الله المختار! وأن غير اليهود كالحمير لليهود، وأنهم ليس لهم احترام، وأن أموالهم ونسائهم وأراضيهم حلال لليهود أن ينتزعوها منهم ويمتلكوها.

ففي كتاب التلمود الذي هو من وضع أحبار اليهود (إن الأمَمِيين الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، فإذا نَفَقَ منهم حمار، ركبنا منهم حمارًا). معنى نفق أي مات.

وأيضًا يوجد نص في التلمود يقول: (نحن شعب الله في الأرض، سخَّر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان، نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، إن اليهود من

عنصر الله، **كالولد من عنصر أبيه**، ومن يصفع اليهودي كمن صفع الله، يُباح لإسرائيل اغتصاب مالِ أيٍّ كان. وإن أملاك غير اليهودي كالمال المتروك، يحق لليهودي أن يمتلكه).

هذان النصان يتضمنان أمورًا عشرة:

١ - تُبين هذه النصوص مبرِّر دعوى اليهود أنهم (شعب الله المختار).

٢ - تشبيه غير اليهود من بني الإنسان بالدواب والطيور، والحمير على الخصوص.

٣- تفضيل اليهود على سائر البشر.

٤- دعوى أن الإنسان اليهودي مقدَّس ومعظم.

٥- دعوى أن باقي الأجناس من البشر محتقرون ولا أهمية لوجودهم على هذه الحياة.

٦- دعوى أن عنصر اليهودي من عنصر الله، يعني أن ذات اليهودي مثل ذات الله في ماهيتها، تعالى الله عن ذلك.

٧- دعوى أن اليهودي يحق له اغتصاب مال غيره من غير اليهود.

٨- هذه النصوص تفسر شعور الكبر والغرور عند اليهود.

٩- كما تبين هذه النصوص الشيطانية مبرر احتلال اليهود لأرض فلسطين، ونهب ثرواتهم، واغتصاب أراضيهم، وإشعال الفتن والقلاقل في فلسطين وغيرها من بلاد العالم.

١٠ - كما تبين هذه النصوص شدة حب اليهود للمال والسيطرة على الغير.

ومن هذه النصوص التلمودية وأشباهها يتبين مكانة حقوق الإنسان عند اليهود، فالإنسان عندهم هو اليهودي، أما غيرهم فإنهم مسخرون لهم، كما سخر الله الحمير للإنسان.

وللعلم، فالتلمود له مكانة عظيمة عند اليهود، وهو مُقدس عندهم وهام، يتضح ذلك في النقاط الثمان التالية:

١ - التلمود هو النص المركزي الثاني لليهودية الحاخامية بعد التوراة.

٢- التلمود هو المصدر الأساسي للشريعة الدينية اليهودية.

٣- التلمود هو اللاهوت اليهودي والكتاب المِحوري للحياة الثقافية في كل المجتمعات اليهودية.

٤ - التلمود هو المؤسس لكل الفكر والأمل الذي يهتدي به اليهود.

٥ - التلمود هو الهادي في الحياة اليومية لليهود.

٦ - التلمود فيه تعاليم لآلاف الحاخامات في مواضيع شتى، منها الشريعة والأخلاق والفلسفة والأعراف والتاريخ والفلكلور ومواضيع كثيرة أخرى.

٧- التلمود هو الأساس لكل الهيئات في الشريعة اليهودية.

٨- يُستدل بنصوص التلمود كثيرًا في أدبيات الحاخامات والأعراف الأساسية الهامة للمجتمع اليهودي بأكمله.

****

الأدلة القرآنية على ضياع التوراة والإنجيل وتحريفها

قَالَ الله تَعَالى فِي وصفِ الْيَهُود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾[1].

وقَدْ زَجَرَ اللهُ الْيَهُود ووبَّخَهم عَلى إِخْفَاء الْحَقِّ الْمَذْكُورِ فِي التَّوراة فَقَال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرا﴾[2].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى مُبينًا تَحْريفَ الْيَهُود للتّورَاة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[3].

وقَالَ الله تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ أَيْضًا: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾[1]. والْمَقْصُود بقَوْله: الَّذِينَ هَادُوا؛ أَي الْيَهُود.

---

[1]. سورة المائدة: ١٣.
[2]. سورة الأنعام: ٩١.
[3]. سورة البقرة: ٧٥.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ أَيْضًا: ﴿يا أيها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه﴾[2].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُود: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[3].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى مُخاطِبًا عُلَماءَ أَهلِ الْكِتَابِ كُلِّهم (الْيَهُودِ والنَّصَارَى): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[4].

---

[1]. سورة النساء:٤٦.
[2]. سورة المائدة: ٤١.
[3]. سورة آل عمران: ٧٨.
[4]. سورة آل عمران: ٧١.

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ عُلَماءِ أَهل الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارى): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثمنا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُون﴾[1].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى عَن أَهْلِ الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارَى): ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُون﴾[2].

وقَد وَعظَ الله تعالى أَهْلِ الْكِتَاب (الْيَهُود والنَّصَارَى) فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين﴾[3].

والمقصود بالرسول هنا هو مُحمَّد (صلى الله عليه وسلم)، والمقصود بالنور هو القرآن.

****

[1]. سورة آل عمران: ١٨٧.
[2]. سورة البقرة: ٧٩.
[3]. سورة المائدة: ١٥.

خاتمة

تبين مما تقدم من المناقشة العقلية والنقلية أن العهدين القديم والجديد ليسا كلام الله الذي أنزله على موسى وعيسى (عليهما السلام)، وإنما كتبٌ فيها الصواب والخطأ، كأي كتاب من كتب التاريخ، مع الوضع في الاعتبار أن الأخطاء التي تعتري كتب التاريخ هي في الغالب أخطاء غير مقصودة، وإنما أخطاء بشرية بسبب القصور في تدوين الأحداث، أما العهدين القديم والجديد فالأخطاء التي فيه مقصودة، دسها علماء اليهود لتحريف رسالة موسى (عليه السلام)، وهو واضح مما قرأناه من وصف رب العالمين بالنقائص، والمسبة لأنبياء الله، والحث على الإبادة الجماعية، هذا غير التلمود، الذي ألفه علماء اليهود من رؤوسهم، وجعلوه دستورا لفهم التوراة المحرفة.

والإسلام دين العدل، فكما أن القرآن ينص على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم فهو يشهد أن فيها أخبارا صحيحة، قال تعالى ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾[1]، وقال تعالى ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾[2]، أي

[1] سورة آل عمران: 93 .

[2] سورة يونس: 94 .

اسأل بني إسرائيل إن كنت شاكا في نبوتك، فإنك مكتوبٌ عندهم، ووصفك مذكورٌ في كتبهم.

ومن الأخبار الصحيحة المذكورة في العهدين القديم والجديد الإشارات إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكذلك ما هو مذكور في العهد الجديد من التصريح بنبوة المسيح عليه السلام، والتصريح بأنه رسول، والتصريح بأنه معلم، والتصريح بأنه بشر.

****

أسئلة امتحان الفصل السادس

القسم الأول – إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله

1. ما هو الدليل التاريخي على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله؟

2. كم عدد الأدلة العقلية (المذكورة في دليل الدعاة) الدالة على إثبات أن العهد الجديد ليس كلام الله؟

3. اسرد نصف تلك الأدلة.

4. ما هي الحقائق المتعلقة بمؤلفي الأناجيل الأربعة؟

5. كم عدد السنوات التي تتحدث عن حياة المسيح عليه السلام كما هو في الأناجيل الأربعة؟

6. هناك دليل عقلي (منطقي) قوي على أن المسيح لا يعلم بالأناجيل الأربعة، ما هو؟

7. هل هناك شهادات من مفكرين مسيحيين على ضياع الإنجيل الأصلي الذي كان بيد المسيح؟ اذكر شيئا منها.

8. ما هي الشروط الواجب توافرها في أي كتاب مقدس؟

القسم الثاني – إثبات أن العهد القديم ليس كلام الله

9. ما هو الدليل التاريخي على إثبات أن العهد القديم ليس كلام الله؟

10. ما هو الدليل العقلي على إثبات أن العهد القديم ليس كلام الله؟

11. هل العهد القديم يدعو إلى الإرهاب؟ وضح ذلك.

12. هل العهد القديم يتضمن فضائح جنسية. وضح ذلك.

13. كم عدد الأدلة النقلية (المذكورة في دليل الدعاة) الدالة على إثبات أن العهد القديم ليس كلام الله؟

14. اذكر مثالا على ما يتضمنه العهد القديم من مسبة لرب العالمين.

15. اذكر مثالا واحدا على ما يتضمنه العهد القديم من مسبةٍ لبعض أنبياء الله.

16. ما هي حقيقة التلمود؟

17. هل التلمود يدعو إلى الإرهاب والعدوان؟ وضح ذلك.

18. هل التلمود يدعو إلى ازدراء من ليسوا يهودا؟ وضح ذلك.

19. هل التلمود يدعو إلى خلق الكبر؟ وضح ذلك.

20. ما هي النتيجة المستفادة من بحث (أين التوراة والإنجيل الأصليان؟)

فهرس الفصل السابع

ملحق المنهج التعليمي

- قضية التحريف والكتمان عند بني إسرائيل
- حقيقة بني إسرائيل في العهد القديم
- حقيقة بني إسرائيل في العهد الجديد
- انتقال النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل
- بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعدما عَظُم تحريف رسالة المسيح

  - دين خاتمي / نبي خاتمي / كتاب خاتمي
- إثبات أن العهدين القديم والجديد يتضمنان بشارات كثيرة بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)
- دين محمد (الإسلام) أتى بحسنتين عظيمتين إلى دين المسيح

  - صَحَّح التحريفات التي وقعت عليه
  - أحيا تعاليم كان المسيح عليه السلام يؤديها
- نقد الكنيسة من كلام المفكرين
- نقد الكنيسة من كلام القساوسة

- الإسلام يحث على إعمال العقل
- **أسئلة امتحان الفصل السابع**

الفصل السابع

قضية التحريف والكتمان عند بني إسرائيل

إن كتب اليهود والنصارى تصرح بأنها محرفة، حرفها علماء بني إسرائيل، فكيف يصح تسميتها بالكتاب المقدس؟

إن الكتاب المقدس هو الكتاب الإلٰهي المحفوظ من الزيادة أو النقص، فإذا تطرقت إليه الزيادة أو النقص فصفته أنه كتاب بشري ومحرف، وليس كتابا مقدسا.

وقد جاء في العهد القديم آيات كثيرة في توبيخ بني إسرائيل على تحريفهم للكتاب المقدس الذي كان بيد موسى (عليه السلام).

- ففي سِفر إرميا (36 : 23) يخاطب إرميا بني إسرائيل قائلا: (... إذ **قد حوّلتم كلام الإلٰه الحي**، رب القوات إلٰهنا).
- وفيه ورد على لسان الرب في (8/ 8-9): (كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ إن قلم الكتبة الكاذب **حوّلها إلى الكذب.**

سيَخْزى الحُكَماءُ ويَفزَعون ويُؤخَذون. ها إنَّهم **نَبَذوا كَلِمَةَ الرَّب**، فأَيَّةُ حِكمَةٍ لَهم؟)

***

حقيقة بني إسرائيل في العهد القديم

جاء ذم بني إسرائيل في العهد القديم، ففي سفر حزقيال أن الرب قال له: إني مرسلك إلى بني إسرائيل، إلى أناس **متمردين** قد تمردوا علي، فقد عصوني هم وآباؤهم إلى هذا اليوم نفسه، فأرسلك إلى البنين **الصلاب الوجوه، القساة القلوب**.[1]

***

كما جاء وصفهم في سفر أشعياء بأسوأ الصفات وأحطها، فوصفهم بالتمرد والأمة الخاطئة، والشعب المثقل بالآثام، وأنهم ذرية أشرار وبنين فاسدين، وأنهم ارتدوا على أعقابهم.[2]

***

وفي سِفر الخمسينات من مخطوطات البحر الميت، ورد على لسان الرب مخاطبا موسى عن بني إسرائيل قائلا: (سينسون شريعتي كلها ووصاياي كلها وأحكامي كلها).

[1] سفر حزقيال (2 / 3-4).
[2] سفر أشعياء (1 / 1-6).

وقد جاء وصف علماء بني إسرائيل في مواطن كثيرة في العهدين القديم والجديد بالعميان[1]، ونسل فاعلي الإثم[2]، وفاعلي الشر[3]، وقتلة الأنبياء[4]، وقليلي الإيمان[5]، ما ترتب على ذلك من التحريف والتغيير في دين النبيين موسى وعيسى ما الله به عليم.

***

فالحاصل أنَّ هذا الشعب لم تصلح فيه الدعوات، وحُكم عليه من الإلٰه الواحد القهار بأنه ليس أهلا لتحمل أعباء رسالة الرب، إذ أنه قائم بهدم النبوات، من تحريف للكتب، وقتل للأنبياء، ومحاربة للمصلحين، فحكم عليه بانتقال النبوة عنه إلى أمة أخرى تعبد الله وتتبع شريعته وتعظمها.

***

والعجيب أن النصارى أنهم ينظرون إلى اليهود على أنهم أساس اعتقادهم، لكونهم سبقوهم، فأسسوا دينهم على خطأ اليهود، متجاهلين أو جاهلين فداحة الانحراف الذي هم فيه، مقلدين لهم بدون تمحيص.

---

[1] انظر يوحنا (40:9).
[2] انظر المزامير (4:94).
[3] انظر إشعياء (20:14).
[4] انظر الملوك الأول (10:19).
[5] انظر متى (8:16).

***

حقيقة بني إسرائيل في العهد الجديد

وصف المسيح بني إسرائيل فقال: (يَنظُرونَ ولا يُبصِرون، ولِأَنَّهم يَسمَعونَ ولا يَسمَعون ولا هم يَفهَمون.

ففيهِم تَتِمُّ نُبوءة إشعيا[1] حيث قال: تَسمَعونَ سَماعًا ولا تَفهَمون، وتَنظُرونَ نظَرًا ولا تُبصِرون.

فقد غَلُظَ قَلبُ هٰذا الشَّعب، وأَصَمُّوا آذانَهم وأَغمَضوا عُيونَهم، لِئَلَّا يُبصِروا بِعيونِهم ويَسمَعوا بِآذانِهم ويَفهَموا بِقُلوبِهم ويَرجِعوا ..."[2].

***

ولما أقبَلَ إلى يَسوعَ بَعضُ الفريسيينَ ومُعلّمي الشَّريعةِ مِنْ أُورُشلِيمَ؛ سألوه: لِماذا يُخالِفُ تلاميذك تقاليد القُدَماءِ؟

أجابَهُم يَسوعُ: ولِماذا تُخالِفونَ أنتم وصيَّةَ الله مِنْ أجلِ سنتكم؟

... لَقَد نَقَضتُم كَلامَ اللهِ مِن أَجْلِ سُنَّتِكم.

أَيُّها **المُراؤُون،** أَحسَنَ أَشَعْيا في نُبوءَتِه عَنكم إِذ قال:

---

[1] هذه كلمة صريحة من المسيح على انتقال النبوة من بني إسرائيل إلى أمة أخرى.

[2] متى (13 / 14 - 16).

«هٰذا الشَّعْبُ يُكرِمُني بِشَفَتَيْه، وأَمَّا قَلبُه فبَعيدٌ مِنِّي.

إِنَّهُم بالباطِلِ يَعبُدونَني، فلَيسَ ما يُعلِّمونَ مِنَ المَذاهِبِ سِوى أَحكامٍ بَشَرِيَّة».

***

ولما جاء المسيح عليه السلام، نادى في أورشليم كما في متى (13-36):

(الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ **المُراؤون** ...

الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ **المُراؤون**، فإِنَّكم تَجوبونَ البَحرَ والبَرَّ لِتَكسِبوا دَخيلًا واحِدًا، فإِذا أَصبَحَ دَخيلًا، جَعلتُموه يَستَوجِبُ جَهَنَّمَ ضِعفَ ما أَنتُم تَستَوجِبون.

أَيُّها **الجُهَّالُ العُمْيان** ...

الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّون **المُراؤون**، فإِنَّكم تُؤَدُّونَ عُشْرَ النَّعْنَع والشُّمْرَةِ والكَمُّون، بَعدَما أَهمَلتُم أَهَمَّ ما في الشَّريعة: العَدلَ والرَّحمَةَ والأَمانة، فهٰذا ما كانَ يَجِبُ أَن تَعمَلوا بِه مِن دونِ أَن تُهمِلوا ذاك.

أَيُّها **القادَةُ العُميان**، يا أَيُّها الَّذينَ يُصَفُّونَ الماءَ مِنَ البَعوضَةِ ويَبتَلِعونَ الجَمَل.

الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ **المُراؤون**، فإِنَّكم تُطَهِّرونَ ظاهِرَ الكَأسِ والصَّحْن، وداخِلُهما مُمتَلِئٌ مِن حَصيلَةِ النَّهْبِ والطَّمَع.

أَيُّها الفِرِّيسيُّ **الأَعمى**، طَهِّر أَوَّلًا داخِلَ الكَأس، لِيَصيرَ الظَّاهِرُ أَيضًا طاهرًا.

الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ **المُراؤون**، فإِنَّكم أَشبَهُ بِالقُبورِ المُكَلَّسَة، يَبدو ظاهِرُها جَميلًا، وأَمَّا داخِلُها فمُمتَلِئٌ من عِظامِ المَوتى وكُلِّ نَجاسَة.

وكَذٰلِكَ أَنتُم، **تَبدونَ في ظاهِرِكُم لِلنَّاسِ أَبرارًا، وأَمَّا باطِنُكُم فَمُمتَلِئٌ رِياءً وإِثمًا.**

الوَيلُ لَكم أَيُّها الكَتَبَةُ والفِرِّيسيُّونَ **المُراؤون**، فإِنَّكم تَبنونَ قُبورَ الأَنبِياء وتُزَيِّنونَ ضَرائحَ الصِّدِّيقين، وتقولون: لو عِشْنا في أَيَّامِ آبائِنا، لما شارَكناهُم في دَمِ الأَنبياء.

فَأَنتُم تَشهَدونَ على أَنفُسِكم بِأَنَّكم **أَبناءُ قَتَلَةِ الأَنبِياء.**

فٱملَأُوا أَنتُم مِكيالَ آبائِكُم.

أَيُّها **الحَيَّاتُ أَولادُ الأَفاعي**، كَيفَ لَكم أَن تَهرُبوا مِن عِقابِ جَهَنَّم؟

مِنْ أَجْلِ ذٰلك هاءَنَذا أُرسِلُ إِلَيْكُم أَنبِياءَ وحُكَماءَ وكَتَبَة، **فَبَعضَهم تَقتُلونَ وتَصلِبون**، وبَعضَهم في مَجامِعِكم **تَجلِدون** ومن مَدينَةٍ إِلى مَدينَةٍ **تُطارِدون**، حتَّى يَقَعَ عَليكم كُلُّ دمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ في الأَرض، مِن

دَمِ هابيلَ الصِّدِّيق إِلى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَكْيا الَّذي **قَتَلتُموه بَينَ المَقدِسِ والمذبَح**.

الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِنَّ هٰذا كُلَّه سيَقَعُ على هٰذا الجيل.

أُورَشَليم أُورَشَليم، يا **قاتِلَةَ الأَنبِياء وراجِمَةَ المُرسَلينَ إِلَيها**، كَم مَرَّةٍ أَرَدتُ أَن أَجمَعَ أَبناءَكِ، كما تَجمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تَحتَ جَناحَيها، **فلَم تُريدوا**).

***

وقد أشار المسيح إلى كتمان بني إسرائيل للحق الذي أؤتمِنوا عليه فقال كما في متى (10 : 26) مِن ضمن وصاياه الإثني عشر إلى تلاميذه:

«ما مِن مستور إلا سينكشف، ولا من مكتوم إلا سيُعلم».

***

فالحاصل أنه لما وصل الحال ببني إسرائيل إلى هذا المستوى؛ مستوى تحريف كلام الله، وقتل الأنبياء؛ **نقل الله النبوة منهم إلى بني إسماعيل، واختار من بني إسماعيل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).**

***

انتقال النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل

تعاقب الأنبياء على بني إسرائيل بالعشرات والمئات، وفي هذا علامة بيّنة على العِوَج الدائم، والحاجة الدائمة إلى التقويم والتذكير، ولكن مع الأسف لم تحصل منهم الاستجابة والنصرة لله ولكتابه، فنقل الله النبوة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، فاعترضوا على قضاء الله وقدره، ولم يؤمنوا بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بالرغم من أنهم واثقين من نبوته تمام الثقة، وكان هذا حسدا من عند أنفسهم، أن انتقلت النبوة منهم إلى غيرهم، فغضب الله عليهم ولعنهم، كما قال تعالى (فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب أليم)، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

********** -

- بَعَثَ الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) بعد تحريف رسالة المسيح لتحقيق ثلاثة أمور:

- أنه نبي خاتمي
- أنه جاء بدين خاتمي
- أن الله أرسله بكتاب خاتمي

****

- إثبات أن العهدين القديم والجديد يتضمنان بشارات بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

العدل مطلوبٌ، فكما أننا أثبتنا في هذا الكتاب أن العهدين القديم والجديد ليسا كلام الله، وأنهما كلام بشر، وأنها تتضمن أخبارًا منها الصواب ومنها الخطأ؛ فهذا يستوجِب - للأمانة العلمية - التنبيه إلى أن العهدين القديم والجديد يتضمنان إشارات كثيرة إلى نبوة محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ووجوب الدخول في دينه على الناس كافة، وأنه متمم لدين الأنبياء قبله، وأنه ليس مناقضًا لها، وأنه -أي الإسلام- هو خاتم الأديان السماوية، وأن محمدًا هو خاتم الأنبياء، وأن القرآن هو خاتِم الكتب.

وهذه بعض الشواهد على نبوة محمد، نبدأها من العهد الجديد:

١ - جاء في إنجيل متى (21/42-43): «قال لهم يسوع: أمَا قرأتم قَطُّ في الكتب: الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قِبَلِ الرب. كان هذا عجيبًا في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزَع منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره».

التعليق: الحجر الذي رفضه البناءون هو محمدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، رفض البناءون وضعه في عهد موسى وعيسى، لأن النبوة لم تكتمل بهما، فلما جاء محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) اكتمل البناء بوضع هذا الحجر.

وقد ذكر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما يطابق هذه البشارة تمامًا فقال: «إن مَثَلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجْمله إلا موضع لَبِنَةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتم النبيين».[1]

فسبحان من جعل كلام هٰذين النبيين العظيمين (عيسى ومحمد) يخرج من مشكاة واحدة ومصدر واحد.

أمَّا قولُه: «إن ملكوت الله يُنزَعُ منكم، ويُعطى لأمة تعمل أثماره» فإنه إشارة إلى انتقال النبوة من أبناء إسحاق إلى أبناء إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، والأمة هي أمة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم).

***

[1]. رواه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ – ومن الشواهد على نبوة محمد ما جاء في إنجيل يوحنا (٤ / ١٩-٢١): (قالت المرأة (أي: السامرية) له (أي: للمسيح): يا سيد، أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إنَّ في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه.

فقال لها يسوع: يا امرأة، صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم، تسجدون للآب».

التعليق: هذه دلالة واضحة على تحول القبلة من بيت المقدس (أورشليم) إلى الكعبة المشرفة التي في مكة، وقد كان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يصلي متجها إلى بيت المقدس، فكانت بيت المقدس هو الموضع الذي كان يتجه إليه في الصلاة، واستمر على ذلك بضعة عشر شهرًا، حتى نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فعند ذلك تغيرت القبلة التي يتوجه إليها في صلاته كما في هذا الخبر عن المسيح، (إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم، تسجدون للآب)، واتجه إلى الكعبة التي في مكة اتباعًا لأمر ربه.

[1]. سورة البقرة: ١٤٤.

٣- ومن الشواهد على نبوة محمد ما جاء في إنجيل يوحنا (30/14): قال المسيح: «لن أخاطبكم بعدُ طويلًا، لأن سيد هذا العالم سيجيئ».

التعليق: ومن هو سيد العالم الذي أتى بعده غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟!

فقد ختم الله به النبوة، وأعطاه الشريعة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان، وجعل أمته أسياد العالم عندما كانوا مستمسكين بشريعته، وسترجع إليهم إذا حققوا التمسك بشريعته كما وعدهم الله بذلك في القرآن.

***

4. ومن الشواهد على نبوة محمد ما جاء في يوحنا (16/14): قال يسوع المسيح: «ابن البشر ذاهب، والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار، ويفسر لكم كل شيء، وهو يَشهدُ لي كما شَهِدْت له، فإني أجيئكم بالأمثال، وهو يأتيكم بالتأويل».

وفي يوحنا (١٦/ ٥): «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه يسمع ويكلمكم ويَسُوسُكم[1] بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب».

[1]. يسوسكم أي يتولى أمركم كما يفعل الأمراء بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه. انظر: «النهاية».

التعليق: هذه بشارة واضحة الدلالة كوضوح الشمس على نبوة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعد المسيح، لِمَن شرح الله صدره للحق، وتَقَبَّل الحقيقة، وبيان ذلك الوضوح من ثمانية وجوه:

أ- كلمة (الفارقليط) تدل على معاني الحمد والحَمَّاد والمحمود، وكلها تدل على اسم النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم).

ب- قوله (ويفسر لكم كل شيء) يدعونا للتساؤل: من الذي تضمنت شريعته كل شيء غير شريعة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) ؟!
قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتاب مِن شَيْءٍ﴾.[1]

ت- ومن الذي جاء بعد عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟!

ث- ومن الذي وبّخ العالم على الخطايا بعد المسيح غير محمد (صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)؟!

[1]. سورة الأنعام: ٣٨.

ج- ومن الذي لا يتكلم من تلقاء نفسه بل بما يوحَى إليه غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]؟!

ح- ومن الذي ساس الناس بالحق والعدل[2] غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي قال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحَدَّ، وأيم الله[3]، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها»؟![4]

خ- ومن الذي أخبر بالحوادث والغيوب، وما كان وما سيكون (وذلك عن طريق الوحي من الله) غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟!

د- ومَن الذي شهد للمسيح بالنبوة والرسالة غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)؟!

---

[1]. سورة النجم: ٣ - ٤.
[2]. ساس الناس بالحق والعدل أي طبق عليهم السياسة الشرعية.
[3]. معنى (وأيم الله) أي: (والله)، يُقصد بها الحلف بالله.
[4]. البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٦٨٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فصل

أما البشارات بنبوة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في العهد القديم فعديدة، منها:

١ - في سفر التثنية (1/33): «تجلى الله من سيناء، وأشرق من ساعير[1]، واستَعْلَنَ من جبال فاران[2]».

التعليق: هذه البشارة متضمنة للنبوات الثلاث؛ نبوة موسى وعيسى ومحمد، (صلى الله وسلّم عليهم أجمعين).

فمجيء الله تعالى من طور سيناء إشارة إلى وحيه الذي أنزله على موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وإشراقه من ساعير هو نزول وحيه على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومجيئه بالإنجيل، وأما المراد بالاستعلان من جبال فاران فهو إنزال القرآن على محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وإعلانه منه، أي الصدع بالقرآن من مكة، لأن جبال فاران هي جبال مكة باتفاق المسلمين واليهود والنصارى.

---

[1]. ساعير في التوراة: اسم لجبال فلسطين. انظر: «معجم البلدان».

[2]. فاران: كلمة عبرانية، مُعَرَّبَة، وهي من أسماء مكة، وقيل: إنها اسم لجبال مكة. انظر: «معجم البلدان».

وقد ذُكر في القرآن ما يصدّق هذه البشارة في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون * وَطُورِ سِينِين * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين﴾، فذكر الله هنا أمكنة هؤلاء الأنبياء الثلاثة التي خرجوا منها، فقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون﴾ المراد منبَتُهما وأرضُهما، وهي الأرض المقدسة التي ظهر فيها المسيح (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، (فلسطين).

وقوله: ﴿وَطور سينين﴾ أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى (عَلَيْهِ السَّلَام)، وهو مكان ظهور نبوته، وقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأمين﴾ هي مكة، منطلق نبوة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم).

***

٢- ومن الشواهد على نبوة محمد ما جاء في سفر أعمال الرسل (22/3): «فَإِنَّ مُوسَىٰ قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلـٰهكُم مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ».

التعليق: هذا النبي ليس عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه قال: «من إخوتكم»، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولم يرسل الله نبيا من بني إسماعيل إلا محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ومما يدل أيضا على أن هذا النبي هو محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قول موسى: «نبيًّا مثلي»، وفي الحقيقة لا يوجد نبي ينطبق عليه أنه

مثل موسى غير محمدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فكلاهما اتصف بالقوة والشجاعة، وكلاهما قاتل أعداء الله، وكلاهما بُعث برسالة مستقلة.

أما عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلم يقاتل ولم يُبعث برسالة مستقلة، بل الإنجيل تابع للتوراة، فيه تحليل لبعض ما حُرِّم فيه، وفيه مواعظ، فهو متمم للتوراة.

وأيضًا فإنه كان مقهورًا ولم ينتصر على أعدائه، فلما أحاط به أعداؤه اليهود وأرادوا قتله لم يقاتلهم بل رفعه الله إليه في السماء.

٣- ومن الشواهد على نبوة محمد ما جاء في سفر التكوين (18/21) أن ملاك الله قال لهاجر زوجة إبراهيم:

«قومي احملي الغلام وشُدّي يدك به، لأني سأجعله لأمة عظيمة».

وفي سفر التكوين أيضًا (8/16): «إن المَلَكَ ظهر لهاجر أم إسماعيل فقال: يا هاجر، من أين أقبلت وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال: ارجعي، فإني سأكثر ذريتك وزرعك، حتى لا يُحصَون كثرة، وها أنت تحبِلين وتَلِدين ابنًا أُسَمِّيهِ إسماعيل، لأن الله سمِع تَذَلُّلَكِ

وخضوعكِ، وَوَلدُكِ يكون وحشًا للناس[1]، وتكون يده على الكُل، ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع».

التعليق: مَن هذه الأمة العظيمة التي جاءت بعد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وانتسبت له غير أمة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)؟!

ومن هو الذي ستكون يده على الكُل، ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع غير محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم)؟!

فإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام لم تكن يده فوق يد إسحاق، بل كانت يد إسحاق فوق يده، لأن النبوة والملك كانا في يد إسرائيل والعيص[2]، وهما ابنا إسحاق، فلم يبق إلا محمد (صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فأمته أعظم الأمم وآخرها.

وكذلك قوله: «ولدك يكون وحشًا للناس» يدل على أن المقصود هو النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نُصِرتُ بالرعب مسيرة شهر»[3]، أي أن الله تعالى كان يُلقي الرعب في

---

[1]. سيأتي بعد قليل بيان معنى هذه العبارة: (وحشًا للناس).

[2]. قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»، ذكر إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والسلام:

ذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج «رفقا بنت بثوابيل» في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة، وأنها كانت عاقرًا، فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين: أولهما سمَّوه «عيصو»، وهو الذي تسميه العرب «العيص»، وهو والد الروم الثانية.

[3]. رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، وفي الباب عن أبي هريرة، رواه مسلم (٥٢٣).

قلوب أعدائه منه وهو يبعد عنهم مسيرة شهر، فهو الذي ينطبق عليه قول التوراة: «ولدك يكون وحشا للناس».

قال الحافظ المؤرخ ابن كثير رَحمَهُ اللهُ في كتابه «البداية والنهاية»[1] في ترجمة إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام:

«وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد (صلوات الله وسلامه عليه)، فإنه الذي سادت به العرب، وملكت جميع البلاد شرقا وغربا، وآتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم تؤتَ أمة من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل، وبركة رسالته، ويُمْنِ بشارته، وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض».

وبناء على ما تقدم فإن موسى عليه السلام وكذلك المسيح عيسى ابن مريم (عَلَيْهِ السَّلَام) بَشَّرا أتباعهما بالنبي محمد (صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأمرا بالانقياد لشريعته (الإسلام)، فاتِّباع شريعة الإسلام يعتبر تتميما لشريعة موسى والمسيح، وطاعة لهما، وليس نكوصا عليهما أو كفرًا بهما.

[1]. انظر: ذكر مولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن هاجر.

وقد يسر الله جمع تلك البشائر الإنجيلية بنبوة محمد (رسول الإسلام) في كتابين:

- النبوءات الكثيرة بمحمد (صلى الله عليه وسلم) في العهدين القديم والجديد
- **The amazing prophecies of Muhammad in the Bible [1].**

وكلاهما منشوران في شبكة المعلومات.

***

وبناء عليه فالإيمان متلازم بين عيسى ومحمد، فالمسيحي الصادق في اتباعه لعيسى لابد أن يؤمن بمحمد (صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم) ويتَّبع شريعته، وإلا كان عاصيا لهما، ومستحق للنار.

والذي يؤمن بمحمد لا بد أن يؤمن بعيسى (عَلَيْهِما الصلاة والسَّلَام)، وإلا كان كافرًا بمحمد (صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم) لأن الإيمان بعيسى وبجميع الأنبياء قد أمر الله به القرآن، فمن لم يؤمن بالمسيح أو غيره من الرسل يكون كافرًا بالقرآن، قال الله في القرآن: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن ربه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وملائكته وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا

[1]. هذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان وعدد البشارات المجموعة فيه 29 بشارة.

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير﴾.

ومعنى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾، أي: لا نؤمن ببعض الرسل ونكفر ببعض، بل نؤمن بالجميع.

فالحاصل أن من آمن بالرسولين عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) نال شرف الإيمان بهما.

****

- دين محمد (الإسلام) أتى بحسنتين عظيمتين إلى دين المسيح:

- صحح التحريفات التي وقعت عليه
- أحيا تعاليم كان المسيح (عليه السلام) يؤديها

- **توضيح النقطة الأولى:** قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾[1].
- وقال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[2].

- **توضيح النقطة الثانية:** لقد أحيا دين الإسلام تعاليما كان المسيح يؤديها، هذه التعاليم هي:
  - تحريم ادعاء علم الغيب
  - تحريم السحر

[1] سورة المائدة: 16 .
[2] سورة المائدة: 19 .

- تحريم أكل الربا
- تحريم أكل الخنزير
- تحريم الزنا
- الأمر بالوضوء
- الأمر بالختان
- الأمر بالصلاة
- الأمر بالزكاة
- الأمر بالصوم
- الأمر بإلقاء تحية السلام
- الأمر بالحجاب

ملاحظة: هذه الأدلة مذكورة في كتاب:

Islam's Revival of Jesus' Teachings

وهو منشور في شبكة المعلومات.

****

نقد الكنيسة من كلام المفكرين

جيرالد ماسي G Massey ١٨٢٨-١٩٠٧ م انتهى في كتابه (يسوع التاريخي والمسيح الأسطوري) The historical Jesus and the Mythical Christ إلى (أن اللاهوت المسيحي قام بفرض الإيمان بدلا من المعرفة، وأنّ العقلية الأوروبية بدأت لتوها الخروج من الشلل العقلي الذي فُرِضَ عليها بتلك العقيدة التي وصلت إلى ذروتها في عصر الظلمات ... وأنَّ الكنيسة كافحت بتعصب رهيب من أجل تثبيت نظرياتها الزائفة لمدة ثمانية عشر قرنًا، وأسالت بحورًا من الدماء دفاعًا عن خرافاتها، وغطّت الأرضَ بمقابر شهداء الفكر الحر ، وملأت الدنيا بالرعب والإرهاب الذي فرضته باسم الله!).

***

وفي كتابه (الله واحد أم ثالوث) يقول د. مجدي مرجان "إنه لا يكفي للإيمان الحقيقي **وراثة العقيدة وتقليد الآباء والأسلاف والعمات والجدات**، فلم يكن الدين في يوم من الأيام إقرارًا لوضع قائم، ولا انسياقا لطقس متبع، وإنما كان الدين دوماً دعوة إلى الحق وثورة على الباطل، ولو كانت العقيدة إرثًا وانطباعًا لما انتقل الناسُ من باطل إلى حق، ومن عبادة الأصنام والأغنام إلى عبادة الخالق، ولبقي العالم إلى اليوم كما كان منذ آلاف السنين يسبح في الأباطيل والترهات".[1]

ويقول الفيلسوف برتراند رسل Brtrandrsl:

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 38 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

(إنَّ القضية الدينية يجب ألا تقبل إلَّا إذا كان لها سند كالسند المطلوب في القضية العلمية، ولكن معظم

الناس يرثونَ الدِّينَ دون وعي ولا إدراك، وهم لا يعرفونَ مِن الدِّين سوى اسمه وما سُطّر في شهادة ميلاد كل منهم أنه يهودي أو بوذي أو مسيحي أو غير ذلك ... ومع ذلك فإنه يتعصب لِمَا سُطّر في شهادة ميلاده تعصُّبَ المستميت، ويطعن فيما يغاير عقيدته دون بحث أو رويَّة وبلا هوادة أو تعقل، ودون دراية بالعقيدة التي سَمُّوهُ بها، ودون عِلْم بالدين المغاير، ولكن هذا كله ليس دينا ولا إيمانًا ، بل ليس عقلاً ولا إدراكًا).[1]

***

ويقول د. مرجان في كتابه (المسيح إنسان أم آلِهَة) : "وُلِدتُ لأعبد المسيح ولازمته إلٰها فوق الآلهة، فلما شببتُ شككتُ، فبحثت عن الحقيقة، ونقَّبتُ فعرفت ... وناداني المسيح : يا عبد الله أنا بشر مثلك، فلا تُشرِك بالخالق وتعبد المخلوق، ولكن اقتدِ بي واعبده معي، ودعنا نبتهل سويا: (أبانا الذي في السماوات ليتقدَّس اسمك)، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، يا عبد الله، أنا وأنتَ وباقي الناس عبيد للرحمٰن ...

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 39 ، باختصار يسير، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

فآمنتُ بالله، وصَدَّقتُ المسيح، وكفرتُ بالآلهة المزعومة".[1]

***

في كتاب ملتقى الشرق والغرب (The meeting of East and West كان نورثروب Northrop متحريا المسائل المختلف عليها بين أمم الحضارة العصرية وأمم الحضارات الموروثة - وقد

توصل إلى أن العقيدة الإسلامية هي أصلح العقائد لإيمان الإنسان بالله في عصر القوانين والتجارب العلمية المذهلة، وذلك بخلاف العقائد الأخرى المتوارثة التي **نبتت من الأرض،** ولم تنزل من السماء، فهي وليدة **مؤتمرات بشرية** أشرفت عليها سلطات **وثنيّة،** ولو افترضنا كذبًا - أنَّ لها أسانيد قائمة، فإن متونها تصادم العقل والمنطق، وتجعل الدِّينَ **مرادفا للأساطير والخرافات،** وهذا سر الصراع عندهم بين الدين والعِلم، وسر الشُّقَّة الواسعة بين الحضارة المنشودة وبين ما يصبو إليه رجال الكهنوت، وهو سر نشوء العلمانية ورواجها في الدول المسيحية. باختصار.[2]

***

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 39 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

[2] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 19 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

نقد الكنيسة من كلام القساوسة

القس الإنجيلي جورج بوش -George Bush ، الجد الأكبر للرئيس الأمريكي السابق، وراعي كنيسة إنديانا بولس بالولايات المتحدة - يقول في كتابه "مُحمَّد مؤسِّس الدين الإسلامي"[1]:

(لقد حدثتْ رِدَّة مُهلِكَة في الكنيسة المسيحية والقائمين عليها في الفترة التي سبقت بعثة مُحمَّد، وأصبحت الكنيسةُ على وشك التخلِّي عن المسيحية، فلم تصبح الكنيسة جديرة باسمها، بعدما تخلّتْ عن عقائد الكتاب المقدس المسيحي وأخلاقياته وأساس العبادة الواردة، حيث دخلت التحريفات القبيحة والخرافات في الكنيسة، وبلغت مبلغًا كبيرًا، ووصلت إلى ذروة الانحراف في العقيدة وفي الممارسة والتطبيق، فازدهرت **العبادة الوثنية** ممثلةً في عبادة الصوَر والبقايا الأثرية المقدسة، كما سادت عقيدة عبادة العذراء مريم، وساد الاعتقاد في عبادة الصليب، فصار كل هذا راسخًا ومحفورًا، وبِذا اختفى رونق الإنجيل، وضاع بهاؤه، وعانى من كُسوفٍ مظلم، **وضاع جوهر المسيحية في خضم الطقوس التافهة والخرافية**".

ويمضي القس بوش في وصفه لِمَا آلتْ إليه المسيحية قبل البعثة المُحمّدية، فيقول: "في الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية الرومانية خاصة في الشام والمناطق المتاخمة لشبه الجزيرة العربية؛ **تفاقمت شرور الكنيسة** بسبب الخلافات المستمرة بينها، وتمزقت إربًا بسبب النزاعات الضارية بين الآريوسيين والسابليان والنساطرة والكوليرديان

[1] ترجمة: عبد الرحمٰن الشيخ، 2001م.

واليوتشيان، وقد أدت نزاعاتهم هذه إلى إرباك العقائد المسيحية، وإغراقها في دقائق ميتافيزيقية معقّدة، **فلم تعد المسيحية نهج حياة،** ولم يعد يُنظر إليها بوصفها طريقًا وحيدًا للخلاص، فالإنجيل أصبح بسبب الخلافات المذهبية وما بها من انحراف؛ جمرةً تحترق.

وَعُقِد مَجمَع إثْر مَجمَع، وصدرت قرارات مَجمعية إثْر قرارات، حتى شَتَّتَ الأساقفةُ البلادَ في كل اتجاه، وسعتْ كل طائفةٍ لتحقيق أغراضها الدنيوية، والوصول إلى المناصب الدينية للتكسُّب والثراء والرفاهية والنفوذ الكنسي، والعمل على دعم عقائدها وإدانة المخالفين لها في الرأي وقمعهم ... وفي الوقت نفسه كان أشد أنواع الجهل يسود بين أُمم المملكة المسيحية، مِمَّا أحدثَ رِدَّة عن الدِّين الصحيح، وبدا أنَّ هذا الأمر في حاجةٍ إلى **حُكْمٍ يأتي من السماء للنظر في هذه الحالة البائسة التي وصلت إليها المسيحية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام**".[1]

***

لقد أثبت علماء الغرب وفلاسفته أن الكتب المقدسة عندهم تملأ العقل والضمير بالحيرة والاضطراب، لأن بعضها يلغي الآخر، وصحة بعضها يتوقف على صحة ما سواها، ولأنها مليئة بالأفكار والآراء الدخيلة في فترات وظروف تاريخية مجهولة، وتتصادم مع المنطق

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 54 - 55، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

العقلي، ومبدأ احترام الله سبحانه والنبيين، وحقائق العلم والإيمان، وتؤدي إلى العلمانية بل الإلحاد.

***

الإسلام يحث على إعمال العقل

هناك أكثر من 700 آية قرآنية تحثّ على إعمال العقل، وقد ذم القرآن الذين عطلوا عقولهم عن التفكير، ووبَّخَهم، قائلا لهم: ﴿ أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُون﴾ [الأنبياء: 67].

فالإسلام في خطاب دائم ومتكرّر للعقل الوازع الواعي، وليس فيه ما يصادم العقل، أو يناقضه، أو يتعارض مع حقائق العلم.

قال المفكر الأمريكي سنكس Sinkth (1831 – 1883م) في كتابه (ديانة العرب):

(ظهر محمد بعد المسيح بخمسمئة وسبعين سنة، وكانت وظيفته **ترقية عقول البشر.**

وإن الرؤية الإسلامية أحدثت رقيا كبيرا جدا في العالم، وخلصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت **تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان.**

ولقد توصل محمد بمحوه كل صُورَةٍ في المعابد، وإبطاله كل تمثيلٍ لذات الخالق المطلق؛ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة).[1]

****

[1] نقلا من (محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم)، ص 291-292 ، لمحمد بن عبد الشافي القوصي.

أسئلة امتحان الفصل السابع

1. ما هي مكونات الإنجيل بقسميه العهد القديم والجديد؟

2. كم عدد البشارات الأساسية بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في العهد الجديد بحسب ما جاء في (دليل الدعاة)؟

3. كم عدد البشارات الأساسية بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في العهد القديم بحسب ما جاء في (دليل الدعاة)؟

4. اذكر اثنتين من البشارات في كل من العهدين القديم والجديد.

5. اذكر شيئا من الكتب التي تجمع البشارات بالنبي (صلى الله عليه وسلم).

6. لقد أحيا الإسلام تعاليما كان يؤديها المسيح ولكن المسيحيين لا يفعلونها، كم عدد تلك التعاليم؟ اذكر خمسة منها، وأين توجد تلك التعاليم بإسهاب؟ وفي أي كتاب؟

7. وأين توجد الإجابات لتلك الشبهات التي يثيرها الطاعنون في الإسلام؟ اذكر أمثلة على الكتب التي تجيب عنها.

فهرس الفصل الثامن

فوائد متنوعة

- قصص هدايات
- آيات قرآنية مؤثرة في نفوس المحبين للمسيح وأمه مريم العذراء
- مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة

الفصل الثامن

فوائد متنوعة

- قصص هدايات

- لماذا ترك الكاردينال دانيال الكنيسة وغير دينه؟
- قصة هداية القسيس جرجس
- مراسلة لطيفة مع الراهبة وصيفة

ملاحظة: هذه القصص منشورة في شبكة المعلومات.

- آيات قرآنية مؤثرة في نفوس المحبين للمسيح وأمه مريم العذراء

سُورَة الإِخْلاص

قَالَ اللهُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾[1].

تَفْسِيرُ السُّورة

﴿قل﴾؛ الْمُخَاطَب بِهَذِه الآيةِ هُو النَّبيُّ مُحمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم)، يَقُول اللهُ لهُ: قُل أَيُّهَا الرَّسُولُ لِكُلِّ النَّاسِ:

﴿هو الله أحد﴾؛ أيْ: هُو اللهُ الْمُتَفرِّد بِالأُلوهيَّة والرُّبوبيَّة والأَسْماء والصِّفَات، لا يُشَارِكه أَحدٌ فِيها.

﴿الله الصمد﴾؛ أي: الَّذِي تَصْمُد لهُ جَميعُ الْخَلائقِ وتَطلبُ مِنه حَاجَاتِها.

﴿لم يلد ولم يولد﴾؛ أي: لَيسَ لهُ ولدٌ ولا والدٌ ولا صَاحبةٌ، لأنَّ هَذِه صِفَات الْمَخلُوقِين، أمَّا اللهُ فَلا يُشْبهه شَيءٌ، ولَيسَ كَمثلهِ

[1] . سورة الإخلاص.

شَيءٌ، وهَو أَعلمُ بِنَفْسِه مِن غَيرِه.

﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾؛ أيْ: لَيسَ لهُ مُمَاثلٌ ولا شَبيهٌ، لا في أسْمائهِ ولا في صِفَاته ولا في أَفْعاله، تَبَارك وتَعَالى وتَقَدَّس.

فَنَفَى اللهُ عنْ نَفْسِه هَذِه الصِّفَات؛ (الْولادَة والمِثلِيَّة) نفيًا قَاطعًا.

وقَدْ أَنْزلَ رَبُّ العَالمينَ هَذِه السُّورة الْقَصِيرة في طُولها، الْعَظِيمة في مَعَانِيها، للرَّدِّ عَلى ثَلاثِ طَوائفَ:

الأُولَى: الْمُشْرِكونَ الَّذِين كَانُوا في عَهْد النَّبيِّ مُحمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) الَّذِين قَالُوا: إنَّ الْمَلائِكة بَناتُ الله.

الثَّانِية: الْيَهُود الَّذِين قَالُوا: عُزيرٌ ابنُ اللهِ.

الثَّالِثة: النَّصَارَى (الْمَسِيحيونَ) الَّذِين قَالُوا: إنَّ الْمَسِيح ابن اللهِ.

وقَدْ قَالَ النَّبيُّ مُحمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم): **«قَالَ اللهُ تَعَالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ.**

فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَولُهُ: (لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي)، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ.

وأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُه: (اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا)، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ». انتهى الحديث.

أَسَألُ اللهَ أنْ يَجْعَلَني وإيَّاكُم مِمَّن قَرَأَ القُرْآنَ فَكَان هَادِيًا لهُ إِلى الفَلاحِ والرَّشَاد، وفي الآخِرة قَائِدًا لهُ إِلى الْجَنَّة.

آيةُ الْكُرْسِي

الْواجِبُ هُو تَعْظِيم اللهِ وتَنْزِيهُه عنْ مُشَابَهَة خَلْقِه، أوْ حُلُولِه فيهم واتحاده معهم، فَاللهُ هُو اللهُ، والْمَسِيحُ هُو الْمَسِيحُ، اسْتَمِع أيُّهَا القَارئُ الْكَرِيم وأيَّتُها القَارئةُ الْكَريمةُ إلى بعض صِفات اللهُ المذكورة في أَعْظَم آيةٍ في الْقُرآن, والَّتي تُسمَّى آيةُ الكُرْسيِّ:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ له مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ من ذَا الذي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِم ومَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَٱلۡأَرۡض وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيم﴾[1].

فَهَذِه الآيةُ الْكَريمةُ هِي أَعْظمُ آيَاتِ الْقُرآنِ وأَفْضَلُها وأَجلُّها، وذَلِك لِمَا اشْتَملت عَلَيه مِن صِفَات اللهِ الْكَريمةِ، فَلِهَذَا ورَدَتِ الأَحَادِيثُ في التَّرْغِيب في قَراءَتِهَا، وجَعْلِها وِردًا للإنْسَان يَقُولُها صَبَاحًا

[1] . سورة البقرة: 255 .

ومَساءً، وعِند نُومِه وأدْبَارِ الصَّلَوات الْمَكْتُوبات.

- فَقَولُه: ﴿لا إلَـهَ إلا هو﴾؛ أيْ: لا مَعْبودَ بحقٍّ سِواه، فَهُو الإلـهُ الحقُّ الَّذِي تَتَعيَّن أنَّ تَكُون جَميعُ أَنْواعِ الْعبادَةِ والطَّاعَة والتَّأَلُّه لهُ سبحانه وتعالى، لِكَمَاله وكَمَال صِفَاته وعَظِيم نِعَمِه، فَيَجِبُ عَلى الإِنْسَان أنْ يَكُون عبدًا لِرَبِّه، مُمْتَثلًا لأوامِره، مُجْتنبًا لِنَواهِيه، معتقدًا اعتقادًا جازمًا أن كُلُّ مَا سِوى الله تَعَالى فِعَبَادَته بَاطلةٌ، لأنَّ كُلَّ مَا سِوى اللهِ فَإنَّه مَخْلوقٌ نَاقصٌ مُدبَّرٌ فَقيرٌ مِنْ جَمِيع الْوجُوه، لا يَسْتَحِقُّ شَيئًا مِنْ أَنْواعِ ٱلعِبَادة، سَواءٌ كَانَ بَشَرًا أوْ جَمادًا، نبيًّا أوْ حَجَرًا أوْ صَليبًا أوْ شَمْسًا أوْ قَمَرًا أوْ قَبرًا أوْ غَيرَ ذَلِك.
- قَولُه: ﴿الحي القيوم﴾؛ هـٰذانِ الاسْمانِ الْكَريمانِ هُما مِنْ أَعْظمِ أَسْماءِ اللهِ سبحانه وتعالى، فَإِنَّ للهِ تَسْعةً وتَسِعينَ اسْمًا، وهـٰذَانِ الاسْمَانِ يَدلَّانِ عَلى سَائِر الأَسْماءِ الْحُسْنَى، فَالْحيُّ: هُو مَن لهُ الْحَياةُ الْكَامِلةُ الْمُسْتَلْزِمَة لْجَمِيع صِفَات

الذَّاتِ، كَالسَّمِع والْبَصر والْعِلم والقُدْرة ونَحو ذَلِك، والْقَيومُ: هُو الَّذِي قَامَ بِنَفْسِه وقَامَ بِغَيرِه، وذَلِك مُسْتَلزمٌ لِجَمِيع الأَفْعَال الَّتي اتَّصَف بِهَا رَبُّ الْعَالِمين؛ كَالْخَلقِ والرِّزْقِ والإِمَاتةِ والإِحْياءِ وسَائر أَنْواعِ التَّدبيرِ، فَكُلُّ ذَلك دَاخِلٌ في قيُّومِيَّة اللهِ سبحانه وتعالى.

- قَولُه: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾؛ السِّنَةُ هِي النُّعَاس، والنَّوم مَعْروفٌ، ومَعْنَى الآيةِ: أنَّ اللهَ لا يَعْتَريه النَّوم ولا مُقَدِّمَاته، لأنَّ النَّوم صِفةُ نَقْصٍ، وهُو لا يَحْصُل إلَّا بَعْد تَعَبٍ، والتعب صِفَةُ نَقصٍ أيْضًا، وصِفاتُ النَّقْصِ يَتَنزَّه اللهُ عَنِ الاتِّصَاف بِها، بَلْ هُو الْمُتَّصفُ بِصِفَات الْكَمَال، لا يَعْتَريه نقصٌ بَوجهٍ مِنَ الْوجُوه، كَما قَالَ اللهُ عَنْ نَفْسِه: ﴿ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾[1]، وقَالَ في آيةٍ أَخْرى: ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[2].

[1] . سورة النحل: 60 .
[2] . سورة الروم: 27 .

- ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾؛ أيْ هُو الْمَالِك لِكُلِّ شَيءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وكُلُّ مَا سَواهُ مَمْلوكٌ لهُ، فَالسَّمَاواتُ والأرَضُ ومَا بَيْنَهُما مِن شمس وقمر ونجوم وجِبالٍ وبحارٍ وبَشَرٍ وحَيوانَاتِ فَكُلُّها مَمْلوكةٌ لهُ، يَدبِّرُها اللهُ ويُنفِّذ مَشِيئتهُ فِيهَا كَمَا شَاءَ، وهُو مَعَ هَذَا رَحيمٌ بعباده سبحانه وتعالى، يَرْزقُهمْ ويُجِيبُ دُعاءَهُم ويَدلُّهم عَلَى الطَّرِيقِ الْمُوصِل لِجَنَّته، لَيسْلُكُوه، ويُبيَّن لَهم الطَّرِيق الَّذِي يُؤدِي إلى النَّار، لَيَجْتَنِبوه.
- قَوْلُه: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾؛ أيْ: لا أَحَد يَشْفَعُ لأحَدٍ يَوْم الْقِيامَة بِدُونِ إِذْنِه، لأنَّ الشَّفَاعَة كُلَّها مِلكٌ للهِ تَعَالى، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أنْ يَشْفَع لأَحَدٍ يَوم الْقِيامَة فِي دُخُولِ الْجَنَّة فَإِنَّه يَسْتَأْذِن اللهَ أَوَّلًا، فَإِذَا أَذِن اللهُ لهُ بِالشَّفَاعَة اسْتَأْذَن مِنْه فِي قَبُول شَفَاعتِه لِفُلانٍ مِنَ النَّاس أنْ يُدْخِلَه الْجَنَّة، فَإِنْ قَبِل اللهُ شَفاعَتَه دَخَل الْمَشْفُوع لهُ الْجَنَّة، وإنْ لمْ يَقْبلْ لمْ يَدْخُل، وفي هَذَا إشَارةٌ إلى ظُهُور مِلْكِ اللهِ يَوْمِ الْقِيَامَة

وانْقِطَاع جَمِيع الأَمْلاكِ.

- ثمَّ قَالَ: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾؛ أيْ: يَعْلمُ مَا مَضَى مِنَ الأُمُور، ﴿وما خلفهم﴾؛ أيْ: يَعْلم مَا سَيَحْصل في الْمُسْتَقبل، فَعِلْمه تَعَالى مُحيطٌ بِتَفَاصِيل الأُمُور، مُتَقدِّمِها ومُتَأخرِهَا، ظواهرها وبواطنها، والْعِبَاد لا يعلمون شيئًا إلَّا مَا عَلَّمهُم اللهُ سبحانه وتعالى، ولِهَذا قَالَ: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.
- قَوْله: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾؛ الْكُرسِي: هُو مَوْضِع قَدَمِي الرَّبِّ جل جلاله، ولَا يَعْلم كَيفيَّته إلَّا اللهُ سُبْحَانه، لأنَّه مِنَ الْغَيبِ الَّذِي لمْ نطَّلِع عَليه، فَيَجِب الإِيمَان بِه كَمَا أَمَرَ اللهُ بِذَلِك.
- وَوَصْفُ الْكُرْسِي بِأَنَّه وَسِع السَّمَاوات والأَرْضَ يَدلُّ عَلى كَمَال عَظَمَةِ اللهِ سبحانه وتعالى وسِعَة سُلْطَانه، ولكنَّ الْكُرسِي لَيْسَ أَكْبرَ مَخْلُوقَات اللهِ تَعَالى، بَلْ هُنَاك مَا هُو

أَعْظَم مِنْه وهُو عَرْشُ الرَّحمـٰن، الَّذِي اسْتَوى عَلَيه اللهُ وارْتَفَع، وهُو مِن الْغَيبِ أَيْضًا، وقدْ أَشَار اللهُ إِلى عَظَمتِه في قَوْلِه: ﴿ الرَّحمـٰن على العرش استوى﴾[1]؛ أيْ: عَلا وارْتَفَع، والْعَرشُ -في اللُّغَة الْعَربيَّة- هُو سَريرُ المُلْك.

- قَوْلُه: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾؛ أيْ: لا يُثقِلُه ولا يُتعِبُه حِفظُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ وتَدْبيرُ أَمْرِها وأُمور عِبَادِه وسَائِر مُخْلوقَاته، فهُو الْمَالِك الْخَالقُ الْمُدَّبر، وهَذَا هُو الْمَعْرُوف بِتَوْحِيد الرُّبوبيَّة، وتَوحِيد اللهِ في رُبوبيَّته عَلى خَلْقِه يعْني اعْتِقَاد تَفرُّدِه بِأَنَّه الْمَالِك الْخَالق الْمُدَبِّر، ومِنْ ذَلِك حِفْظ السَّمَاوات والأَرْض.
- قَوْله: ﴿وهو العلي﴾؛ أيْ: هُو الْعليُّ بِذَاتِه فَوْقَ عَرْشِه، والعَليُّ بِقَهْره، فلا يستطيع أحد رد أمره، والعليُّ بِقَدْره لِكَمَال صِفَاته، فَلهُ الْعُلوُّ الْمُطْلَق مِن هَذِه الْوجُوه الثَّلاثة.
- قَولُه: ﴿العظيم﴾؛ أي: هُو الْعَظِيم الَّذِي يَتَضاءَل عِنْد عَظَمتِه

[1]. سورة طه:5.

جَبرُوت الْجَبابِرة، وتَصْغُر في جَانِب جَلالِه أُنوف الْمُلُوك القَاهِرة، فَسُبْحانَ مَنْ لهُ الْعَظَمَةُ والْكِبرياءُ، والقَهْرُ والغَلبةُ عَلى كُلِّ مَنْ في الأَرْضِ والسَّمَاء.

- وكَمَا تَقدَّمَ، فَهَذِه الآيةُ الْكَرِيمة أَعْظمُ آيَاتِ القُرآنِ وأَفْضلُها وأَجلُّها، وذَلِك لِمَا اشْتَمَلتْ عَليهِ مِنَ الأُمُور الْعَظِيمَة والصِّفَات الْكَرِيمة، فَقَدِ اشْتَملت هَذِه الآيةُ عَلى عَشرةِ أُمورٍ:

,1- الأَمْر بِتَوْحِيد الْعِبَادَة لله وحده، كما في قوله: ﴿لا إلَـهَ إلا هو﴾.

,2- تَوْحِيد اللهِ في رُبوبيَّته عَلى خَلْقِه، كما في قوله: ﴿القيوم﴾، ﴿ولا يئوده حفظهما﴾.

,3- تَوْحِيد الله في أَسْماءِه وصِفَاته، كما في قوله: ﴿الحي القيوم﴾.

,4- تَنزِيه اللهِ عَنْ صِفَات النَّقصِ ومُشَابَهَة الْمَخْلُوقِين، كما في قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾.

,5- بَيانُ إحَاطةِ مُلْكِه، كما في قوله: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾.

,6- ظُهُور مِلْكِ اللهِ يَوْم الْقِيَامة وانْقَطاعُ جَميعِ الأَمْلاك، كما في قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

,7- بَيانُ إِحَاطةِ عِلْمِه، كما في قوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾.

,8- بَيانُ أنَّ الْعِبَاد لَيسَ لَهُمْ شَيءٌ مِنَ العِلمِ إلَّا مَا علَّمَهُم اللهُ سبحانه وتعالى، كما في قوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

,9- سَعةُ كرسي اللهِ الذي هو موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى، كما في قوله: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾.

,10- فهَذِه الآيةُ بِمُفْرَدِها تُعْتَبر عَقِيدةً شَامِلةً لأسَماءِ اللهِ وصِفَاتِه، مُتَضِمِّنةً لأهم الأَسْماءِ الْحُسْنى والصِّفَات العُلا، فَلِهَذا حث

النَّبيُّ مُحمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) على قِراءتِها، وجَعْلِها وِردًا يَقُولُه الإِنْسَانُ في الصَّباحِ والْمَسَاءِ، وعِنَدَ نَوْمِه وبَعْدَ الصَّلوات.

***

- مَراجِعُ عِلميَّةٌ لِمَن أَرَادَ الاسْتِزَادَة والفَائِدة، وهِي مَنْشُورةٌ في شبكة المعلومات

1. ستون دليلًا على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح ابن مريم
2. سبعون دليلا إنجيليا على أن يسوع المسيح نبي ورسول ومُعَلِّم ومُبَشِّر ومرشد ومُبَلِّغ وإنسان وابن الإنسان ورجل
3. حقيقة بولس من كلام بولس - 100 حقيقة
4. الأدلة الإنجيلية والمنطقية على بطلان عقيدة التجسد
5. النبوءات الكثيرة من العهدين القديم والجديد على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)
6. لماذا خلقنا الله؟
7. الأصول الثلاثة التي يقوم عليها دين الإسلام
8. الإسلام دين الفطرة
9. أسماء الله الحسنى وصفاته العليا
10. شعب الإيمان في شريعة الإسلام

11. تعريف موجز بالكتاب المقدس - القرآن
12. سبع لمحات عن محمد
13. خصائص الشريعة الإسلامية - 60 خصيصة
14. حقوق الإنسان في الإسلام - 160 حق
15. تسعون دليلًا على تكريم الإسلام للمرأة وحفظ حقوقها ومشاعرها
16. موقف الإسلام من الإرهاب
17. مهلًا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام
18. قصة هداية الكاردينال دانيال إلى الإسلام
19. تلاعب الشيطان بعقول اليهود
20. هل الله موجود؟ مقال علمي هادئ يناقش ظاهرة الشك في وجود الله
21. Eleven facts about Jesus
22. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible
23. Who Deserves to be Worshipped?

****

- فهرست بأهم مصادر الكتاب

1. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم الرازي
2. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير
3. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي
4. الجامِعُ المُسنَد الصَّحيحُ المُختصَر من أُمور رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسُنَنِه وأيَّامِه، محمد بن إسماعيل البخاري
5. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري
6. الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، محمد بن عيسى الترمذي
7. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، طبعة الرسالة
8. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري
9. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير

10. تاريخ النصرانية، مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ»، عبد الوهاب بن صالح الشايع
11. «موسوعة الأديان»، الناشر: الدرر السنية
12. محمد (صلى الله عليه وسلم) مشتهى الأمم، محمد بن عبد الشافي القوصي. دار المعراج - دمشق
13. من أسرار عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم، خالد أبو صالح، مدار الوطن - الرياض
14. «The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History»
15. الأناجيل الأربعة